

من حديث الذكريات

سبع سنوات في التشريفات الملكية في العراق

عبد الرزاق الهلالي

وزارة الثقافة



بغداد - ٢٠٠٢



دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية)

تعنون جميع المراسلات الى

رئيس مجلس الادارة: عادل ابراهيم

العنوان:

العراق ــ بغداد ــ اعظمية

ص. ب. ٤٠٣٢ ــ فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ ــ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

البريد الالكتروني dar @uruklink. net

الموقع على شبكة الانترنيت/www. uruklink. . net/iraqinfo/ culture. htm

من حديث الذكريات
سبع سنوات في التشريفات الملكية
في العراق أحاديث وصور وذكريات ووثائق
عن العراق خلال الفترة الممتدة
من عام ١٩٤٧ حتى عام ١٩٥٤

بقلم

عبد الرزاق الهلالي

الطبعة الأولى – بغداد – ٢٠٠٢

نبذة موجزة عن حياة المؤلف :

ربما يود القارئ الكريم، ان يعرف شيئاً عن حياة صاحب هذه الذكريات، فها أنا ذا أقدم له هذه النبذة الموجزة، عسى أن تفي بالغرض المطلوب:

ولد المؤلف في مدينة البصرة وبالتحديد في المحلة التي كانت تسمى (أم الدجاج) في سنة ١٩١٦.

أكمل الدراسة الإبتدائية والمتوسطة في البصرة.

وفي سنة ١٩٣٣ دخل دار المعلمين الابتدائية في بغداد وتخرج منها وعين بمدرسة التهذيب الابتدائية في البصرة بتاريخ ١ / ١٠ / ١٩٣٦ .

استقال من وظيفته يوم ١٩٣٧/١٠/١٩ ودخل دار المعلمين العالية فرع التربية البدنية وفي سنة ١٩٣٩، انتقل إلى فرع اللغة العربية وتخرج من دار المعلمين العالية، حاملاً شهادة الليسانس بأدب اللغة العربية بدرجة شرف، وذلك في سنة ١٩٤٠ / ١٩٤١. وفي سنة ١٩٣٩ دخل دورة ضباط الاحتياط الأولى وتخرج برتبة ملازم ثان احتياط وخدم ستة أشهر في معسكر المنصور في ديالى.

ودعي للخدمة العسكرية من جديد، عندما إصطدم العراقيون بالقوات الانكليزية في ثورة ١٩٤١، وسرح من الخدمة بعد فشل الثورة.

وبتاريخ ١٩٤١/١٠/٧ عين مدرساً في دار المعلمين الريفية في الرستمية ببغداد وفي السنة الثانية عين معاوناً لمدير دار المعلمين الريفية بأبي غريب، ولما الغيت هذه المدرسة، عين معاوناً لمدير معهد التربية البدنية بتاريخ ١٩٤٣/٣/٣.

وبتاريخ ١٩٤٤/٩/٧ عين ملاحظاً للتربية البدنية في مديرية التربية البدنية في ديوان وزارة الأوقاف، وفي سنة ١٩٤٥ أصبح وكيلاً لمدير التربية البدينة.

وبتاريخ ١٩٤٦/١٠/٥ نقلت خدماته إلى وزارة الشؤون الاجتماعية بوظيفة ملاحظ في مديرية العمل والضمان الإجتماعي العامة.

وفي سنة ١٩٤٧ دخل كلية الحقوق المسائية وتخرج منها سنة ١٩٥٢/١٩٥١ وبتاريخ ١٩٤٧/٥/١٩ نقلت خدماته إلى البلاط الملكي ليشغل وظيفة (مساعد رئيس التشريفات الملكية) فيه.

وبتاريخ ٢٥/١٠/ ١٩٥٣ أبدل عنوانه فاصبح (معاوناً لرئيس التشريفات الملكية) وبتاريخ ١٩٥٤/٧/٣ نقل إلى مديرية الدعاية العامة لإشغال منصب (مدير الإذاعة العراقية) .

وبتاريخ ١ /١/ ١٩٥٥ اعيرت خدماته لمدة خمس سنوات إلى منصب معاون (مدير المصرف الزراعي العام).

شارك في الدورة الدراسية الخاصة بمشاكل الإعمار الاقتصادي التي عقدت في لندن وأوكسفورد سنة ١٩٥٦ ولمدة عشرة أسابيع.

بتاريخ ٧/٩/ ١٩٥٨ فصل من الخدمة لمدة سنتين! وبعد مرور ستة أشهر اعترض على فصله لدى لجنة الاعتراضات العليا، فأصدرت قراراً قالت فيه (ان قرار فصل السيد عبد الرزاق الهلالي غير عادل وغير مستند إلى القانون وأوصت بإلغاء قرار الفصل). وأعيد تعيينه في المصرف الزراعي بوظيفة

رئيس المفتشين بتاريخ ١٩٦٠/٦/١ بتاريخ ١٩٦٥/١١/٢٠ أصبح وكيلا لمدير المصرف الزراعي.

وبتاريخ ١٩٦٩/١٠/٣١ أحيل على التقاعد.

وبسبب خدمته في دائرة التشريفات الملكية خلال سبع سنوات ، منح الأوسمة التالية :

١ . وسام الرافدين العراقي الدرجة الخامسة من الصنف المدني .

٢ . وسام أستور الأفغاني الدرجة الثالثة من الصنف المدني .

٣ . وسام الأرز اللبناني الوطني بدرجة فارس من الصنف المدني.

٤ . وسام النهضة الاردني من الدرجة الثالثة من الصنف المدني.

٥ . وسام كوماندير الأسباني.

****

شارك في العديد من المؤتمرات الادبية والإقتصادية في العراق وخارجه وسافر إلى العديد من الدول العربية والأجنبية.

له مؤلفات بلغت حتى كتابة هذه النبذة (٢٤) كتاباً وله بعض الكتب الجاهزة للطبع[١]. ساهم في كتابة المئات من المقالات في الأدب والتاريخ والإجتماع والإقتصاد وهي منشورة في المجلات العراقية والعربية، ينظم الشعر أحياناً.

---

[١] لاحظ قائمة الكتب المطبوعة في آخر الكتاب

المقدمة :

لا أدري كيف خطر لي ، بعد أن عينت في دائرة التشريفات الملكية، أن أبدأ بتسجيل ما مر عليّ من وقائع وأحداث خلال مجرى حياتي الوظيفية، ولكن الذي أذكره بهذا الصدد، أني لم يمض على عملي في البلاط مدة من الزمن حتى أعددت دفتراً كبيراً، رحت اسجل فيه ، ما يمر أمامي من تلك الاحداث في حياتي الوظيفية السابقة، قبل أن يطويها النسيان، فلما وصلت في صفحاتها إلى يوم تعييني في البلاط الملكي وهو ١٩٤٧/٥/١٩ بدأت منذئذ، أسجل ما أخذ يقع أمامي من وقائع وما تجري من أحداث وما أسمع من قصص ونوادر وحكايات وكنت في الوقت نفسه أبحث عن بعض المحاضر السريّة والبيانات الرسمية، التي لها علاقة بتلك الاحداث وأسجل في الدفاتر التي زاد عددها على مر الأيام.

ولما كنت خلال عملي في البلاط الملكي قد عايشت الأحداث السياسية المهمة ووقفت من كثبة على ما كان يجري في البلاط من نشاط سياسي مكثف، كالذي حدث خلال مفاوضات عقد معاهدة (بورث سموث) أو أحداث (القضية الفلسطينية) أو الإنقلابات العسكرية في سوريا أوما إلى ذلك، لكل هذا بدا لي ، أن ما سجلت من هذه الذكريات قد أصبحت ذات قيمة تاريخية مهمة قد يستفيد منها الباحثون في حالة نشرها في المستقبل.

ولما خرجت من العمل في البلاط الملكـــي، بعـد سـبع سـنوات أي يـوم ١٩٥٤/٦/٢٤ لم أتوقف عن اتباع هذه الخطة، بل تابعت تسجيل هذه الذكريـات في عملي الجديد الذي نقلت إليه وهو منصب (مدير الإذاعة).

هذا المنصب الذي لم أبق فيه أكثر من أربعين يوماً، إذ أعيرت خدماتي إلـى المصرف الزراعي، إعتباراً من يـوم ١٩٥٥/٨/١ وبقيـت فـي خدمـة هـذا المصرف خمسة عشر عاماً كنت خلال السنوات الأربع الأخيرة منـها (مديـراً عاماً) له، وفي شهر تشرين الاول سنة ١٩٦٩ أحلت على التقاعد.

وعندما تحررت من قيود الوظيفة بعد هذا التاريخ، رجعـت إلـى دفـاتري العتيقة فإذا أنا أمام سجل حافل بالذكريات والصور الطريفـة، فخطـر لـي أن أنسق تلك الذكريات تمهيداً لأخراجها في قادم الأيـام، كتابـاً قائمـاً بذاتـه يحمـل عنوان (حديث الذكريات) .

وحدث أن زارني ذات يوم، أحد الأصدقاء ، فلما إطلع على هذه المخطوطـة، ووقع نظره على ما سجلت من ذكريات خلال عملي فـي دائـرة (التشـريفات الملكية) قال :

- ان في هذه الذكريات أحداثاً ووقائع تاريخية طريفة، من الخير والمفيد ان تخرجها كتاباً خاصاً .

وسيكون كتابك هذا كتاباً متميزاً عن بقية كتب المذكرات لعدة أسباب أهمها:

١ . انها سجلت بقلمك وأسلوبك المتميز.

٢ . أنها تكشف عن كثير من الحقائق والوقائع التي لا تـزال خافيـة عـن الناس.

٣ . إنها نتيجة ما رأيت وما سمعت خلال هذه السنوات السبع.

ولما سمعت هذا الإقتراح قلت :

- إنها لفكرة جيدة، سوف أستجيب لها ان شاء الله.

وهكذا رحت أستخرج تلك الصفحات من الكتاب (الأم)وهو كتاب (حديث الذكريات) .

والآن وبعد ان أصبحت هذه الذكريات جاهزة للطبع بالعنوان الذي أقترحه ذلك الصديق، أود أن أبين للقارئ بعض الملاحظات التي توضح له الإسلوب الذي اتبعته في تسجيل هذه الذكريات وهو :

١ . إني وأنا أسجل هذه الذكريات، لم أكن أضفي على نفسي، ستاراً فضفاضاً، بل كنت أسجل وأنا عارف بأني لم أكن إلا موظفاً صغيراً في تلك الدائرة.

٢ . إتخذت عند تسجيلي الوقائع والأحداث، موقف المؤرخ المحايد، ولم أترك لعاطفتي الخاصة أن توجه هذا الحدث أو ذاك وجهة بعيدة عن الواقع ولم أحاول أن أجعل من نفسي بطلاً له ضلع كبير في صنع تلك الأحداث.

٣ . ما كنت أرغب في ذكر الأسماء ولكني مع هذا ذكرت بعضاً منها، لأن القصة أو الواقعة إستوجبت ذلك، فمعذرة من هؤلاء إذا كنت خالفت تلك القاعدة.

٤ . لقد ضممت مع هذه الذكريات محاضر بعض الإجتماعات السياسية التي عقدت في قصر الرحاب أو البلاط الملكي، نظراً لأهميتها التاريخية.

٥ . أن ما سجلت كما قلت هو ما رأيت وما سمعت، فاذا وجد فيها بعض القراء، خلافاً أو سهواً فعذري هو ان هذا الذي سجلت في حينه ولم يكن بعلمي غير ذلك.

وبعد : فهذا هو كتاب يتناول عمل سبع سنوات في التشريفات الملكية في العراق تلك الخدمة التي أبتدت من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٥٤ .أرجو أن يجد القارئ في صفحاتها شيئاً من المنفعة والتسلية والعبرة، تلك هي ذكرياتي عن تلك السنوات الطوال أقدمها وانا شاعر بأن ما في هذه الصفحات خدمة

للحقيقة والتاريخ، وليعلم القارئ بعد هذا، أني لم أكن اهدف من وراء هذا التسجيل إلى نيل مطمع أو تحقيق غاية غير ما ذكرت .

وختاماً ليس لي إلا ان أقول :

((ربنا لا تواخذنا إن نسينا أو اخطأنا، وارحمنا واعف عنا، أنك أنت المولى وأنت النصير)) والسلام.

عبد الرزاق الهلالي

بغداد ٣٠ / ٤ / ١٩٧٨

حديث الذكريات

قلت في مقدمة هذا الكتاب، أن هذه الصفحات التي أضعها بين يدي القارئ، ما هي إلا جزء من مقطع من الكتاب المخطوط الذي سجلت فيه ذكرياتي عن حياتي في خدمة الدولة التي ابتدأت منذ عام ١٩٤٠ وانتهت في سنة ١٩٦٩، وجعلت له عنواناً هو (من حديث الذكريات).

وعلى هذا تكون ذكرياتي في هذه الصفحات هي تلك التي سجلتها عن خدمتي في (دائرة التشريفات الملكية) التي بدأت في صيف عام ١٩٤٧ وانتهت في صيف عام ١٩٥٤ولكي يكون القارئ عارفاً بخدماتي التي سبقت هذه الخدمة فهاأنذا الخصها وفق ما يلي :

دخلت في خدمة الحكومة بعد تخرجي مدرساً من دار المعلمين العالية سنة ١٩٤١ حيث عينت مدرساً في دار المعلمين الريفية في الرستمية وفي سنة ١٩٤٢ عينت معاوناً لمدير دار المعلمين الريفية في أبي غريب، وفي سنة ١٩٤٣ نقلت إلى وظيفة معاون مدير معهد التربية البدنية في بغداد، وبعد سنة نقلت إلى وظيفة ملاحظ في مديرية التربية البدنية في وزارة المعارف، وبعد حوالي السنتين أصبحت وكيلاً لمدير التربية البدنية، وبقيت في هذا المنصب أكثر من سنتين.

والذي أذكره بعد ذاك أن أحد الأشخاص من المختصين بالرياضة البدنية، سعى جاهداً ليحل محلي، وتجاه هذا الوضع قررت أن أترك العمل في وزارة المعارف غير آسف على شيء، وكما قلت للوزير وكان أنذاك (المرحوم نوري

القاضي) أني أريد الخروج من المعارف قال : والله يا ولدي أنت شاب ممتاز ولكن ما العمل إذا كان أرشد باشا[1] يلح على تعيين هذا الرجل مكانك.

وثق اني سوف أوجه لك كتاب شكر إذا نقلت من المعارف تقديراً لخدماتك فيها. ولهذا رحت أبحث عن مكان أنقل اليه خدماتي، فوفقت في ذلك، إذ نقلت إلى مديرية العمل والضمان الإجتماعي العامة.

بتاريخ ٢ / ١٠ / ١٩٤٦ حيث أسند إلي منصب (ملاحظ النقابات) في مديرية العمل والضمان الإجتماعي العامة، عندما كان المرحوم الاستاذ هاشم جواد، مديراً عاماً لها. ومن الطريف أن أذكر هنا أن وزارة المعارف وهي توافق على هذا النقل كتبت إلى مديرية العمل والشؤون الإجتماعية ، هذا الكتاب :

إلى مديرة العمل والشؤون الإجتماعية

م / نقل موظف

إننا وان كنا نود الإحتفاظ بخدمات السيد عبد الرزاق الهلالي، الملاحظ في ديوان هذه الوزارة، بالنظر إلى حسن خدماته ونشاطه، غير اننا من ناحية ثانية، لا نريد ان نكون مانعاً من اسعاف رغبته، وعليه وافقت على نقل خدمات الموما إليه.))

وزير المعارف

نوري القاضي

كتاب شكر

ثم أن الوزارة لم تكتف بذلك ، بل وجهت إليّ بتاريخ ١٩٤٦/١٠/١٩ كتاب شكر خاص، هذا نصه : إلى السيد عبد الرزاق الهلالي وكيل مدير التربية

---

[1] هو المرحوم العمري رئيس الوزراء آنذاك.

لبدنية سابقاً : ((تقدر هذه الوزارة الجهود التي بذلتموها طوال إشتغالكم في وكالة مديرية التربية البدنية،ويسرنا أن نشكركم على جهودكم المحمودة))

وزير المعارف

نوري القاضي

ولعل القارئ – لا سيما من له معرفة بالخدمة في دوائر الدولة آنذاك – يستغرب من مثل هذا الشكر يقدم لموظف منقول إلى وزارة أخرى، لأنه لو كان على هذه المزايا فلماذا يوافق الوزير على نقله ؟ وجواباً على ذلك أقول : ان أسباب هذا النقل كانت قوية، ولذلك لم يكن الوزير قادراً على ردها، ولهذا وافق على مضض.

وهكذا نقلت إلى عملي الجديد، وأنا غريب عنه، وكنت في تلك المدة تمنيت لو أني من خريجي (كلية الحقوق) لكنت قدمت استقالتي وإنصرفت للعمل في المحاماة.

في كلية الحقوق

وبينما أنا في مثل هذه الحيرة إذا بوزارة المعارف تفتح الباب على مصراعيه، لدخول كلية الحقوق لجميع حملة الشهادة الثانوية، أما ما يعادلها من السنوات الماضية، فكانت امامي فرصة ذهبية ، إذ سارعت بتسجيل إسمي في هذه الكلية ما دامت الدراسة فيها مسائية ورحت أحضر محاضرات اساتذتها بانتظام.

صور وأحاديث إجتماعية

والذي أذكره عن هذه المدة من حياتي، إني كنت واحداً من كتّاب (جريدة الأخبار) البغدادية التي كان يحررها الاستاذ صاق الأزدي، إذ كنت اكتب فيها

يومياً تقريباً مقالات إجتماعية نقدية تحت عنوان (صور وأحاديث إجتماعيـــة) وقد حدث لي بسبب بعض هذه المقالات مشاكل مع المدعي العام وكـــان آنـــذاك المرحوم عبد العزيز الخياط.

أنا مطلوب في الشرطة

ولما أوشك الإمتحان النهائي للسنة الاولى من كلية الحقوق، على الإقـتراب، قررت الانصراف والاستعداد له، أخذت إجازة إعتيادية، لشهر واحـــد، ورحـت أدرس مع بعض زملاء الكلية في المقهى البرازيلية في محلة السنك، وذلك منـذ الصباح الباكر وحتى المساء من كل يوم.

ولما عدت إلى بيتي ذات مساء، قالت لي زوجتي أن شـــرطياً جـاء يسـأل عنك، ولما سألته عن السبب قال : ان معاون شرطة الأعظمية يريده .

ولما كان هذا المعاون رحمه الله من معاوني الشـــرطة المخيفيـن آنـذاك، وأعني به المرحوم (محي الدين عبد الرحمن) فقد ركبني الخوف من جـــراء هذا الإستدعاء، ورحت أضرب أخماساً بأسداس، وبينما أنا أفكر بالأمر ســمعت زوجتي تعاتبني قائلة :

- هذا كله من وراء تلك الجريدة وإلا فما أنت ومشاكل الناس والمجتمـع ماذا أفدت منها غير (شلعان) القلب ؟

قلت : إصبري يا عزيزتي فالصباح رباح كما يقولون.

ثم أصبح الصباح، وسارعت إلى معاونية شرطة الأعظمية ويدي على قلبـي فلما قابلت المعاون، رأيته هاشاً باشاً ثم رحب بي قائلاً :

- أهلاً بك يا استاذ .. هاي أنت وين ؟ صارلنا اسبوع ونحن ندور عليك .

قلت : خير إن شاء الله، ماذا تريدون مني ؟

قال :

– إحنا نريد شيء منك ؟ ولكن البلاط خبصنا فقد اتصل بنا الاستاذ أحمد زكي المدرس وكيل رئيس التشريفات الملكية، وطلب إلينا أن نبحث عنك. وعندما سمعت هذا الكلام، زادت مخاوفي هذه المرة أكثر، إذ ما علاقتي بالبلاط، فلا بد أنهم قد حسبوا بعض مقالاتي ماساً بأحد من المسؤولين الكبار عندهم.

ولما عرفت أن البلاط هو الذي يريدني، قلت للمعاون، اذن إتصل بالاستاذ المدرس، وقل له أني قادم إليه، فلما كلمه، سمعته يرحب بقدومي.

ولهذا ودعته، وركبت الباص مسرعاً إلى البلاط، وهناك طلبت مقابلة الاستاذ المدرس، فلما رآني رحب بي ترحيباً حاراً وقال :

– هاي أنت وينك يا استاذ ؟ قلت : خيراً ؟ قال :

– ان رئيس الديوان الملكي الاستاذ (أحمد مختار بابان) أمرنا أن نبحث عنك، وهو يريد مقابلتك.

قلت : وماذا يريد مني ؟ قال : لا أدري ، ولكن هيا بنا لمقابلته .

ثم أخذ بيدي، وسرت معه قاصدين رئيس الديوان...

مساعد رئيس التشريفات

ولما إستأذنا بالدخول، رحب بي، وقال :

– اسمع يا استاذ عبد الرزاق، لقد قررنا أن تكون أحد موظفي البلاط الملكي، نظراً لما سمعنا عنك وما عرفناه عنك لا سيما في الدورات الصيفية التي كنت تقيمها (عندما كنت في وزارة المعارف) في مصيف سرسنك، ويشرفها سيدنا الملك والوصي كما تعلم، فماذا تقول ؟

قلت :

- لي يا سيدي في قبول العمل معكم مطلبان، قال ما هما ؟

قلت :

- أني طالب في كلية الحقوق ولا بد لي من الإستمرار في الدراسة وأخشى أن يكون عملي معكم يضيع عليَّ هذه الفرصة.

ثم إني أستحق الترفيع إلى درجة (٢٥) دينار بعد بضعة أسابيع فلا بد أن تكون من هذين الشرطين، ضحك وقال : أنهما بسيطان، فلك أن تستمر على الدوام في الكلية، وان ترفيعك سوف يصدر في موعده، فلا تخف.

قلت : إذا كان الامر كذلك، فما هي الوظيفة التي سوف أشغلها ؟

قال :

- بما أن راتبك الآن (٢١) ديناراً فسوف تعين (ملاحظاً) .

ولكن سيصدر أمر في نفس الوقت لتقوم بأعمال (مساعد رئيس التشريفات الملكية) وكالة، ثم تثبت به حال ترفيعك

قلت :

- أني موافق .

وهنا رفع سماعة التلفون وطلب المرحوم جميل عبد الوهاب وزير الشؤون الإجتماعية، وكان آنذاك في المجلس النيابي، فلما حضر قص عليه رغبة البلاط الملكي في نقلي من وزارته، فوافق الرجل، وبناء على تلك الموافقة التلفونية صدر الامر الديواني بنقل خدماتي إلى البلاط الملكي بتاريخ (١٩٤٧/٥/١٩) إلى وظيفة (ملاحظ) وفي الوقت نفسه كنت اقوم بواجبات (مساعد رئيس التشريفات الملكية) في دائرة التشريفات.

لماذا إختاروني ؟

وباشرت عملي، في دائرة التشريفات الملكية، ورحت أعمـل تحـت إرشـاد الاستاذ المدرس، وكيل رئيس التشريفات، إذ كانت وظيفته الأصلية هي منصـب (معاون رئيسّ الديوان الملكي).

البلاط والدسائس

وكـنت أعـرف فـي البلاط الملكي آنذاك رجـلاً غير الاسـتاذ المـدرس، هو (معمر حسين) تعرفت عليه من الدورات الصيفية التي كنـا نقيمـها فـي سرسنك، وكان هذا الرجل من بين حاشية الوصي عبد الإله ، التي تفد معه إلـى تلك الربوع.

وحيث أني كنت أسمع وأقرأ في بعض الصحف أنه سكرتير البلاط الملكـي، فقد كانت نظرتي له، تتفق وهذا المنصب، فلما صدر أمر تعييني فـي البـلاط، سألت عن هذا السكرتير فقيل لي : انه ليس كذلك، بل هو (معـاون ملاحـظ) بالمكتبة فاستغربت، فقيل لي: لا تستغرب لأن هذا الرجل هو الذي يضفي علـى نفسه هذا اللقب الكبير.

ولما عرفت هذه الحقيقة من أول يوم، قلت: لا بد لي من ان أكون على حذر منه، ومع هذا قلت لو قابلته، فقد أفيد من نصائحه لا سيما وهـو أديـب كمـا يدعي.

ثم قابلته ورحب بي أجمل ترحيب، وأخذ يقص عليّ كيف أنـه هـو الـذي رشحني لهذا العمل، فقلت له :

شكراً لك يا استاذ، وأرجو أن لا تبخل عليّ بنصائحك.

هـنا إعتدل في جلسته وراح يحذرني من العمل في البلاط الملكي قائلاً : لا شك انك يا استاذ قد قرأت ما كان يدور في بلاط السلطان عبد الحميد من الدسائس والمؤامرات ؟ قلت :

- نعم ، قرأت ولكن ما علاقتها بعملي هنا ؟

فضحك وقال : لا ، يبين أنت على نيتك، وما تعرف أي شيء عن العمل في هذا البلاط، انه يا أخي محوط بالدسائس أيضاً واياك أن تكون ساذجاً إلى هذا الحد.

قلت : وماأنا وهذه الدسائس ؟ إن عملي في التشريفات بسيط.

قال :

- لا يا مسكين اسمع، هناك دساسون ومتآمرون كثيرون.

قلت :

- الذي أعرفه، ان في البلاط، من الموظفين، عدداً صغيراً لا يتجاوز الخمسة موظفين، فأين هؤلاء من موظفي بلاط عبد الحميد ؟

قال :

- ليست العبرة بالعدد، ولهذا كن على حذر.

قلت :

- شكراً ، وقبل أن أغادر غرفته قال لي :

- نصيحتي لك أن لا تقدم على أي عمل، ما لم تأخذ رأيي فيه، وإلا وقعت في مشاكل كثيرة.

قلت :

- من الغريب ان أسمع منك هذا الكلام بينما البلاط كما أرى يجب أن يكون فوق الميول والإتجاهات .

قال :

- هذا كلام فارغ.

وهنا وعدته وخرجت، ولما جلست في غرفتي رحت استعيد هـذا الحديث، وانا في أشد حالات الإستغراب، ولكن سرعان ما تجاوزت هذه النصائح لا سيما بعد أن علمت من الأخوان العاملين في البلاط، دخائل هذا الرجل، ثم عرفت بعد ذاك وجهة نظر الوصي عبد الإله نفسه فيه، ولهذا تركته ولم أعره إهتماماً، إلا أنني وأقولها للتاريخ، تحملت منه كثيراً من المتاعب والمشاكل وهو ما لا أريد ذكره في هذه الذكريات.

تحسين قدري

... قلت أن الاستاذ أحمد زكي المدرس، كان يقوم بأعمال رئيس التشريفات الملكية وكالة، وقد بقي في هذا العمل مدة من الزمن، إلى أن صدرت الإدارة الملكية بتعيين (الاستاذ تحسين قدري) رئيساً لهذه الدائرة منقولاً من المفوضية العراقية في باريس، فلما تسلم واجبات وظيفته هذه، وهي ليست جديدة عليه طبعاً فقد سبق أن شغلها مرات عدة، في عهد الملكين ، فيصل الأول وغازي الاول، عاد الأستاذ المدرس إلى وظيفته الأصلية.

ومن الجدير بالذكر أن السيد تحسين قدري، ظل يعمل في هذا المنصب طوال المدة التي قضيتها في دائرة التشريفات الملكية، وهي سبع سنوات، مع انقطاع بسيط وذلك عندما نقل سفيراً للعراق في طهران، قبيل زيارة الوصي لها في الخمسينات وقضى هناك مدة قصيرة جداً، عاد بعدها إلى البلاط الملكي.

وكانت خدمتي في هذه الدائرة، تحت رئاسته، فرصة طيبة، عرفت فيها هذا الرجل البسيط، ووقفت خلالها على ما كان يتمتع به بعد ان قابلته في ميدان عمله، وظهر لي بالتجربة أنه رجل دمث الأخلاق، صافي السريرة، تغلب الطيبة

على قلبه،محب للخير راغب في مساعدة الناس، بعيد عـــن مزالـــق السياســـة وأحابيلها ولعل هذه السيرة، وهذه السجايا ، هي التي جعلته يعمل مع ثلاثة من الملوك ومع الوصي عبد الإله، ويكون موضع رضاهم في أغلب الأحيان.

كما أن إلمامه بشؤون (البروتوكول) وما يتصل بها من عرف ونظـــام هـــو الذي جعله ناجحاً في عمله، ولهذا كنا نفيد من خبرة هذا الرئيس، الـــذي كـــان يعاملنا معاملة الأب لأبنائه، لا الرئيس لمرؤوسيه. وخلال فترة عملـــي معـــه، ووقفت على بعض الجوانب الطريفة من شخصيته، لا سيما تلك التي لها طرافـــة النادرة وطلاوة النكتة.

ما هي واجبات التشريفات ؟!

.. ليس لهذه الواجبات نظام معين، بل أن أكثرها كان يجري على وفق مـــا تقتضـــي به أنظمة (البروتوكول) أو مراسم التشريفات المعمـــول بـــها فـــي الخارج .

ولما كانت هذه الواجبات قد استقرت على شيء معروف منذ قيـــام الملكيـــة في العراق، حتى دخولي للعمل في البلاط، فبالأمكان أن أدرج أهمها فيما يلـــي، لكي يأخذ القارئ فكرة عن هذه الواجبات.

ومن الجدير أن أذكر هنا، أننا ونحن نقوم بها، كنا نقـــوم ببعضـــها أثنـــاء الدوام الرسمي، وبعضها الآخر خارج الدوام، كما كنا نقوم بها عند حلول شـــهر رمضان والعيدين وفي العطل والأعياد الوطنية فضلاً عن المناســـبات الطارئـــة الأخرى.

وأهم هذه الواجبات هي كما يلي :

أولا : تنظيم المقابلات الشخصية مع الوصي.

وكانت هذه المقابلات تجري على ثلاثة مستويات هي :

١ . مقابلات رجال السلك الدبلوماسي في العراق، وبعض الزوار الأجانب.

وهذه تشمل تقديم أوراق إعتماد السفراء والوزراء المفوضين المعينين حديثاً في العراق، ففي هذه الحالة يتم تحديد موعد تقديم هذه الأوراق بالاتفاق مع دائرة التشريفات في وزارة الخارجية وفي اليوم المحدد يصحب السفير أو الوزير المفوض الجديد موكب رسمي تسر امامه كوكبة من الحرس الملكي وذلك من دائرة السفارة حتى البلاط الملكي، ويكون لباس الجميع في هذا الإستقبال (البونجور) عادة أو (الفراك) مع الأوسمة.

وعندما يصل الموكب إلى البلاط، يكون رئيس التشريفات أو من يقوم مقامه باستقبال السفير أو الوزير المفوض، وعندما يترجل الجميع من السيارات تعزف الموسيقى السلامين الوطنيين، وبعد تفتيش ثلة الحرس، يقاد السفير أو المفوض، إلى قاعة الإستقبال، وبعد شرب المرطبات، يقاد السفير لمقابلة الوصي، لتقديم أوراق اعتماده ثم بعد تلاوة ما في الكتاب، يقدم بقية أعضاء السفارة، وبعد محادثة قصيرة، يخرج إلى الصالة من جديد، ثم يغادر الموكب البلاط من حيث أتى.

وفي المساء تصدر دائرة التشريفات الملكية بياناً بذلك يذاع في اذاعة بغداد وينشر في جرائد اليوم التالي.

أما الزوار الأجانب، فاذا كانوا من كبار الشخصيات فيجري طلب تسجيل موعد المقابلة من قبل السفير او الوزير المفوض عن طريق رئيس التشريفات الملكية فيحضر المقابلة السفير مع الضيف، بينما الأجانب الآخرون تجري طلباتهم من قبل رئيس التشريفات مباشرة.

٢ . مقابلات الوزراء وكبار موظفي الدولة.

وجرت العادة في هذه المقابلات أن تكون في الحالات التالية :

أ . عند تشكيل الوزارة الجديدة.

حيث يأتي رئيس الوزراء مع اعضاء وزارته بملابس (البونجـور) لمقابلـة الوصي أو الملك، شاكرين له ثقتهم به، وتلقي توجيهاته في العمل.

ب . مقابلات الوزراء الفردية .

وتكون هذه المقابلات خلال ثلاثة من أيام الاسبوع، والذي أذكـره أن هـذه المقابلات كانت تجري في ايام الأحد والثلاثاء والخميس، إذ وزع الوزراء علـى هذه الأيام. وحضور الوزراء ضروري، لأنهم لابـد لـهم أن يعرضـوا علـى الوصي ما جرى خلال الاسبوع من اعمال في وزاراتهم، وتلقي التوجيـهات أو الإقتراحات الخاصة بكل منهم.

ج. مقابلات كبار رجال الدولة .

وجرت العادة كذلك أن يحضر في بعض الأحيان كبار رجال الدولة، من قـادة فرق أو ألوية، ومتصرفين ومفتشين عامين، ومدراء عامين يعينون لأول مـرة لرفع الشكر ولتلقي التوجيهات.

٣ . تنظيم مقابلات الأعيان والنواب.

وهذه تجري عادة عندما تصدر الإرادة الملكية بتعيين أحدهـم عضـواً فـي مجلس الأعيان لتقديم الشكر على تعيينه.

أما النواب والأعيان، فانهم قد يطلبون مقابلة الوصي في مناسـبات شـتى ولهذا تسجل أسماؤهم ويخبر كل واحد منهم بالموعد المحدد له.

٤ . تنظيم مقابلات الأهلين .

وتجري مقابلات بعض الشخصيات غير الحكومية أو وجهاء المـدن وقـادة الأحزاب ورؤساء الوزارات السابقون وغيرهم من أصحاب المصالح من أبنـاء الشعب على وفق مواعيد خاصة أيضاً وقد خصص لهذه المقابلات على ما أذكـر أيام السبت والإثنين والأربعاء من كل أسبوع.

سجل بطلب المقابلة.

ولما كانت القائمة اليومية للمقابلة لا تضم في الغالب أكثر من ١٢ شخصاً، فقد درجت دائرة التشريفات على تنظيم سجل، يسجل فيه أسم طالب المقابلة مع عنوان ورقم تلفون لكي يسهل الإتصال به في حالة تحديد موعد للمقابلة، وهذا ما كنا نقوم به نحن موظفي التشريفات بعد ظهر كل يوم.

ومن المهم أن أشير هنا إلى أن بعض طالبي المقابلة، قد ترفض مقابلاتهم من قبل الوصي، لسبب من الأسباب، ولكننا لا نبين لهم ذلك بصراحة، بل نماطل وندعي أن الوقت لم يحن لهم لكثرة أشغال الوصي.وهكذا تكثر مراجعاتهم بدون جدوى.

ولابد أن أبين هنا، ان أي شخص من الأهلين، يطلب المقابلة عليه أن يبين لنا ماذا يريد من هذه المقابلة بصراحة، لكي يعلم بها الوصي قبل المقابلة.

وفي جميع هذه الحالات كنا نقوم بتقديم هؤلاء الذوات إلى الوصي في الموعد المحدد لكل منهم.

ثانياً : واجبات التشريفات خارج الدوام . وهناك واجبات أخرى، يجري تنفيذها خارج اوقات الدوام الرسمي، وهذه الواجبات تشمل :

١ . حضور مجلس الفاتحة المقام على أرواح بعض الشخصيات في بغداد، لرفع التعازي إلى ذوي الفقيد باسم الوصي، فقد جرت العادة أن تخبر دائرة التشريفات الملكية بحدوث الوفاة، فاذا كان المتوفى أو المتوفاة شخصية أو لها صلة بشخصية كبيرة، يخبر الوصي، فاذا أمر بحضور مجلس الفاتحة، يكلف أحد موظفي التشريفات لحضور مجلس الفاتحة، وكنت أنا الموظف الأكثر ايفاداً لمثل هذه المناسبات ولي بسببها طرائف سأذكر بعضها بعد حين.

٢ . عيادة المرضى : ومن الواجبات التي تحدث بعد الدوام عادة، ايفاد أحد موظفي التشريفات لزيارة المستشفى أو دار الشخصية المريض، لإبلاغ

تمنيات الوصي له بالصحة والشفاء. وجرت العادة، أن تصدر دائرة التشريفات، بياناً رسمياً يذكر فيه أسم الشخص الموفد، وكنت أكثر الموظفين، ايفاداً بهذه المناسبات أيضاً، ولهذا احتفظ ببعض النكات التي أطلقها بعض الأصدقاء عليّ وسأروي إحداها بعد حين.

٣ . سجل التشريفات الملكية .

... ويوجد سجل خاص، يسجل فيه أسماء المهنئين في بعض المناسبات كحلول شهر رمضان أو العيدين، أو الأعياد الوطنية.

وعلى موظفي التشريفات الحضور إلى البلاط للإشراف على الدفتر والترحيب بالقادمين إلى البلاط لتسجيل أسماءهم. وفي هذه المناسبات، بعض الصور الطريفة سأذكرها بعد حين.

ثالثاً : أعمال وواجبات كتابية.

ومن الواجبات الأخرى هي القيام ببعض الأعمال الكتابية وإعداد صيغ الترتيبات المتبادلة مع الملوك والرؤساء والأمراء وبين الوصي، وكذلك كتابة بعض الكتب والخطب التي يلقيها الوصي في بعض المناسبات وفي كل هذه الاعمال لي نصيب كبير كما سنرى.

طرائف نوادر

يطيب لي، أن أروي بعض الوقائع والطرائف التي حدثت أثناء تأدية هذه الواجبات وأروي أهمها وفق ما يلي :

أولاً : طلبات غريبة

ومما أذكره أن أحد الأشخاص الذين طلبوا مقابلة الوصي عبد الإله، أنه لما جلس في غرفتي وطلب مقابلة الوصي، سألته عن غرضه من هذه المقابلة، فتردد في الإفصاح عنه، وبعد الإلحاح قال :

- تريـد الصـدق يا استاذ.. لقد جئت أطلب تعييني رئيسـاً للبلديـة فـي قضاء .. فلما سمعت منه ذلك، قلت له :

- هل انت حامل شهادة عالية، قال : لماذا ؟ قلت : لأن القـانون لا يجـيز تعيين أي أحد في هذا المنصب ما لم يكن حاملاً لشهادة عالية.

وهنا نظر إليّ نظرة أسى ثم قال :

- أنا مع الأسف لا أحمل أية شهادة، ولذلك طارت مني الوظيفة.

قلت : هذا حظك، ثم ظننت أنه سوف يغادر الغرفة، ولكني كنت على خطـأ، لأنه سرعان ما راح يتكلم ويقول :

- استاذ الله يخليك ... ما دام آني هنا في البلاط فلا بـد لـي مـن رؤيـة الوصي.

قلت : لماذا ؟ قال :

- أريد أن أتوسطه لكي يأمر بتعييني إمامياً بالجيش.

فلما سمعت هذا الطلب، قلت في نفسي دعني أماشيه وهنا سألته :

- ولكن أتدري ما يجب أن يتصف به (الإمامي) وكيف يتم تعيينه؟

قال : كلا .

قالت : إن عليه أن يكون ملماً بعلوم الدين، حافظاً للقرآن، عارفـاً بـاصول الفقه وما إلى ذلك، فهل أنت على معرفة بهذه الأمور ؟

قال : لا والله ما أعرف منها شيئاً.

قلت : إذن تعيينك في هذه الوظيفة صعب أيضاً.

وهنا قال : وماذا أعمل يا أستاذ ؟ قلت : إن الأمـر يخصـك ولا يمكـن أن تقابل الوصي.

فلما سمع كلامي هذا قال مستعطفاً :

- أرجوك يا أستاذ أن تساعدني حتى أعين (شرطي مرور) !!

وعند ذلك قلت له :

- هذا طلب رخيص ولكن قل لي لماذا تريد أن تصبح شرطي مرور ؟

قال :

- لأن ملابس شرطة المرور كشخة بالصيف والشتاء.

قلت له : ما دام الأمر كذلك فلسوف أكتب لك رسالة توصية إلى مدير شرطة المرور وبالفعل كتبت له، فلما أخذ الرسالة، ودعني وهو يقول : أشكرك جداً يا أستاذ، ولما خرج إتصلت تلفونياً بالمدير وقصصت عليه قصة الرجل الذي سوف يأتيه برسالتي ورجوته أن يصرفه بالحسنى.

ثانياً : الشيخ المتوفاة زوجته

وأذكر أحد شيوخ لواء الديوانية[1]، توفيت زوجته، فاتصل متصرف اللواء برئيس التشريفات مستفسراً إن كان يحضر مجلس الفاتحة باسم الوصي، فاستمهله وقال سوف أخبرك بعد حين ريثما آخذ رأي الوصي.

فلما أغلق السماعة، سألني إن كان من الواجب إرسال المتصرف إلى الفاتحة، فقلت، لا أرى موجباً لذلك، فقال لماذا ؟ قلت : ربما أن لهذا الشيخ أكثر من زوجة واحدة، فهل علينا أن نرسل من يعزيه كلما ماتت واحدة منهن ؟ قال : هذا معقول ولذلك سأخبر المتصرف بالرفض.

واتصل المتصرف من جديد، فاخبر بالأمر وأنتهى كل شيء.

اما الشيخ فقد تأثر وإعتبر رئيس التشريفات مسؤولاً عن هذا الإغفال ولذلك راح ينتظر الفرصة للإنتقام منه ومن موظفيه وحدث أن جاء إلى بغداد الأستاذ نجيب الراوي (سفير العراق في مصر) فاهتبل هذه الفرصة وأقام له في فندق سميراميس دعوة عشاء دعا إليها عدداً كبيراً من شخصيات بغداد، ولكنه

---

[1] أصبح الآن يسمى بمحافظة القادسية.

لم يدع رئيس التشريفات أو أي أحد من موظفيه، وكان المسكين يعتقد انه إنتقم منا فأراح بذلك نفسه.

ثالثاً : أستاذ يمدد مجلس الفاتحة !

ومن الطرائف التي لا أزال أحفظها تلك الصورة التي بطلها نائب مات أبوه، فاتصل بالبلاط لعله يرسل من يحضر مجلس الفاتحة باسم الوصي ولكن بدون جدوى، ولما كان هذا الموضوع حيوياً بالنسبة له، راح يتوسط لدى بعض الوزراء لعلهم يقنعون (تحسين قدري) على إرسال أحد موظفيه إلى مجلس الفاتحة، واستمرت تلك الوساطة حتى اليوم الثالث.

وبينما كنت في بيتي إتصل بي تحسين قدري ضاحكاً وهو يقول

- هلالي، أرجوك تروح إلى مجلس الفاتحة وتخلصنا.

فلما نظرت إلى ساعتي رأيتها قد تجاوزت الثامنة والنصف مساءً فقلت له :

يا باشا الوقت متأخر والفاتحة تختتم عادة بعد الساعة الثامنة في اليوم الثالث، فكيف أذهب !؟ قال : لا.. لا تخاف ، لقد قال لي الأستاذ أن المجلس سوف لا يختم إلى أن يحضر ممثل البلاط.

قلت : طيب أمرك... ها أنا ذاهب في الحال وأمري إلى الله.

رابعاً . إسمي بطتين ...!

وأذكر من صور سجل التشريفات أني كنت في أحد الأعياد واقفاً قرب السجل فجاء الشيخ حميد الحمود .. نائب البصرة، مع بعض زملائه، وحيث أنه رحمه الله لم يكن يقرأ أو يكتب طلب من أحد زملائه من نواب البصرة، أن يسجل أسمه، فكتب هذا الزميل أسمه هكذا سهواً (عبد الرزاق حمود) .

فلما رأيت ذلك وانا أعرف أن الشيخ حميد لا يستلطف الأستاذ عبد الرزاق ولا يوده، قلت متسائلاً :

- شوف شيخ حميد، هذا شلون سجل إسمك، سجله عبد الرزاق حمود !

فلما سمع ما قلت قال :

- ولك شسويت ! ثم إلتفت إلي قائلاً :

تره آني هم عرفت أنه سجل أسم غيري، ؟ قلت كيف ؟ قال :

- إنهما يمثلان بطتين ، وحدة تنكر الثانية !!

فلما سمعت وسمع بقية الحاضرين منه هذا الوصف اللطيف ضحكوا وقالوا : - بارك الله فيك شيخنا شلون دبرتها .

خامساً : وأمرهم شورى بينهم

ومن الطرائف التي أذكرها، أن الشيخ المرحوم عبد الواحد الحاج سكر حين حضر لمقابلة الوصي عبد الإله حسب الموعد المحدد له، جلس في غرفة الإنتظار قبل الموعد، فنظر إلى ما في الغرفة فوجد فيها الآية التي تقول :

((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا))

والثانية ((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)) فلما تمعن الشيخ بكل منهما راح يهز يده ويقول :

- هلالي، ليش حاطين هالقطعتين هنا؟ تخلوها حتى تخوفونا ؟ ليش ما تخلوا بمكانها الآية التي تقول :

- ((وامرهم شورى بينهم)) . فلما سمعت ذلك منه قلت :

- والله يا أبو راهي .. هذا خوش اقتراح، وحيث أنك سوف تقابل الوصي بعد دقائق.. أنا أشوف تقترح عليه ذلك.

فلما سمع كلامي قال ضاحكاً :

- بوية شلّي بهلطلابة ... خليها سنطة.

الملك فيصل الثاني

وحين دخلت للعمل في التشريفات الملكيــة، كــان عـــمر الملــك فيصــل الثاني حوالي (١٢) عاماً وكانت امه وخاله الوصي، قد قررا أن يتلقى بعــض الدروس الأولية في البلاط الملكي ولذلك، أختير له بعــض الأســاتذة لتعليمــه بعض العلوم الأولية، كاللغة العربية والحســاب والديــن والرســم والرياضــة البدنية.

ثم تقرر إرساله إلى إنكلترا للإلتحاق بمدرسة (ساندرويد) فسافر مع أمــه وخاله في صيف سنة ١٩٤٧ ، وبعد دراسة سنتين في هذه المدرســة، أنــهى دراسته بتفوق، ثم دخل بعدها أي بتاريخ ١٩٤٩/٥/٧ كليـــة (هــارّو) فــي استانبول وبالنظر لبقاء الملك هناك، إشترت العائلـــة المالكــة داراً لــها فــي استانبول في لندن لتكون على مقربة منه. وبسبب وجود الملك والملكة عاليــة في لندن، كان الوصـــي عبدالإله كثير السفر إلى هناك، لا ســـيما فـــي فصــل الصيف ، وعندما كان يسافر ويغيب لمدة طويلة، ينيب عنه أما عمـــه الأمــير زيد، وأما أن يقيم هيئة للنيابة، تتولى سلطاته الدستورية عند غيابه. ولي مــع الامير زيد، وهيئة النيابة بعض المواقف والطرائف سوف أذكر بعضـــها فيمــا بعد.

الشيخ بشارة الخوري في بغداد

وفي بداية عملي في التشريفات، قام المرحوم الشيخ بشارة الخوري رئيــس الجمهورية اللبنانية، بزيارة رسمية للعراق تلبية للدعوة التـــي وجهــها اليــه الوصي على العرش.فوصل ركب فخامته إلى بغداد يوم ١٩٤٧ /١٠/٢٩ وكــان معه في هذه الزيارة المرحوم رياض الصلح رئيس الوزراء اللبنـــاني وبعــض الوزراء والنواب والصحفيين. فكانت هذه الزيارة الرسمية أول زيــارة جمعــت

فيها معلوماتي في أصول البروتوكول، لا سيما من حيث تنظيم خارطة جلوس المدعوين على المائدة حسب قدمهم.

حفلة البهو الكبرى

وكانت أكبر الحفلات التي أقيمت على شرف هذا الضيف الكبير، تلك الحفلة التي أقيمت في بهو أمانة العاصمة وحضرها مئات من المدعوين وعلى رأسهم الوصي، ورئيس الوزراء وبقية الشخصيات الرسمية وسفراء الدول العربية والاجنبية.

قصيدة الاستاذ الجواهري

وفي هذه الحفلة القى الشاعر محمد مهدي الجواهري قصيدة مرحباً بالشيخ وهي التي مطلعها :

ناغيت لبناناً بشعري جيلاً ونظمته لجبينه إكليلا

وبسبب تأثر الشيخ بشارة بما جاء في هذه القصيدة من مدح له وللبنان إنتزع وسام الإستقلال اللبناني، من رقبة المرحوم الإستاذ حبيب أبو شهلا (وزير المعارف اللبناني) وطوق به عنق الجواهري.

ولما رأى الوصي ما فعل الشيخ سارع هو الآخر وإنتزع وسام الرافدين من رقبة (تحسين قدري) وحاول ان يعلقه برقبة الأستاذ الجواهري أيضاً، ولكنه لم يقدر على ان يشكل كلابتي الوسام ببعضهما فقال له الجواهري ...

- كوره يا سيدي تكويرا !

أهذا هو لبنان الكبير ؟!

ومن الطرائف التي أذكرها عن هذه الزيارة تلك الطريفة التي وقعت في حفلة الغداء التي أقامها الوصي للشيخ وجماعته في حدائق قصر الرحاب.

فقد كنت جالساً على المائدة التي يتوسطها الأستاذ أديب الفرزلي نائب رئيس مجلس النواب اللبناني، وكان على المائدة القريبة منا، المرحوم رياض الصلح رئيس وزراء لبنان. وفي أثناء حديثه قال الأستاذ الفرزلي بصوت عال :

- شو ها لبنان الكبير يا سيدي ؟ غادرنا بيروت في الساعة الثامنة وبعد نصف ساعة وصلنا الحدود ، فأي كبير هذا ؟ صدق من قال ألقاب فخفخة في غير موقعها، فلما سمع رياض الصلح هذا الكلام صاح به قائلاً :

- شو هيدا يا أديب ؟ كيف تحكي على وطنك هيك ؟

فلما سمع الفرزلي تعليقه قال ساخراً :

- تعلمنا في بيروت نحكي هيك، وهللق تعترض عليَ ؟!

فلما سمعنا هذه المحاورة ضحكنا.

لقد جرت العادة بين رؤساء الدول، أنهم في حالة زيارة أحدهم بلد الآخر بدعوة رسمية، يتبادل مع الملك أو الرئيس الداعي الأوسمة ويمنح في الوقت نفسه بعض رجالات الدولة لا سيما الذين لهم علاقة بهذه الزيارة أوسمة ، كل حسب صنفه ورتبته ما بين مدني وعسكري، وبمناسبة هذه الزيارة، منح الشيخ بشارة الأوسمة، وكنت واحداً ممن منحوا (وسام الأرز الوطني) وهو أول وسام أحصل عليه بسبب عملي في التشريفات.

ومن الطريف أن أذكر أننا تسلمنا (براءة) الوسام، دون الوسام نفسه، بدعوى أنهم سوف يبعثون لنا بالوسام من لبنان، ولما رجعوا لم يبعثوا

بالوسام فطلبنا وزارة الخارجية اللبنانية ولم تجب حتى يومنا هذا، ولهذا صح القول أن هذا الوسام كان حبراً على ورق ليس غير.

أحداث سياسية هامة

وفي تلك الأيام، كان على رأس الوزارة العراقية صالح جبر، وأذكر أنه ألقى خطاب في المجلس النيابي يوم ١٩٤٧/٤/١٠ وبين منهاج وزارته قال فيه أن نية وزارته متجهة لتعديل المعاهدة العراقية البريطانية وقال في هذا المنهاج ما نصه :

((العمل على تعديل المعاهدة العراقية – البريطانية على أساس ضمان المصالح المتبادلة بين الند للند، وعلى ضوء مبادئ ونصوص ميثاق هيئة الأمم المتحدة، تعزيزاً للصداقة التقليدية القائمة بين العراق وبريطانيا العظمى)) .

والذي أذكره بمناسبة هذه الشارة، أن الوصي عبد الإله كان قبل تشكيل صالح جبر للوزارة غادر العراق قاصداً لندن للإتصال برجال الحكومة البريطانية وإجراء مشاورات تمهيدية معهم للوقوف على آرائهم بشأن هذا التعديل، ولما عاد إلى العراق، أخبر رئيس الوزراء توفيق السويدي بما وصل إليه مع الجانب البريطاني، فقر الرأي على تشكيل لجنة خاصة، برئاسة رئيس الوزراء وعضوية وزير الدفاع ورئيس أركان الجيش، للدخول في مفاوضات سرية معهم للتوصل إلى بنود جديدة.

وهكذا كانت تجري الأمور بالخفاء دون أن نعرف عنها شيئاً إلى أن قرر الوصي، عقد إجتماع كبير في قصر الرحاب، يحضره عدد من رجال السياسة للتداول معهم بأمر هذا التعديل.

إجتماع في قصر الرحاب

وبناء على أمر الوصي عبد الإله في عقد هذا الإجتماع، قدمت لنا نحن موظفي التشريفات، قائمة بأسماء الذوات الذين علينا الإتصال بهم وأخبارهم بموعد الإجتماع ومكانه.

وقمنا بالفعل بأداء هذه المهمة تلفونياً، وحضر جميع المدعوين إلى قصر الرحاب، مساء يوم ١٩٤٧/١٢/٢٨ والذي أذكره أن الذين حضروا هذا الإجتماع الذي عقد برئاسة الوصي عبد الإله نفسه هم رئيس الوزراء صالح جبر، نوري السعيد، جميل المدفعي، عبد العزيز القصاب، توفيق السويدي، حمدي الباجه جي ، حكمت سليمان، السيد محمد الصدر، أرشد العمري، صادق البصام، الشيخ محمد رضا الشبيبي، السيد عبد المهدي، عمر نظمي. داود الحيدري، نصرت الفارسي، نجيب الراوي، مولود مخلص، بهاء الدين نوري ، ورئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان، وعندما إكتمل عقد المدعوين، رحب بهم الوصي عبد الإله، وطلب من رئيس الديوان، أن يقوم بمهمة ضبط أقوال المتكلمين في هذا الإجتماع، ثم دخل في صلب الموضوع الذي دعاهم من أجله بغية التشاور معهم وأخذ آرائهم في تعديل المعاهدة العراقية – البريطانية.

ولكنه أراد ان يجدد نقاط البحث فوجه إليهم ثلاثة أسئلة وطلب من كل منهم إبداء رأيه بصراحة في كل سؤال، أما هذه الأسئلة فهي :

أولاً : هل أن العراق بحاجة إلى معاهدة تحالف مع دولة أجنبية أم لا ؟

ثانياً : إذا كان في حاجة إلى ذلك فمن هي هذه الدولة الاجنبية ؟

ثالثاً : ما هي الأسس التي يعتبرونها صالحة لهذا التحالف ؟

هذه الأسئلة هي التي جرى حولها النقاش وتبادل الرأي في ذلك الإجتماع الذي إستمر عدة ساعات.

محضر قصر الرحاب

قلت أن الذي حضر هذا الإجتماع الموسع من موظفي البلاط الملكي هو رئيس الديوان، فقط ولذلك لم نكن نعرف شيئاً عما كان يدور في ذلك الإجتماع، ولكنني استطعت بعد إسبوع من عقده الحصول على نسخة من محضر الإجتماع بعد طبعه على الآلة الكاتبة وأحتفظ بهذه النسخة للتاريخ، وها أنذا أسجل ما جاء فيها من أقوال هؤلاء السياسيين، كما ضبطها رئيس الديوان الملكي كما يلي :

داود الحيدري كان أول المتكلمين إذ قال :

– كانت وزارة توفيق السويدي، قد شرعت بموضوع تعديل المعاهدة العراقية – البريطانية وشكلت لجنة لتعيين مواد التعديل، ولهذا نطلب من رئيس الوزراء ومن توفيق السويدي، تنويرنا بالموضوع.

توفيق السويدي :

– كما ذكر داود الحيدري، عندما أخذت المسؤولية، وفكرت وتداولت مع الوصي بأن الوقت قد حان للنظر في (سيستم) المعاهدة مع إنكلترا بشكل جديد، ووضعت فقرة بالمنهاج، بالمفاتحة مع الانكليز على أسس (ميثاق سان فرانسيسكو) وكنت أنتظر المفاوضات المصرية – الإنكليزية ونسير على ضونها، إلا أن الوزارة لم تبق بالحكم والمفاوضات المصرية قد طالت وعندما بحثت في المسألة، شكلت الحكومة لجنة من أربعة وزراء، وإجتمعوا في وزارة الخارجية، والنتيجة موجودة في الخارجية ومجلس الوزراء.

وبنظري أن لا نقول، تعديل المعاهدة، وإنما تعديل الوضع السياسي على أساس ميثاق (سان فرانسيسكو) ، لأن المعاهدة تتصادم وهذه الأسس، وأريد تقديم تقرير اللجنة بان يقال : الدخول بالمفاوضة على أسس عمومية تستقي

مبادؤها من ميثاق سان فرانسيسكو، وأن تكون المعاهدة على أسس صداقـة، والظروف العالمية تتطلب إيجاد وسائل جديدة أخف من السابق.

مثلاً كنا، لا نعرف هيئة الدفاع المشتركة، إنما هو شيء جديد، لأن نتوقـع من الإنكليز بأن يقدموا لنا شيئاً للنظر فيه.وأننا فكرنا في أسس عمومية على أسس صداقة وبيان محذروها وقد نبدي آراء بخصوص الشكل، وأي شـكل لا نجد فيه غضاضة ، والقواعد لا تلائم المادة (٥٠) من الميثاق.

ونفكر كحكومة، لأن الانكليز إذا قالوا أن المعاهدة، باق منها مـدة، لـهم الحق، ونبين لهم ظروفاً نستند عليـها لأنـهم بعيـن الذهنيـة دخلـوا مـع المصريين، والمدة الباقية، اذا أمكن اتخاذ تدابير ملائمة لنا وللظروف وإلـى مدة المعاهدة، وانها لم تدون كوثائق.

والحكومة التي جاءت بعدنا[١] قالت، انهـا مؤقتة، ولم تدخل بالمفاوضـات والتي بعدها (وزارة صالح جبر) هي التي ذكـرت فـي منهاجـها، تعديـل المعاهدة، ولا ندري ماذا جرى بعد ذلك ؟ واطلب من رئيس الوزراء أن يبيـن لنا، إلى أي مرحلة وصلت الحكومة بالمفاوضات، حتى نستطيع إبداء الرأي.

صالح جبر – رئيس الوزراء :

– الغرض من الاجتماع، كما أمـر الوصـي، هـو الاسـتنارة مـن آراء الحاضرين، ولم ندخل بمفاوضات جدية، والحكومة ليس باستطاعتها ان تذكـر شيئاً، لأنه لم يتم أي شيء، واني لست بوضع استطيع فيه ان أذكـر شـيئاً، وإنما الأخوان يبينوا للوصي، الأسس التي يجب أن تؤخـذ بنظـر الإعتبـار، وأتأسف لأني لا يمكنني أن أبين شيئاً لعدم وجود شيء لدي.

---

[١] يعني وزارة أرشد العمري المؤلفة سنة ١٩٤٦ .

حمدي الباجةجي:

- تعديل المعاهدة هو أمر واضح، مر عليه ١٧ سنة، وطبقت هذه المعاهدة وكلنا عرف بانها فيها ضرر ومنافع، وكل منا كوّن له رأياً بان كيف تكون المعاهدة، لا سيما إزاء قضية مصر، وهي دخلت بالمفاوضة.

وأرى اذا استرشدنا بهذه التجارب وما وصلت اليه، مصر، يمكن أن نكوّن لنا رأياً، فيما يجب عمله مع الإنكليز، وعلى أي الأسس ندخل بالمفاوضة وهذا هو أمر واضح.

في المعاهدة، معنى الإحتلال، إذ للإنكليز الحق بجلب الجيش حسب الحاجة في المطارين، والمعاهدة الحاضرة مقيدة للسياسة الخارجية حسب مصلحة بريطانيا وفيها كثير من المواد. اذا اقتفينا مصر، يجب الجلاء التام عن العراق، وكما طلبت مصر، اذا اقتضت الحاجة بعقد حلف عسكري. وفي العراق لا يوجد من يفكر أن يكون خصماً لبريطانيا، ولا أرى بأساً من عقد معاهدة تحالف مع بريطانيا على أساس الجلاء التام، أي عند وقوع حرب نكون متعاونين معها ضد أعدائها، وهذا من مصلحتنا والأساس واضح وهو الجلاء التام وعقد حلف عسكري وما يقتضيه عند الحرب ونكون أحراراً في سياستنا الداخلية والخارجية واستخدام موظفين أجانب، أن الاتفاقات فمن نفسها ذابت ولم يبق لها أثر.

داود الحيدري : أوجه سؤالي إلى رئيس الوزراء، بالطبع كمسؤول، لأبين مسائل غير كاملة، التغطية الأساسية هي في نية الوزارة، تعديل المعاهدة بان تكون على أساس الند للند، والذي يريد فسخ العقد لا بد أن يكون قد هيأ العرض، ووضع المادة بالتعديل، على أساس أخذ موافقة الطرف الثاني. وبين وزير الخارجية، أننا نقدر أن نخبر الطرف الثاني، بالتعديل ، ولكن طلب الند للند يحتاج إلى موافقة.

والجلاء هو الموجود باراء العامة، ووضعنا يختلف عن وضع مصر ولابد للحكومة فكرة ثانية للدخول بالمفاوضة، فأريد أن أسمع من رئيس الوزراء، ولايمكن إبداء الآراء على الوصي، عن شيء مجهول، ينبغي كما أرى، انهم يريدون عقد معاهدة لأمد طويل.

صالح جبر – رئيس الوزراء :

– ذكر داود (باشا) ، الند للند، الحكومة لا زالت بهذا العزم والحكومة لا تريد عرض وجهة نظرها للمناقشة، ولا بد للحكومة من وضع الأسس التي تحمل الحليفة على اساس الند للند بعقد المعاهدة وانكم ترغبون ان تستأنسوا بآراء الاخوان وقد نتفق على الأسس التي قد تفكر بها الحكومة، هل هناك ضرورة بعقد معاهدة ؟

وما هي المسائل المهمة التي يجب تعديلها ؟

والموضوع ليس مناقشة الحكومة .

السيد عبد المهدي :

– ليس من السهل ان يبدي الشخص الرأي بسهولة وبسرعة، وهذا موضوع معاهدة، والشيء الذي أفهمه أن القصد من الإجتماع، هو الاستئناس برأي الأخوان ومعرفة رغبتهم. المعاهدة كما أشار داود الحيدري، وأشارت الوزارة، أن الطريقة التي تلائم العراق، هي تعديل المعاهدة، على أساس الند للند، وكل ما يطلب العراق هو معاهدة قائمة على أساس الند للند، أما المعاهدة القائمة والنافذة، مما لاشك فيه، فيها ما يبعدها عن قاعدة الند للند، ولذلك جاءت الوزارة في منهاجها بهذه الفقرة. المعاهدة في الحال الحاضر، فيها ما يمس استقلال العراق.

والقواعد هي أبرز صفة لذلك، فهذه القواعد العسكرية التي وجدت لظروف خاصة وقبلها العراق لظروفها، والظروف اليوم تختلف عن السابق،

وبريطانيا على ما أعتقد، أدركت ذلك، أقرب اليها (التحالف مع العراق) وعلى ما سمعنا، وافقت على دخول المفاوضة. المعاهدة على نوعين :

الأول : معاهدة شريفة، العراق أقرب المعسكرين اليه هو معسكر الجهة البريطانية.

الثاني : العراق لا يميل ويقبل ما يخل بكرامته، والعراق يريد معاهدة شريفة، غير مخلة بسيادته، ومنها قضية القواعد.

مصطفى العمري :

- تعديل المعاهدة، جاء بمنهاج السويدي، وصالح جبر، وكنت قد سألت رئيس الوزراء، بالمجلس عن تقرير لجنة توفيق السويدي، هل قبلتم أسس تقرير السويدي ؟ أو التعديل على هذه الأسس ونقاط أخرى ؟

كان جواب الرئيس على ما أتذكر : غير مرتبط بتقرير لجنة وزارية أو تشكيل لجنة، وإنما قال انها بالدراسة، ولا بد إن الوزارة قد هيأت شيئاً، وأنها منشغلة خلال الأشهر المنصرمة بتعديل المعاهدة، واقناع الانكليز بهذا التعديل، والانكليز حاضرون للتعديل والأسس غير حاضرة. بين السيد عبد المهدي، وحمدي الباجه جي، ان وضعنا لا يشبه وضع مصر، وقضية السودان سببت الفشل ولولاها لإتفقوا والصداقة والمنافع المتبادلة لا تستدعي وجود قواعد حربية، وأول ما نطلبه هو رفع هذه القواعد.

وعقد الإنكليز وغيرهم معاهدات حسن الجوار وصداقات ضمن ميثاق الأمم المتحدة. وفي حالة الحرب والعالم اليوم ينقسم إلى معسكرين، والحكومات العربية تميل إلى طرف الانكليز. وهذا يمكن أن ينظر بالمعاهدة وبالملحق، والأساس صداقة بين شعبين بدون امتيازات وقواعد، وهذه قواعد أساسية للمعاهدة، وتثبيت هذه الأسس يختص بمن يقوم بالتعديل وتلغى المعاهدة السابقة، وتسمى (معاهدة الصداقة) ضمن ميثاق الأمم المتحدة.

وتكلم بعد ذلك الوصي عبد الإله قائلاً :

- قال الانكليز، أنه يصعب إدارة المطارات من قبل العراقيين.

حمدي الباجةجي :

- في مصر اتفقوا على الدفاع المشترك.

مصطفى العمري :

- كما جرى في تركيا في الحرب يمكن إرسال جيوشهم مرة أخرى.

حمدي الباجةجي:

- الجهة الفنية تبقى بالمطار والجيش العراقي هو الذي يحرسها ولا لزوم لبقاء الجيوش الانكليزية، تحتل البلاد، وإذا احتاج الانكليز إلى مطارات فيمكنهم إستعمال حتى سطوح دورنا !

عبد المهدي :

- اذا شعرنا خطورة الوضع العالمي، وضرورة لازمة لنا ولها، وأدركنا الخطر مثلهم، فسنقف الى جانبهم، هل الانكليز يعتقدون أننا نقف بجانب غيرهم وأعدائهم ؟ وعندنا معاهدة الند للند، وعندنا حلف عسكري؟

صادق البصام :

- حقيقة، ظروف المعاهدة الحاضرة، تختلف عن ظروف العالم في الحال الحاضر، إننا في أمس الحاجة إلى حلفاء ونتشبث بالانكليز، أن هذه البلاد لا تنضم إلى (حلفاء الشيوعية) الانكليز لهم قواعد كثيرة قريبة من العراق، ولأجل أن تبرهن، انكلترا، على حسن نيتها، يجب اعادة النظر في هذه المعاهدة بدون مساس باقتصاديات البلاد وسيادتها، وكانت بين الحكومة البريطانية والعراقية، اتفاق على حراسة المطارات، في (الشعيبة والحبانية) من حرس عراقي وانكليزي، وأرى ان تشكيل هيئة فنية، لا يؤثر على جوهر الموضوع، وباسم الفن يحصل التدخل لأجل اسكات

روسيا، على الإنكليز اعطاء العراق استقلال، وهذا الاستقلال لا يتم إلا بتسليم القاعدتين المذكورتين، وبالإمكان خلال ساعات تجهيز المطارات بالطائرات خلافاً للظروف التي كانت عند عقد المعاهدة.

يجب إعادة النظر في المادة (٥) ويجب أن يكون العراق مثل تركيا وفرنسا وبريطانيا، وانا على خلاف الرأي القائل بعقد معاهدة، صداقة فقط، وانما على أساس صداقة وسياسي وعسكري، وعلينا خطر صهيوني، وأسس الصداقة الدائمي والسياسي، بدون مساس بكيان العراق واستقلاله.

توفيق السويدي :

- رئيس الوزراء، كما قال، لا يمكن إطلاعنا على اهداف الحكومة لابداء الرأي، والحكومة تحب الاحتفاظ، لئلا يصيبها تعرقل وهذا من حقها.

هل يريد العراق التعاقد مع بريطانيا ؟ نعم نريد، نريد معاهدة تحالف واكثر من صداقة، ويكون المبدأ الذي نسير عليه هو معاهدة تحالف والأسس يجب ان تكون ما بين الند للند، وحسب ميثاق الامم المتحدة، وهذا كلام عمومي، والخصوصي يجب أن نقدمه للإنكليز، وتنورنا من الوصي، أن المعاهدة أصبحت مهجورة، ولم يبق منها سالم إلا حالة القواعد، وتبديل القواعد، وحجتهم عدم استطاعتنا من القيام مقامهم الفني، وسائط النقل بالطائرات الكبيرة، والدفاع عن البلاد، أصبح لا قيمة له، بالنظر لظروف الحرب الجديدة، ودول كبيرة انسحقت بالحرب الماضية.

إننا بالنظر للخط الثاني، هل طلب الانكليز قواعد في ايران حتى يطلبوا منا قواعد ؟ والثاني، تركيا واذا حصل تعدي عليها، تعاونها انكلترا ، وساعدوها فعلاً عند وقوع الخطر، ولم يضعوا قواعد في تركيا، ومساعدتهم لها أثمن من مساعدة العراق.

وهذه كانت مداولاتنا معهم، وتخوفاتهم، هي سياسية، أكثر منها عسكرية، وقد تنشب قلاقل في العالم، وقد يطلب العراق معاونة حسب صداقته مع بريطانيا بحسب المعاهدة سنة ١٩٣٠ ، والخبراء البريطانيون يستطيعون ان يحددوا، هل أن (هيئة الدفاع المشتركة) هي أحد الأسس الحديثة ؟ واتفقوا مع مصر بأن تكون الهيئة استشارية فقط، والحرية في الاتفاق للدولتين، ومثل هذا الاتفاق لا يضر في مصلحة بريطانيا، وأعتقد أن الحجج العراقية التي سيذكرها المفاوض العراقي، هي قوية ومفيدة للطرفين، والحكومة عندها خبراء يستطيعون حل مثل هذه المشاكل، وإذا طلب الانكليز منا شروطاً للدفاع عن أنفسهم لم يحسبوا خطراً لسورية وهي خالية من القواعد.

وإننا نحب الصداقة على أسس حلف مع البريطانيين، إنما يجب المناقشة على المدى الطويل. ولماذا أمد طويل ؟ أننا لا نوافق على أمد طويل مقابل منفعة، والذي أريده، أن نتعاقد على أسس شريفة وهذا ما تطلبه البلاد.

نصرت الفارسي :

– الذي أفكر فيه، هو أمران، يجب أن يجتمعا لأجل ابداء الرأي، ما هي الأسباب الموجبة ؟ وتفكيرنا هو ليس التفكير المماثل القائم بالأمر وله اطلاع عام وخاصة لسنا مطلعين على المراحل الأخيرة، وهي الإمكانيات وعلى حساب شخصي، والآراء غير كافية للغرض والقصد والاستئناس بالآراء، قد تكون متفقة وغير متفقة، واننا غير مطلعين على الإمكانيات.

يجب الإطلاع على فكرة الجهتين حتى نستطيع أن نبدي الرأي، وكل منا يبدي، يجب أن يبدي ما عنده، وانما يتوقف على هذه الأشياء، لتعديل المعاهدة الموضوع يتعلق بطرف آخر ليس لنا السلطة عليه، ويجب أن ننظر

في أمر الامكان ، ومن الصعب ابداء الـــرأي. لأن القضيـــة ليســت رغبــات وأماني.

رئيس الوزراء، يستطيع أن يجمع بين الأمرين، بالنظر لإدخاله الموضــوع في منهاجه. أبدي أنه حصل فكرة ثانية موجبة للأسباب الموجبة، ومحـــاذير يراد ازالتها، باعتبار هذه الوزارة المشتغلة بهذه المواضيع، له درجة حـــول درجة الامكانيات، ولكل واحد منا عنده أفكار خاصة حول المعاهدة.

نوري السعيد :

- تكلم الإخوان عن نواقص المعاهدة الحاضرة كمـــا هـــي سـنة ١٩٣٠. وكانت مرموقة من قبل الأقطار العربية الاخرى، وكانت بوقتها خطـــوة مـــع نواقصها، وهي الآن لاتتناسب مع التطور الداخلي والخارجي.

عندما نتكلم عن المعاهدات، إما أن تكون بسيطة تجارية أو غيرهـــا . أو تحالف، يقصد بها سلامة المتعاهدين، مرهونة بأوضاع دولية أخرى.

قال توفيق السويدي ، تضمن سلامتنا ضمن ميثاق الدول المتحدة، وهـــي الآن فشلت لأن المفاوضات بين الدول الكبرى، أصبحت معقدة لا يمكن ضمـــن سلامة الدول بواسطتها، وهذه معاهدة التحالف الإنكليزية – الفرنسية .

ولا توجد دولة تقدر أن تملي ارادتها، ولا بد من سياسة خارجيـــة فيـــها سلامة هذه المجموعة، وألا يفكر وحده.

الآن وضع العالم مفهوم ولا يعلم في أي وقـــت يتفقـــوا أو يحـــاربوا، لأن معاهدات الصلح مع ألمانيا واليابان والنمسا، غير منفذة الآن.

إننا في وضع لا هو السلم ولا هو حالة الحرب، ولا ندري إلـــى أي وقـــت سيستمر. فاذا أردنا أن نبدل المعاهدة قبل موعدها فكل ما اســـتطعنا تبديلـــه منها، من أسس مفيدة تتناسب مع الوقت إلى سنة ١٩٥٧، وهو ربـــح ولـــم

نخسر شيئاً، فاذا حصلنا على شروط جيدة، ولو إلى مدة طويلة لا بأس وتتطور مع الوضع العالمي.

ويجب أن تكون المعاهدة فيها مرونة تتماشى مع الوضع والظروف، وكيف تسير هذه المعاهدة؟ أتفق مع توفيق السويدي، كل الإتفاق عندما نسير بالمفاوضات، العقلاء يفهمون أن هذا ما استطعنا عمله، والحكومة تشكر على عملها، وإذا لم تتمكن، يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ماذا نتمكن أن نعمل إلى سنة ١٩٥٧ ؟ هل نستطيع وضع القواعد يحل محلها لجنة مشتركة.

وأعتقد أن اللجنة المشتركة، إذا رفعت القواعد مع الهيئات الفنية، قد تكون غير متيسرة في العراق، ولذلك ما شاهدته في استانبول، بريطانيون في لباسهم الرسمي في أماكن كثيرة في البوسفور، ووجدت جنودا أيضا بصفة معلمين، وعند الأتراك معاهدة متمسكين بها، وعندهم بعثات أميركية عسكرية ومن الأولى أن نقلدها ولا أحد يستطيع أن يقول أن تركيا غير مستقلة ! وأتفق مع السويدي بأن تكون المعاهدة (معاهدة تحالف) لا صداقة، كما يقول مصطفى العمري، نستطيع أن نعمل معاهدة صداقة، واننا الخط الأول، وفي تركيا توجد مخازن وكل شيء من محلات عسكرية، مما يصعب نقلها بصورة فجائية، ولكن بيد الأتراك وتحت محافظتهم. وقد تكون اللجنة المشتركة هي التي تقوم بذلك. معاهدة تحالف، والقواعد عراقية، واللجنة المشتركة تتطور حسب الظروف، وأن ذلك في مصلحة الإنكليز أنفسهم، إذ لو صارت حرب يمكنهم الإستفادة منها بدقيقتها.

إذا تمكنت الحكومة أن تحصل على شروط بهذا الشكل، لا بأس، أن تعقد معاهدة لمدة مناسبة، على أن تتطور مع الزمن إلى أن ينتهي الوضع الحاضر، قد يتبدل الوضع ويجب أن لا نتقيد، وإذا لا تتمكن على هذا يجب ألا

يعقد معاهدة لمدة أكثر من عشر سنوات وإذا حصلنا على شيء أفضل من المعاهدة الحاضرة، بحثاً عن التوازن.

نصرت الفارسي :

- لم يبق من مدة المعاهدة إلا تسع سنوات، فمن أي شيء نشكو من هذه المعاهدة ؟ إذا أردنا أن نضع شروطاً غير هذه لمدة أطول، هل الفوائد التي سنحصل عليها تفوق المحاذير الموجودة أم لا ؟ يجب أن نطلع وإذا إطلعنا على الفائدة لا يوجد من يتردد، والآن نعرف الظرف وقوة موقفنا تجاه العالم، وتعقد الشروط التي سنحصل عليها، والحكومة يجب أن تبدي آراءها ومقدار المساعدة وامكانياتها لتحقيق الغاية المتوخاة.

مصطفى العمري :

- يعتقد نوري (باشا) من كلامي، أننا نقصد من معاهدة الصداقة، هو التحالف، ولا مانع من عقد معاهدة تحالف والأسس تكون معاهدة على أسس المصلحة والإستقلال التام، بدون إحتلال وبدون قواعد، وبدون هذا التحالف نكون عرضة لمجابهة الإعتداء الروسي. المعاهدة فيها ثلاثة أشياء، خارجية وعسكرية وموظفين و استخدام الموظفين، وإذا انحصر التعديل على الموظفين فقط، وانهم لم يتعاونوا معنا على السياسة الخارجية، ودليل ذلك سياستهم بخصوص فلسطين، المعاهدة تجبرهم على ان يكونوا صادقين مع العرب إلا انهم إمتنعوا .

مولود مخلص :

- المعاهدة الحاضرة، عقدت بظروف كل منا يعلمها وكانت نسبة لذلك الوقت وضمن الإمكان، والآن تبدلت الظروف العالمية ولا شك عاقديها أخذوا هذه النقطة بنظر الإعتبار، لأن فيها قيوداً مؤثرة.

والآن إذا أردنا التبديل والتعديل ضمن ميثاق هيئة الأمم المتحدة، وكل منا متذمر من هذه المعاهدة، العراقيون ليسوا مرتاحين منها لأن فيها، الحراسة من العراقيين، وجرى عند ذلك أقرب المعسكرين لنا حسب عقائدنا وديانتنا وعاداتنا هي بريطانيا.

حتى الاميركان لا نعرفهم، بريطانيا قوية ولنا تقاليد معها، والعراق يجب أن يتحالف مع دولة قوية ولا نريد أن نعقد معاهدة صداقة فقط. إنما نريد معاهدة إتفاق ودفاع معها يتناسب مع شرفنا، وأن خرج عن دائرة شرفنا فستبقى (حليمة على حالتها) ولا توجد دولة لنا إتصال بها غير بريطانيا من أمد قديم. وسيدنا الأكبر[1] طيب الله ثراه، قد أجرى هذا الحلف، على هذا الأساس ونترك للتاريخ الموضوع، والآن نحتاج إلى معاهدة شريفة، معاهدة صداقة وحلف، كما جرى مع بلجيكا وتركيا.

أما قضية القواعد، نحن مستعدون، جميع العراق كحليف يساعد بريطانيا، ولبريطانيا أمور هامة في الخليج العربي من القديم. والمحلات (القاعدتان) ليس لهما قيمة في الحقيقة، وإنكلترا هي أقرب الناس إلينا، ولا أوآخذ على هذا الكلام. أما المواضيع الفنية، فاذا الأساس حسن النية، ويجب على إنكلترا أن تبين حسن نيتها، وإذا لها أشياء وإقتراحات، فما لم توضحها ونطلع على (الجار والمجرور) ولا يمكن الخوض فيها. وإن رئيس الوزراء، ما أعطانا أي (لزمة) ولا يمكن خوض المخاضة بدون علم، ولكننا مخلصين وعبيد هذا الوطن والمفاوضين من رجال هذا الوطن يساعدون الرئيس والمعاونة له والمصلحة العامة توجب المعاونة.

محمد رضا الشبيبي :

---

[1] يقصد الملك فيصل الأول.

- أشكر الوصي، على هذه الدعوة، وما أريد قوله هو أني مؤيد للاخوان، إذ ليس المرغوب فيه إبداء رأي معين بخصوص تعديل المعاهدة أو تبديلها ما لم يطلع على أمرين، وجهة نظر الحكومة بالأسس التي هيأتها كمقترحات هذا من جهة، وما هي وسائلها للحصول على أحسن ما يمكن الوصول إليه للعراق من جهة أخرى.

أما إذا كان لدى الحكومة ألآن من الإيضاح فلها بيان ذلك، كنت في حينه عندما ذكر المنهاج (التعديل على أساس الند للند) قلت أن لا ندخل في التعديل الآن، فالعبرة للتطبيق لا للأقوال، لأني أعتقد أن المعاهدة الحالية لم تطبق التطبيق المقصود، إذا إستفاد منها جانب، والجانب العراقي كان يشكو التطبيق دائماً، وماذا يكون وضعنا الداخلي، ضمن المعاهدة الحاضرة إذا طبقنا بمفهومها وعملنا بالداخل ما يجعل إحترام المقابل لنا، لا حاجة إلى أي تعديل في هذه المعاهدة والجانب العراقي غير محترم يجوز أيضاً، الحقوق التي نحصل عليها في المستقبل لا تطبق فالفائدة مفقودة.

نجيب الراوي :

- الذي توصلنا إليه، من الوصي، وبيانات رئيس الوزراء أن الحكومة جادة في تعديل المعاهدة او تبديلها، والقصد هو أن تستأنس الحكومة بآراء الحاضرين. والبيانات التي تفضل بها الاخوان أكثرهم، وخاصة صادق البصلم وضعت رغبة البلاد، الحقيقة بتعديل المعاهدة الحالية بمعاهدة ثانية، لأن الحالية لا تأتلف مع الوضع الدوليّ وهي عديمة الفائدة، والتعديل الذي يصير فيها يتناول الجميع. والمعاهدة الجديدة قد تكون مشابه معاهدة صداقة أو سياسة، وأميل ان تكون (معاهدة تحالف) تتضمن الإعتراف باستقلال البلاد وهو الند للند لبريطانيا، وتلتزم بريطانيا تجاه العراق.

الأخطار الخارجية لا يمكن إنكارها وأننا بعيدون عنها، والتحالف مبني على أساس الدفاع المشترك، وعلى غير أسس القواعد الموجودة في العراق، وهي لا تفيد الحكومة البريطانية، إذا الحكومة البريطانية لم توافق على كل شيء، وإذا قبلت التعديل فقط من النواحي التي أشار إليها نوري (باشا) ، يجب أن لا تنحصر بالموظفين والشكل، وإنما يجب البحث عن القواعد.

محمد حسن كبة : يجب تعديل المعاهدة والتعديل والتبديل شيء واحد، أقول هذا وأقوله (فضولاً) حتى عن نصرت الفارسي والشبيبي، المعاهدة الحاضرة لا تتفق مع الظرف الحالي ، لأنها عقدت بظرف غير الظرف الحالي، ولا يوجد أحد يقدر أن يقول أنه يجب أن تبقى المعاهدة على حالها، وأعتقد أن البديل وهو تبديل الشيء بالحسن أو الحسن بالأحسن، ولا أعتقد أن نصرت والشبيبي يعارضان بها، هذا أفضل، أما الأسس فيجب أن ترفع القواعد، وان نعقد معاهدة تحالف كما ذكر الاخوان، وأن ما قاله نصرت (بك)، لا يمكن أبداء الرأي ما لم نوف الأسس، اعتقد أننا إذا دخلنا بالتفصيل يمكن أن نقول ذلك، وإنما الأسس المبنية هي متفق عليها من الجميع، ويجب تعديل المعاهدة حسب الأسس المبينة من الاخوان.

الوصي : قال توفيق بك، إن حجتنا قوية، بينما قال : إن القواعد شيء ثقيل وقال : ان خبير عسكري سيعطي الإيضاحات قال (تيدر)[1] ما هو رأيكم إذا إشتركنا بإدارة القواعد ؟

قلت له : لا يمكن ذلك .

ثم قال : يجب أن يبقى فيها قسم من الجيش، فأجبته إني لا أستطيع الإجابة، لأن هذا من حق المفاوضين. وإنما سألته : ما هي الفائدة من وجود جيش، أو قواعد لكم ؟ .

---

[1] أحد المفاوضين الإنكليز .

فقال :

- إن هناك أشياء سرية لا يمكن إبداؤها !

فأجبته : فماذا تقولون إذا إنتهى امد المعاهدة ؟ ونقول لكم لا نعقد معاهدة ؟ والتذمر يزيد، فماذا تفعلون بعد ذلك ؟

قال :

- يجب أن نفكر بذلك وإذا أمسكنا الخرطوم مسكة قوية سنحصل على شيء، ويجب أن نكون معقولين.

أرشد العمري : المسألة تتطلب تعقيب الظروف ووضع الإنكليز يساعد على أن نحصل على شيء، والدخول بالمفاوضات على هذه الأسس هي أحسن، ونوري باشا، أخذ على طريقين ، ورأيه الثاني تخفيف المعاهدة قد يؤخذ به، بعد المحادثات الأولى، وأرجح أن تكون المفاوضة من قبل عدة أشخاص.

حمدي الباجه‌جي:

- يتلخص الموضوع : تعاقدنا مع بريطانيا، ينحصر على أساس عسكري، ويلمس الإنكليز تسهيلات ، كنا ونوري باشا عند عقد المعاهدة في ١٩٣٠ والآن ضدها وكذلك في مصر، وهي تخالف قضيتنا ويوجد تساهل مع العراق، والمعاهدة الحاضرة فيها نص الإحتلال.

توفيق السويدي:

- يوجد نص بعدم وجود الإحتلال.

صادق البصام :

- أصبحت الأسس مفهومة بجهودكم تفاوضتم في إنكلترا، وبإرشادكم، إن شاء الله، تحقق أهداف العموم.

عمر نظمي :

- موضوع المعاهدة مفاجأة، وأرى بصورة عامة، أنه إذا أردنا تبديل المعاهدة لا يوجد من يخالف، إذا كان التعديل لا يمس سيادتنا واستقلالنا، وكلام نوري باشا يتضمن ضرورة النظر إلى سلامتنا والصراحة تقتضي القول بما يضمن سلامتنا الخارجية، والنقاط الأخرى معلومة كالأستقلال والسلامة هي الأساس، وإذا إتفقنا جميعاً على حدود السلامة وصلنا للغاية. وإذا تكلمنا بكلمات رنانة لا فائدة منها، وكلامنا هو أننا لا نريد احداً يتجاوز على دارنا ويجب تحديد الحلف وحصر الموضوع بالسلامة ومع تقديري لأعمال صالح جبر فانه إذا جاء بأحسن معاهدة سيلقى معارضة أيضاً، يجب أن يوضح نوري كلام السلامة.

نصرت الفارسي :

- بعض الإخوان أوضحوا رأيه الجرد، إنما أهميتها ثانوية بالنسبة للحقيقة وهي الند للند، ادعاؤنا بهذا مستحيل بالنسبة لإنكلترا، ان حكومتنا تحتاج إلى الحياة والانتشال، هل أننا غير متحالفين مع بريطانيا وعندنا معاهدة ؟ ولا نفكر بعقد معاهدة جديدة وعندنا تسع سنوات، ونبحث عن تحالف أليس هذا غير موجود، وبريطانيا مكلفة بالدفاع عنا أم لا ؟ الموضوع موضوع سلامة ويجب أن نطلع على الأسس الجديدة.

والمعاهدة الحاضرة، مضرة على حيازتنا، على أساس استقلالنا، وأن ما فيها ما يجعلنا نشعر أن إستقلالنا ناقص، وجود مطارات ووجوب التشاور بالسياسة، والأخرى أصبحت الملاحق كأنها لم تكن.

عندنا نقاط معينة نشكو منها واكثر من ذلك التحالف، الآن علينا كلف للدفاع عن أنفسنا والتسهيلات لبريطانيا، وإذا كانت المعاهدة الجديدة فيها كلف مالية وأشياء أخرى، فهل أن هذا من صالحنا؟ يجب أن نطلع على

الأسس، ولأجله لا أستطيع أن أبدي رأياً حازماً، ولا يبدي رأي غريب تجاه حقيقة.

محمد حسن كبة :

- معالي نصرت بك، بين فكرة وأصبح لا يحتاج إلى توضيح ولكن الغرض الذي فرضنا من البنود الجديدة، لوفرضنا أسوأ من القديمة لا نقبلها، وعلى كل حال، لا نقبلها، وإنما قلت أن تعديلها على الأسس الحديثة، السيء بالأحسن. هل يوافق نصرت بك على هذا وماذا يقول ؟ تضعون أسساً للتعديل أو تعتمدون على الحكومة ؟

الوصي :

- إجتمعنا للتشاور معكم ماذا تريدون ؟ هل أنكم تضعون أسس التعديل أو تعتمدون على الحكومة ؟

السيد عبد المهدي :

- الاخوان بينوا آراءهم، والمعاهدة هي جائرة، وبينوا نقاط الجور، والحكومة ، نظراً لتطمين رغبة البلاد بتعديل المعاهدة على الأسس الشريفة (الند للند) ورفع المطارات، ويحل حل آخر بالنظر للوضع الجديد.

توفيق السويدي :

- البعثة الفنية والمنافع المشتركة هي التي توجه الموضوع ونبدي آراءنا، ولدى الإنكليز (فورمات) وإنهم يساعدون على ذلك، الدفاع المشترك يحل كثيراً من المشاكل.

محمد رضا الشبيبي :

- بالإضافة إلى ما ذكرت أخشى شيئاً واحداً أيضاً.

لما حصلنا على معاهدة سنة ١٩٢٢ والثانية سنة ١٩٢٦ كانت الحكومة العراقية في وضع غير هذا الوضع، وأبناء البلاد كانوا من حيث التماسك والتضامن بوضع يختلف عن الوضع الحاضر وكانوا يشكون منها.

والوضع الحاضر، يختلف ولسنا نحن بتلك الدرجة من التماسك والتضامن كالسابق، وعليه كل الحقوق التي تحصل عليها الأمم يجب أن تكون على قوة في الداخل حتى تسمع صوتها إلى الطرف الآخر، وعلى الأقل يجب أن نكون في وضع، الجانب الأخر يعترف بحقوقنا ويعطينا أكثر من الحقوق.

مصطفى العمري :

- الحكومة يجب ان تحضر الأسس بواسطة الخبراء، وعقد معاهدة وجلبها للمجلس، وتجعله تحت الأمر الواقع، هذا غير صحيح، يجب الإطلاع على خطوات المفاوضة، والمفاوض يمكن أن ينسى شيئاً، والأسس يجب أن تعرض على أشخاص يكون الإتصال معهم، ولا تجعل المجلس تحت الأمر الواقع وتقبله الأكثرية و(العيطة) تبقى.

السيد محمد الصدر :

- مصر تختلف عن العراق وموقعها الجغرافي غير موقعنا.

ويجب أن نأخذ بنظر الاعتبار ذلك، وعمر المعاهدة الجديدة يجب ان ينتهي بعمر المعاهدة الحاضرة، وربما نحصل على تخفيفات كثيرة، ونخفف الطوق الذي برقبتنا، وهذا أحسن، وإذا أردنا أن ننظر إلى أبعد وإلى حل آخر ولعمر طويل فالموضوع يحتاج إلى دقة نظر أكثر ويفتح فيها أبواباً تساعد على إعادة النظر فيها، المعاهدة وليدة الحاجة وتبادل المصلحة، والانكليز هم أيضاً محتاجون إلى تبادل المصلحة.

الوصي : ماذا نعمل ؟ هل تريد أن نعمل لجنة مشتركة مثل مصر ؟

مصطفى العمري :

- مثل ما عمل نوري باشا، أكثر المعارضين لها كان لهم الرأي .

(انتهى المحضر)

والذي عرفناه، بعد انفضاض هذا الإجتماع، أن الوصي عبد الإله كان قد وقف على آراء الحاضرين في الأسئلة التي وجهها لهم في بداية الإجتماع.

إذ كان جوابهم عن السؤال الأول وهو (هل أن العراق بحاجة إلى معاهدة تحالف مع دولة أجنبية أم لا) كان هذا الجواب (إجماعياً). أما جوابهم عن السؤال الثاني وهو (إذا كان في حاجة إلى ذلك، فمن هي هذه الدولة الاجنبية) فقد كان : أن هذه الدولة هي بريطانيا. أما أجوبتهم على السؤال الثالث وهو (ما هي الأسس التي تعتبرونا صالحة لهذا التحالف) فقد كانت مختلفة باختلاف الأشخاص، وان الجميع وافقوا على تعديل المعاهدة وفق أسس يجب أن توضع قبل البدء بالمفاوضة.

إجتماع مصغر في قصر الرحاب

وقد أمرنا نحن موظفي التشريفات أن نتصل بكل من نوري السعيد وتوفيق السويدي، لاعلامهما برغبة الوصي بالاجتماع بهما مع رئيس الوزراء ورئيس الديوان الملكي في قصر الرحاب، مساء يوم ٣ / ١ / ١٩٢٨ فنفذنا الأمر، وعقد الاجتماع في الموعد المحدد برئاسة الوصي عبد الإله . وفي هذا الإجتماع ثبتت الأسس الخاصة بتعديل المعاهدة واتفق الجميع على النقاط التالية :

١ . رفع قيد المشاورات من الأمور السياسية والخارجية والإكتفاء بعدم انتهاج أي الطرفين على سياسة معادية لآخر.

٢ . تسليم العراق القاعدتين الجويتين في الحبانية والشعيبة.

٣ . عدم السماح لابقاء قوات مسلحة بريطانية في العراق في زمن السلم.

٤ . إلغاء حصر استخدام الأخصائيين في العراق، بالبريطانيين.

٥ . إلغاء الإتفاقية الخاصة بالسكك الحديدية والميناء.

٦ . ضرورة تسليح الجيش العراقي والقوة الجوية بنفس أسلحة القوات البريطانية.

٧ . رفع القيود الموجودة في التمثيل السياسي في معاهدة ١٩٣٠ .

مجلس الوزراء وهذه البنود

وعلمت في حينه أن مجلس الوزراء وافق على أن تكون هذه البنود الأسس التي ستجري عليها المفاوضات مع بريطانيا في لندن.

معاهدة بورت سموث

وفي ضوء نتائج هذه الاجتماعات قررت الوزارة كما هو معلوم، انتخاب وفد للمفاوضة تمهيداً لسفره إلى لندن، والذي أعرفه أن الوصي عبد الإله، طلب من كل من (نوري السعيد) و (توفيق السويدي) مرافقته بصفة مستشارين.

أما الأعضاء الآخرون فهم : رئيس الوزراء – صالح جبر ، الدكتور محمد فاضل الجمالي، وزير الخارجية وشاكر الوادي وزير الدفاع.

وقد سافر هذا الوفد إلى لندن لمفاوضة الجانب البريطاني حول تعديل المعاهدة القائمة أو عقد معاهدة جديدة.

ومما علمته في حينه، أن رئيس الوزراء، سافر إلى لندن وهو مستند إلى دعم السياسيين العراقيين له !

ومما يجب ملاحظته، أن هذه الإجتماعات التي عقدت لـــم يـدع لـــها أي رئيس مـــن رؤســـاء الأحزاب السياسية القائمـــــة آنـــذاك، وهـــي (حـــزب الاستقلال) و (الحزب الوطني الديمقراطي) و (حزب الأحرار) وحيث ان عـدم دعوتهم لمثل هذه الإجتماعات التي كانت تنظر علاقة العراق ببريطانيا، فـــان رؤساء هذه الأحزاب، اعتبروا أن هـــذه الإغفـــال مقصـــود، ولذلـــك عقـــدوا إجتماعات مشتركة وقرروا بعدها إصدار بيانات وإرسالها إلى البلاط الملكـــي ونشرها على الشعب.

والذي أذكره ان قادة هذه الاحزاب، سلموا رئيس الديوان الملكـــي نســـخة من بيانات أحزابهم ليطلع عليها الوصي، وبالنظر لأهمية هذه البيانـــات مـــن الوجهة التاريخية، فقد آثرت أن أثبت نصوصها في هـــذه الذكريـــات، وإلـــى القارئ هذه البيانات:

١ . بيان حزب الإستقلال (حول المعاهدة العراقية – البريطانية)

نشرت الصحف نبأ إجتماع، عقد في قصر الرحـــاب، للمـــداولة حـــول المعاهدة العراقية – البريطانية.

ولما كان حزب الاستقلال غير مطلع على أسـباب إختيـــار هـــذا الظـــرف لاعادة النظر في هذه المعاهدة، وعلى الأسس التي ستقوم عليها المفاوضـــات بهذا الشأن، الذي سيقرر مصير العراق لأعوام، كما قررت هذا المصير مـــن قبل معاهدات سابقة، عقدت كل منها باسلوب شاذ.

فان الحزب يرى من واجبه تجاه الشعب الذي يتحمل أعباء هذه المعـــاهدة والذي وجد الحزب لخدمته والتعبير عن آرائه، أن يعلن بيانه هذا ليؤكد مـــا سبق له في شتى المناسبات، التصريح به، وليسجل شعور الناس جميعاً، بـــأن هذه المفاوضات لا تختلف في شيء عن ســـابقاتها حيـــث يقـــوم المفـــاوض

العراقي بمهمة تبليغ أن المعاهدة التي يحلها هي كل ما يمكن الحصول عليه، وان علينا أن نسلم راضين أو مكرهين، فلا تلبث أكثرية المجلس، أن تقرر تصديق المعاهدة، غير عابئة بشعور العراقيين، لأنها تعلم أن الشعب لم ينتخبها، وأنها ملزمة لذلك أن تؤيد ما تتقدم به أية حكومة من معاهدات وقيود.

لقد أجمعت الكلمة على أن معاهدة ١٩٣٠ أصبحت ملغية بحكم الظروف والتطورات الدولية، فضلاً عن أنها فرضت على الشعب العراقي فرضاً، ولم يكن له أي إختيار في عقدها، وقد تبين من سير المفاوضات بين مصر وبريطانيا، ان الحكومة البريطانية تسعى لألزام مصر بدفاع مشترك، وان مصر قد أصرت على رفض الدفاع المشترك، كما أن استنكار الشعب العراقي لأي مشروع يتضمن دفاعاً مشتركاً مع بريطانيا يلزم المفاوض العراقي تجنب الإلتزام به، أو بأي بند آخر، قد تنظمه المعاهدة الجديدة، مباشرة أو بملاحق أخرى تتبعها لتزيد من تكبيل السيادة الوطنية.

بالإضافة إلى ما تقدم فان إختيار مثل هذا الظرف الذي تجتاز فيه (قضية فلسطين) أدق مراحلها، حيث يشغل الرأي العام، بالتفكير والعمل لانقاذ فلسطين، ليدل إما على محاولة الجانب البريطاني صرف الرأي العام عن قضية فلسطين وإشغاله بأمر المعاهدة، أو على إهتبال فرصة أنشغال العراق بقضية فلسطين لانجاز أمر تعديل المعاهدة على وجه لا يخلو من تقييد السياسة العراقية، وان هذه المفاوضات التي دعت إليها بريطانيا في هذا الوقت إنما تستهدف الأمرين معاً.

ان هذا الشذوذ الذي يحيط هذه المفاوضات يدعو الحزب إلى اعلان عدم إطمئنانه لأجرائها، حيث تستأثر بتحمل مسؤولياتها وزارة لا تستند إلى مجلس نيابي يمثل الشعب تمثيلاً حقيقياً، وان الحزب يدعو الشعب

إلى معارضة أية معاهدة تعقد في هذه الظروف وتنتقص من سيادة العراق الوطنية ولا تكفل تحقيق استقلاله التام.

وقد سبق للحزب أن صرح في بيان وقعه مشتركاً مع الاحزاب الاخرى، وأن الشعب العراقي في حل مما يقرره هذا المجلس من معاهدات واتفاقات وأي إلتزام آخر يكون العراق طرفاً فيه ويعتبره باطلاً وغير ملزم للعراق.

محمد مهدي كبة

رئيس حزب الاستقلال

كانون الثاني ١٩٤٨

٢ . بيان الحزب الوطني الديمقراطي.

وفي يوم ١٩٤٧/١٢/٣١ ، أصدر الحزب الوطني الديمقراطي، ، بياناً حول الموضوع نفسه وهذه نصه :

... اطلع الحزب الوطني الديمقراطي، عن طريق الصحف المحلية، والإذاعات الخارجية، على عقد اجتماع في قصر الرحاب، بدعوة من الوصي عبد الإله في مساء يوم الأحد المصادف ٢٨ كانون الأول سنة ١٩٤٧.

حضره عدد من الساسة العراقيين، وتناول البحث، قضية تعديل المعاهدة العراقية – البريطانية.

ولما كان الحزب الديمقراطي لم يتسن له ابداء رأيه في هذا الموضوع في الاجتماع المذكور لعدم دعوته اليه فانه يرى ان من واجبه أن يبدي وجهة نظره في هذا الأمر الخطير.. ان الحزب الوطني ، مع اعتقاده بأن العلاقات القائمة بين العراق وبريطانيا، لم تكن قد أقيمت على أساس إحترام العراق، كدولة حرة ومستقلة، وأنه من الواجب إقامتها بما يضمن استقلال وصيانة سيادته وإحترامه على أسس التعاقد بين الدول المتكافئة، يرى في الوقت ذاته أن فتح باب المفاوضات بصورة شاذة مع بريطانيا والإستمرار بها من

قبل وزارة غير منبثقة عن إرادة الشعب وغير مستندة إلى مجلس نيابي يمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً، عمل في غير صالح العراق، هذا بالإضافة إلى أن هذه الامور تجري في ظروف غير طبيعية تكتنف البلاد العربية وفي وقت يجب أن يقرر فيه العراق والدول العربية إعادة النظر في جميع العهود والإمتيازات الخاصة بالدول التي لا تؤيد مطاليب العرب العادلة في قضية فلسطين.

ولذلك فان تعديل المعاهدة القائمة أو عقد معاهدة جديدة، نتيجة هذه المفاوضات، لا بد أن يكون أمراً مجحفاً بحقوق العراق ومخلاً بسيادته، ولا يمكن أن يعتبر علاقات صداقة بين دولتين حليفتين، وإنما سوف يكون سببا لحدوث صعوبات جمة بين العراق وبريطانيا في المستقبل.

كامل الجادرجي

رئيس الحزب الوطني الديمقراطي

١٩٤٧/١٢/٣١

٣. بيان حزب الأحرار

وأصدر حزب الأحرار بياناً حول الموضوع نفسه يوم ١٩٤٨/١/٢ وهذا نصه :

نظراً لبيان رئيس الوزراء، حول عزم وزارته على الدخول في المفاوضات مع الحكومة البريطانية من أجل تعديل المعاهدة العراقية البريطانية.

يرى الحزب من واجبه أن يبدي رأيه في هذا الموضوع الخطير الذي تناوله في عدة مناسبات، من لزوم تعديل الوضع القائم بين العراق وبريطانيا على ضوء ميثاق هيئة الأمم المتحدة ومبدأ حرية الشعوب وسيادتها ، وذلك

باعتبار ان هذه المعاهدة القائمة بين العراق وبريطانيا تناقض ذلك فضلاً عن كونها قد استنفدت أغراضها وأصبح من الواجب التخلص من قيودها .

الحزب يرى أن تعديل هذا الوضعَ لا يصح أن يتم على يد الحكومة الحاضرة التي لا تتمتع بثقة الشعب، ولا تستطيع تحقيق أماني الأمة بانجاز مثل هذه المهمة الخطيرة التي يتوقف عليها استقلال العراق وسيادته ومصيره.

وحرصاً على مصلحة العراق القومية وحفظاً لكيانه وتأميناً لسيادته، يرى الحزب أن مهمة المفاوضة يجب أن تقوم بها حكومة تستند إلى مجلس ينتخب انتخاباً حراً لتحقيق استقلال العراق التام، واستكمال سيادته بجلاء القوات الأجنبية عنه، وعدم توريط البلاد بأية التزامات تنقص من سيادته وتحد من استقلاله.

رئيس حزب الأحرار

٢ / ١ / ١٩٤٨

سفر الوفد للمفاوضة

وبالرغم من هذه البيانات، فان الوصي عبد الإله والحكومة، استمرا في خطتهما وتصميمهما، ولذلك تقرر أن يسافر وفد المفاوضة إلى لندن لإجراء

١ - المفاوضات أوبالأحرى لوضع اللمسات الأخيرة في المعاهدة الجديدة.

سافر الوفد إلى لندن يوم (١٩٤٨/١/٣) برئاسة رئيس الوزراء صالح جبر، وهو واثق بان الكثرة الغالبة من السياسيين الذين حضروا اجتماعي قصر الرحاب يقفون إلى جانبه.أما وزير الخارجية الدكتور محمد فاضل الجمالي، فقد سبق الوفد في سفره إلى لندن لإجراء ما يلزم من تمهيد للمفاوضات.

معاهدة بورت سموث

وعقـد الوفد المفاوض مع الجانب البريطاني الذي كان برئاسة (المستَر بيفن) وزير الخارجية البريطاني آنـذاك، عـدة اجتماعـات ولمـا أوشـك المتفاوضان على وضع اللمسـات الأخـيرة مـن بنـود المعـاهدة الجديـدة وملحقاتهـا، شـاء المستر بيفن أن يقضي اجازة له فـي مدينـة (بـورت سموث) ولذلك اضطر الوفد المفاوض العراقي، إلى السفر إلى تلك المدينـة للتوقيع على المعاهدة، ووقع عليها الطرفان فعلاً يوم ١٩٤٨/١/١٥ .

وقد تألفت المعاهدة الجديدة، من سبع مواد أصلية، يتبعها ملحق تفسـيري من عشر مواد متشعبة إلى فقرات كثيرة مع مذكرات متبادلة بيـن الطرفيـن ملحقة بها. وقـد سميـت هذه المعاهدة باسم (معاهدة بورت سـموث) أو معاهدة (بيفن – جبر).

نشر نصوص المعاهدة وتصريحات الدكتور الجمالي

كان السيد جمال بابان وزير العدلية، قد تولى شـؤون رئاسـة الـوزارة وكالة، وعندما تلقى نصوص المعاهدة من لنـدن سـارع بـالأمر لترجمـة نصوصها ونشرها على صفحات الجرائد المحليـة أو اذاعتـها ولمـا كـانت مواقف الأحزاب ضد هذه المعاهدة، فقد سارعت باصدار بياناتها المناوئة لـها ودعت الشعب إلى إحباط هذا (المشروع الاستعماري) .

ومما أزم الوضع قبل ذلك تصريحات الدكتور محمد فاضل الجمالي حـول المعاهدة في لندن تسبب ذلك استياء عاماً أدى إلى قيام طلاب كلية الحقـوق بالمظاهرات، فاصطدمت بهم قوات الشرطة، وقررت الحكومة اغـلاق الكليـة إلى إشعار آخر. ومع هذا فان الأحزاب العلنيـة والسرية، والمنظمات المختلفـة

وقفت من هذه المعاهدة موقفاً صلباً إذ استمرت المظاهرات الصاخبة عدة أيام بعد نشر المعاهدة وتأزم الوضع السياسي تأزماً خطيراً.

وزعم في حينه أن (الشيوعية) ودعاة (الصهيونية)[1] ، من اليهود قد أفادوا من هذا الحدث السياسي الخطير إفادة كبيرة وهو معروف لمعظم السياسيين وغيرهم ممن عاصروا تلك الأحداث .

قتلى وجرحى

والذي أذكره بمناسبة إصطدام جموع المتظاهرين مع قوات الشرطة، إن عدداً من المتظاهرين قتلوا، فوجهت الأحزاب وبعض رجال السياسة الاتهام إلى رجال الشرطة كما سنرى.

المظاهرات والبلاط الملكي

ومن الجدير بالذكر أن أشير في هذه الذكريات إلى أن المظاهرات الصاخبة، كانت تفد إلى البلاط الملكي إما من بغداد وإما من الأعظمية أو الكاظمية. ولما كنت راغباً في سماع هتافات تلك الجموع والوقوف على مطاليبها، إذ قد أسأل عنها، فقد كنت أخرج إلى الساحة وأنظر اليهم وهم يرددون تلك الهتافات والشعارات المتضمنة المطالب الشعبية وفي مقدمتها إلغاء المعاهدة وإسقاط وزارة صالح جبر. ولا بد لي أن أذكر هنا أن الوصي لم يكن يحضر إلى البلاط الملكي في كثير من هذه الأيام العصيبة إذ يبقى في قصر الرحاب، لمراقبة الموقف من هناك.

---

[1] ومنهم قادة عصبة مكافحة الصهيونية .

مواقف وملاحظات

والذي أذكره من ملاحظات، كنت قد سجلتها في حينه عما جلب نظري في تلك المظاهرات ما يلي :

١ . ماذا تريدون ؟

لاحظت أن الطريقة التي أتبعت في هذه المظاهرات وقيادتها، طريقة جديدة، إذ كان هناك أشخاص بيدهم ورقة فيها شعارات وهؤلاء الأشخاص وحدهم الذين يطلقونها ولكن على شكل جديد إذ إن هذا الشخص المرفوع على الأكتاف والأعناق ينادي بأعلى صوته قائلاً مثلاً :

- نريد إسقاط صالح جبر !

ثم يسأل الجموع قائلاً :

- ماذا تريدون ؟!

فتصيح الجموع هادرة ...

- نريد إسقاط صالح جبر ... ، وهكذا بقية الشعارات.

٢ . أعلام حمراء وخضراء .

ومما لاحظته في بعض تلك المظاهرات، أن بعضهم يحمل أعلاماً كبيرة ألوانها بين أخضر وأزرق وأحمر، وعليها رموز فلما سألت عن هذه الأعلام قيل لي أنها أعلام الجهاد.

٤ . قيّم الركاع .

.. ومن الطرائف التي أذكرها عن تلك الايام هذه الطريفة :

ففي أحدى المظاهرات الصاخبة التي وفدت إلى البلاط الملكي طلب قادة المظاهرة، أن يخرج لهم أحد موظفي البلاط ليستمع إلى مطاليب الشعب.

ولما كان السيد تحسين قدري -رئيس التشريفات - حاضراً جئته وقلت له :

- باشا الجموع تريدك وتريد أن تسمع منك كلمة.

فلما سمع كلامي نظر إليّ نظرة إستغراب.

فقلت له :

- لا بد لك من إلقاء كلمة، أية كلمة تناسب المقام.

وعند ذاك نهض وجئنا له بكرسي ليقف عليه ويخاطب الجمهور، فلما وقف صاح بأعلى صوته .

_ أيها الشعب الكريم أنني سوف أنقل مشاعركم ومطاليبكم إلى الوصي .

وكنت واقفاً جنب الكرسي، وكانت إلى جواري فتاة من المتظاهرين، فسمعتها تقول عندما سمعت اسم الوصي :

- قيّم الركاع !!

ولما إنتهى تحسين قدري وغادر المتظاهرون ساحة البلاط عائدين إلى بغداد، قلت له أتدري ماذا علقت إحدى المتظاهرات على ما جاء في خطبتك ؟ قال : لا .

قلت : إنها قالت قيّم الركاع !!

فقال ماذا تقصد بذلك ؟

قلت :

- باشا هذا مثل شعبي معروف أصله (قيم الركاع من ديرة عفك) يضرب في حالة الشك بحصول نتيجة أو فائدة : فضحك !,

٦ . موقف محرج

وبينما كنت وحدي ذات يوم في دائرة التشريفات، بلغني أن مظاهرة كبرى متوجهة نحو البلاط الملكي ، وفيما أنا كذلك إذا بآمر الحرس الملكي يدخل غرفتي ويوجه إليّ السؤال الآتي : - هلالي .. المتظاهرون قادمون إلى البلاط، وربما يدخلون فماذا تأمر هل نمنعهم من الدخول إلى البلاط بقوة

السلاح، وهذا من واجب الحرس ؟ أم لا ؟ فلما سمعت سؤاله قلت مستغرباً : ومن قال لك إني أملك إصدار الأوامر في مثل هذه الظروف ؟

قال : اذن من هو المسؤول ؟

قلت : لماذا لا تذهب إلى رئيس الديوان الذي هو الآن في غرفته ؟

قال : هذا من واجبك وأرجوك أن تنظر للأمر بجدية .

قلت : طيب تعال معي وكن على مقربة من باب غرفته فربما يريد أن يباحثك بالأمر.

قال : طيب هيا بنا .

فلما وصلنا إلى غرفة رئيس الديوان، إستأذنت بالدخول وبقي آمر الحرس في الممر، وهناك في داخل الغرفة جرى بيننا الحوار الطريف الآتي :

باشا .. جاءني آمر الحرس الملكي وقال أن المتظاهرين قادمون إلى البلاط فهل يمنعهم بقوة السلاح إذا حاولوا دخول البلاط الملكي، وهأنذا جئت لانقل لمعاليكم ما يريد الوقوف عليه من جواب سريع !

فلما سمع كلامي بهت وبدا عليه الإضطراب ثم راح يتمتم ويحرك يديه ويقول :

- شوف هلالي ، إذا همه هذا، بس خليهم شوية ، لكن إذا همه شسمه، آني أشوف إنو ما لازم الحرس يتشدد بس إذا شاف هذا، فعاد همه يعرفون تكليفهم !! نعم بمثل هذه العبارات أراد رئيس الديوان أن يحل الموقف، وحيث أني لم أفهم شيئاً سارعت بالقول :

- باشا آمر الحرس الملكي بالباب، فأرجو ان يتم التفاهم معه حول هذه المسألة ، ثم خرجت وقلت لآمر الحرس :

- تفضل رئيس الديوان يريدك .

ولما دخل ، عدت إلى غرفتي وأنا أحمد الله الذي خلصني من هذه الورطة.

والطريف في الأمر، أنه بينما كان آمر الحرس في غرفة رئيس الديوان كان المتظاهرون قد دخلوا إلى البلاط، وتقدم بعض قادتهم إلى غرفة رئيس الديوان ودخلوا ليسلموه مطاليب الشعب. وهكذا تخلص رئيس الديوان من الورطة، التي كاد يقع فيها بسبب مراجعة آمر الحرس الملكي.

إجتماع السياسيين في البلاط الملكي

وتحت ضغط هذه الأحداث السياسية الخطيرة، وما نتج عن تصرفات السلطة، وخوفاً من تفاقم الخطب وإنفلات الزمام وإستغلال الموقف من قبل الجهات المختلفة، أخطر الوصي عبد الإله إلى دعوة عدد من رجال السياسة في البلد للحضور في البلاط للتشاور معهم في وضع حد لتردي الأوضاع وتدهورها.

وهكذا أمرنا نحن موظفي التشريفات بالإتصال بهذه الشخصيات وإعلامهم بالحضور إلى البلاط في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٩٤٨/١/٢١ .

وقد قمنا فعلاً بهذا الواجب، أما الأشخاص الذين اتصلنا بهم غير الوزراء فهم السادة :

جميل المدفعي، حكمت سليمان، حمدي الباجةجي، أرشد العمري وهم رؤساء الوزراء السابقون الحاضرون في بغداد، والسيد محمد الصدر، عبد العزيز القصاب، محمد رضا الشبيبي، صادق البصام، نصرت الفارسي، نجيب الراوي، كامل الجادرجي، محمد مهدي كبة، علي ممتاز، داود الحيدري، مولود مخلص، جعفر حمندي، السيد عبد المهدي، مصطفى العمري.

وحضر من الوزارة : جمال بابان وزير العدلية ووكيل رئيس الوزراء، توفيق النائب وزير الداخلية، يوسف غنيمة وزير المالية، ضياء جعفر وزير الأشغال والمواصلات، جميل عبد الوهاب، وزير الشؤون الإجتماعية، توفيق وهبي وزير المعارف، عبد الإله حافظ وزير التموين، لقد حضر هؤلاء السادة في الموعد المحدد من ذلك اليوم وإجتمعوا في الصالة الكبرى.

والذي أذكره بمناسبة هذا الإجتماع هو أن رئيس الديوان الملكي أمرنا، أنا وأحمد زكي المدرس معاونه والسيد عبد المجيد حسيب وعبد الله النقشبندي باعداد أوراق كافية، لحضور الإجتماع وضبط أقوال المتكلمين.

فأعددنا ما أمرنا به، ثم اخذ كل واحد منا مجلسه في ناحية من نواحي الصالة، ليكون التسجيل دقيقاً، والسبب في هذا الإجراء هو أن أجهزة التسجيل لم تكن قد وصلت العراق آنذاك. ولما اكتمل عقد المدعوين، دخل الوصي عبد الإله القاعة، وبعد الترحيب بالحاضرين، تكلم وقال :

- إني دعوتكم لحضور هذا الإجتماع للبحث في الوضع الذي تجابهه البلاد ، والذي أعتقد أن جميعكم تعرفون أهميته فأرجو أن يتكلم كل واحد منكم بصراحة تامة، كما لو كان هذا الكلام يجري فيما بينكم لأن الموقف يتطلب الصراحة كي نتوصل إلى نتيجة مرضية وقال :

- لقد جمعتكم لا بصفة حكومة أو معارضين ، بل بصفة مواطنين، ان الحكومة الحاضرة سعت لتعديل المعاهدة وجاءت بهذا الشكل، وهل هذا يقبل أو يرفض يعود للأمة. وبسببها وأسباب أخرى حدثت حوادث في اليومين الأخيرين والتي يجب أن نعطيها نهاية لأن، استمرارها يسبب حوادث أكبر.

أحب أن أسمع آراءكم لترشدوا الحكومة إلى الطريق الصالح ولتوقيف الحوادث الآن والخروج من هذه الحالة المتفاقمة فالبلد بلدكم وأنتم جميعاً حريصون على سلامته.

وقبل أن ينهي كلمته قال :

- ان وكيل رئيس الوزراء سوف يبسط لكم الموقف على حقيقته ويذكر العوامل التي أدت إلى حدوث ما حدث !

أقوال الحاضرين كما جاءت في محاضر الضبط

وبعد إنتهاء هذا الإجتماع السياسي الخطر، جمعت الأوراق التي كتبنا فيها أقوال الحاضرين، ثم جرى تنسيقها بمحضر واحد وطبع على الآلة الكاتبة ليحفظ في سجلات البلاط الملكي وثيقة تأريخية حسب الأصول.

وقد تسنى لي الحصول على نسخة من ذلك المحضر المهم، وبالنظر لكوني واحداً ممن ضبطوا تلك الأقوال، ولأهمية هذا المحضر من الوجهة التأريخية، فها أنذا أثبت فيما يلي النص الكامل لتلك الأقوال كما يلي :

قلنا أن الوصي عبد الإله، قال أن وكيل رئيس الوزراء سوف يبسط للحاضرين الموقف فها هوذا يبدأ الكلام، وكان أول المتكلمين بعد الوصي.

جمال بابان : إسمحوا لي بأن أوضح الحالة .

في أول يوم، كلكم تعرفون أن كلية الحقوق، كان بودها التظاهر بسبب فلسطين والغاء معاهدة سنة ١٩٣٠، فالحكومة أتخذت تدابير بعدم فسح المجال للمظاهرة وأوعزت للشرطة أن يمنعوا التلاميذ المتظاهرين، فحدثت تلك الحوادث التي رأيتموها وعلى أثرها أوقف بعض التلاميذ، وصدر قرار بغلق كلية الحقوق وبعد سفر فخامة رئيس الوزراء وبموافقة الوصي زرت السجن وأبديت النصائح للموقوفين، وأخلى حاكم التحقيق سبيلهم وفتحت الكلية وانتهت. وفي اليوم الثاني لنشر المعاهدة الجديدة، أضرب طلاب الكليات وفهمنا من التقارير الرسمية، أن هذا الإضراب سيستمر ثلاثة أيام،

والحكومة فسحت المجال ولم تتخذ أي إجراءات، وكلنا يعرف أن التلاميذ لم يشتغلوا من تلقاء أنفسهم.

وفي اليوم الثالث، إستمرت المظاهرة وإتخذت الحكومة تدابير لحفظ الأمن وأنتهت المظاهرة بسلام، وكنا نعتقد أنه آخر يوم بالبيان الذي أصدرته الكليات بوجوب الدوام وإنما التقارير التي وردت دلتنا على أنه في اليوم التالي ستكون المظاهرة أقوى وتشرك فيها عناصر مضرة للبلاد، ولهذا إضطرت الحكومة إلى إتخاذ الاجراءات لمنعها.

وفي الصباح شعرنا أن الوضع حرج وكانت المظاهرة مرتبة بشكل قوي ومن إتجاهات مختلفة وفي محطات الباص، وبشكل يصعب على الحكومة تفريقها، لأنها كانت من ثلاث محلات والمتظاهرين مختفون لا يجلبون النظر، والمناطق التي ابتدأت منها المظاهرة هي : سميراميس، والمنطقة الوسطى والحيدرخانة، ولما عرفت الحكومة أن المتظاهرين ليسوا لاظهار الشعور وإنما للسلب والنهب، إتخذنا التدابير اللازمة وأخذنا أمراً من الوصي بعدم إستعمال السلاح مهما كلف الأمر.

وقد بلّغت هذا الأمر إلى الجهات اللازمة، قامت المظاهرة والكل منا سمع الطلقات والحوادث ومع ذلك أن الشرطة – تأكدوا يا سادتي – لم تستعمل السلاح، حتى أن قسماً من الناس هجموا على سيارة مسلحة وقبضوا على الرشاش، والنتيجة قتل حوالي أربعة او خمسة ومن الشرطة (٨٤) جريح ومن الأهالي حوالي (١٠ – ١٥) جريح، ولأجل التأكد بان الحكومة لم تستعمل السلاح وأقول لو استعملت السلاح لقضت على مئات لوجود آلاف من الناس، ومن المؤكد أن الطلقات التي أدت إلى الجرح والقتل أطلقت من السطوح.

أما اليوم فبدأت المظاهرة من الأعظمية ، وجعلــوا البنــات (ســوبيرات) والأولاد خلفهم، ثم من الكرخ والطبية. تمكنا من تفريق مظاهرة الكرخ بعـــد أن استعلموا السلاح، أما في الكلية الطبية، فقد قتل طالب وهو فوق الســطح بمنطقة باب المعظم. مع إعتقادي أن الشرطة لم تستعمل السلاح، إلا أن هناك قولاً باستعمالها وهذا قد يجوز لأن الشرطة بشر ولا يمكن لأحد أن يقف أمـام الموت بغير دفاع. وأننا كحكومة مسيطرون على الوضع ولسنا ضعفاء ولكـن نخشى أن تتوسع إذا أخذت العناصر تتدخل في الامر، هذا ملخص الوضع !

كامل الجادرجي – رئيس الحزب الوطني الديمقراطي –

سأل الوصي عبد الإله قائلاً : الشيء الذي يراد معالجته الآن، هــل هـو المعاهدة أم الموقف ؟

فأجابه الوصي عبد الإله :

- الموضوع الآن الموقف لأن المعاهدة من حق الجميع !

عند ذاك استمر الجادرجي في الكلام وقال :

- يصعب التفرقة بين الإثنين، لأن الوضع ناشئ من قضيـــة المعـاهدة، وعندما نشرت فالكل إطلع وإستاء. إذا كـــان يـأمل الشعب بعـد الحـرب والحوادث العالمية، أن يحصل ما يؤمن المطالب الوطنية، وما كان يتـأمل أن يرى ما رأى.

وأعتقد حسبما رأيت وجود إجماع عام، المعاهدة غير مرضيـــة، طبيعـي القضية، قضية انعكاس، والشعب مكافح مكافحة شديدة، والأحـزاب مشـلولة والصحف غير حرة وفروعها غير موجودة، والكتل مالها واســطة للتعبـير، هذا انعكس على فئة يمكنهم أن يتجمهروا، الفئــة المثقفــة حينمـا شـعرت ضرورة التعبير عن شعورها قامت بالمظاهرات، ولا أوافق رئيــس الــوزراء بان المظاهرات من فئة ضارة، إنما هي من الشــعور الوطنــي والحكومـات

المتعاقبة، لا الحكومة الحاضرة فقط، عودتنا أن المظاهرات بصـــورة عامـــة ممنوعة، مع إنها من الحقـــوق الدســـتورية، والنـــاس يعتقـــدون أن طلـــب المظاهرة بطريقة قانونية لا يمكن الحصـــول عليـــه، ولـــو كـــانت الحكومـــة متبصرة، فسحت المجال للطلاب لإظهار شعورهم ولما حدث كل ذلك.

والاستفزازات التي حصلت من الحكومة أدت إلى هذا.

وهناك حوادث ثابتة، أن الشرطة إســـتعملت منتـــهى القـــوة، والقســـوة، وعندي معلومات جداً وثيقة بهذا الخصوص ولا يجوز للشـــرطة أن تضـــرب الناس بالعصي أو تجرحهم إلا عند الدفاع، والشرطة حينمـــا تلقـــي القبـــض تستعمل معهم منتهى القسوة وتجاوزت حد الدفاع.

جميعنا يجب أن تتكون لديه فكرة حكومية، وهنا يجب أن تدافع الشـــرطة عن الناس لا أن تهاجم، والشرطة أو الحكومة أظهروا للناس أنـــهم أعـــداء الشعب، وبطبيعة الحال أن الناس لا تتحمل ذلك، الذي أعتقده أن الحكومـــة أو الشرطة هي التي تسببت بهذا الإستفزاز، والوضع خطير وليـــس كمـــا يـــرى رئيس الوزراء بأن لديه قوة، أنذاك بامكان الحكومة ولا لزوم للمباهاة، لكـــن نتائج ذلك وخيمة، أقول بصراحة انها تصل إلى درجـــة لا نقـــدر أن نوقفـــها وهذا يسوأنا كرجال مفكرين، ونطلب منكـــم أن تـــأخذوا بنفســـكم وتعـــالجوا الموقف الخطير، أما رأي في الموضوع فأعرضه .

محمد مهدي كبة – رئيس حزب الإستقلال –

– لا شك أن معاهدة سنة ١٩٣٠، عقدت في ظروف اســـتثنائية خاصـــة، وكان العراق آنذاك لا يزال تحت الاستعمار تقريباً، وتحت التزامـــات كثـــيرة، قيل أن المعاهدة عقدت بهذا الشكل لوجود مزايا فيها، وبالرغم من هذا يتذكـــو الحاضرون، ان المعاهدة عقدت بغير رضا الشعب العراقي، ومن ذلك الوقـــت حتى الآن يرددون ضرورة تعديل المعاهدة أو تبديلها بما يضمـــن المصـــالح

الوطنية، والسيادة، وفي كل مرة يجري بحث التعديل يتوقع الشعب أن يـــأتي تعديل المعاهدة بشكل يحقق مصالحه ويطمئن الرغبات.

مع الأسف إن تأليف الوفد بالشكل الذي تألف به وبالوضع الذي تألف بـــه، والعناصر التي تألف منها، لا يبشر بخير.

ومع ذلك فان الشعب كان ينتظر أن يأتي التعديل مطمئنـــــاً ويـــأمل ربمـــا بوجود اتفاق سابق بين الفريقين، وإنتظر الشعب وجاءت المعاهدة، فلما رآها وجدها تزيد قيوداً وقيوداً ثقيلة، علـــى الســـابقة والتزامـــات علـــى العـــراق (سياسية وعسكرية واقتصادية) وتربط العراق بالعجلة البريطانية، إذ جاء في أحد موادها، ان مدتها ٢٥ سنة وبعد انتهائها يتعهد الفريقان بتمديدها علـــى عين الأسس (نص المعاهدة) .

وعندما نشرت المعاهدة واطلع عليها الشعب نقم عليها، عدا أفراد قلائـــل، لهم صلة أو مغنم من المعاهدة، عدا هؤلاء، فكل الشعب رفضها ونقم عليـــها، وأعتقد أنها ستكون السبب في القضاء على ما حصلناه في سنة ١٩٣٠ .

وعندما أراد الشعب أن يعبر عن شعوره، لأنه حتـــى القتيـــل يســـمح لـــه بالصياح، أقول لما أراد الشعب التعبير عن شعوره مثل فيه أفظع تمثيل.

أنا لا أتفق أبداً مع وكيل رئيس الوزراء، بأنه كان يوجد هنــــاك عنـــاصر هدامة والتهمة الموجهـــة إلـــى حـــزب الاســـتقلال بـــالذات لان عـــدداً مـــن أعضائه بالتوقيف، إني أعطي (كلمة شرف) بأن الحزب رغم استيائه مــــن المعاهدة واستنكاره الشديد، حاول ضبط أعضائه، وكبـــت مشـــاعرهم خـــلال ثلاثة أيام، وحتى اللحظة لم يشتركوا بانتظار النتيجة، وقد أعلن الحزب أنـــه عندما يقتضي الواجب فسنعلن الإضراب والمظاهرة ويتقدم رجاله المظـــاهرات أمام الأعضاء، والمعلومات التي بلغتنا أن الشرطة مـــع الأســـف هـــي التـــي إستفزت الناس وفتكت بهم، بدليل بيان وكيل رئيس الوزراء، كـــان صريحـــ

بأن من الآن فصاعداً إذا أراد أحد أن يتظاهر فان الحكومة تفرقهم بالقوة، وهذا لا يتفق مع ما أفاد به الآن من عدم إستعمال السلاح.

نعترف أن الموقف خطير وأن الرأي العام على غاية التهيج وأن علاج الموقف يعتمد عليكم، فمن مات في الشوارع فهم عراقيون.

جميل المدفعي .

– أولاً : نشكر موقفكم، باصدار أمركم إلى رئيس الوزراء بعدم إستعمال السلاح مهما كانت كلف الأمر، وأنا سمعت هذا الخبر أيضاً من جمال بابان ومن وزير الداخلية (توفيق النائب) وتكلمنا فيه بعدة مناسبات، وبينت للأخوان حلمكم، وبالطبع في مظاهرات كهذه يطلق الرصاص ولا بد ان يقع جرحى، وكلنا يأسف لمثل هذه الحوادث التي يصعب في مثلها تجنب الجرح والقتل نرجو من الجميع والحكومة في المقدمة أن يتعاونوا ولا تهدر دماء أبناء الشعب من الطرفين، فالطلاب أبناؤنا والشرطة اخواننا، المعول عليهم في استتباب الأمن ويجب الحرص على حياة كلا الطرفين.

أما قضية المعاهدة، فالحقيقة أننا بالإجتماع، السابق تكلمنا وكان كلاً منا رجما بالغيب، لأن أكثرنا كانوا يعرفون الأسس، وكان إعتقادي أن هناك لجنة وزارية تشكلت ولاحظت الأمور وعملت مقترحات، خصوصاً وان رئيس اللجنة الوزارية، توفيق السويدي كان ضمن الوفد، فصار الاعتقاد سائداً أن المعاهدة تقارب المقترحات الوزارية ، ولكن لما أعلنت المعاهدة مع الأسف الكل إندهش وأنا من جملة المندهشين، فأنا والجماعة كلهم رجال، أرى وأسترحم أخذ هذه المسألة بنظر الإعتبار وأنا أعتقد أنه ليس من السهل تمشيتها على وضعها الحالي، فان كلنا أو أكثرنا يعتقد بضرورة التحالف مع بريطانيا، ولكن بشرط يضمن مصلحتنا وكرامتنا، ويلاحظ أيضاً مصلحة بريطانيا، وأنا أعتقد أن المعاهدة الحالية ليست أداة صالحة لتحالف حميم.

الوصي عبد الإله

- هل تقصد بالمعاهدة العراقية ، معاهدة سنة ١٩٣٠ ؟

المدفعي

– العفو ... أقصد المعاهدة الجديدة أو لائحة المعاهدة الجديدة، وأعتقد أنها لا تفيد في تكوين صلات طيبة، وهي كما أعتقد لا تتفق مع مصلحة الانكليز، لأن خصومنا يستفيدون منها، ويستغلون الأثر السيء في النفوس، بدلاً من أن تكون صالحةً ومفيدة تكون وبالاً .

وأقدر أن أقول أن معاهدة ١٩٣٠ التي جاءت بعد الإنتداب والمظاهرات جاءت نوعاً ما أحسن من هذه في بعض الوجوه، وبعد هذا الإنتظار والتجاوب وبعد أن إختلف كل شيء، وتطور كل شيء تأتي المعاهدة بهذه الصورة، هذا شيء صعب.

نصرت الفارسي

– أعتقد أن معالي وكيل رئيس الوزراء كشف عن الحقيقة على أثر نشر المعاهدة، ظهرت هذه الحوادث المؤسفة والتي غاية الكل وأملهم أن لا تتكرر. وأنا لا أريد أقول أي شيء حول وقوع الحوادث، ومن هو المقصر من الأهلين أو الشرطة وان كان عند كل واحد منا (شهودات) قد لا تتفق والأخرى، ليس هذا هو المهم، لأنه يتعلق بالمسؤوليات، غايتنا أن لا نكرر الحوادث. تفضل وكيل رئيس الوزراء فقال : أن الحكومة متحكمة على الموقف نود ذلك وكل واحد يود ذلك، إذ عندما تفلت الأمور من يد الحكومة قد يقع ما لا يرضي الجميع، ولكن هذا القول، هل يزيد المحاذير التي تبدو لنا ونخشى منها ؟ فاذا كان الأمر ليس كذلك وإذا قررنا أن هذه الحوادث التي حدثت كانت نتيجة المعاهدة فالذي يجب أن يعالج هو قضية (المعاهدة) أعتقد أن المعاهدة لا بشكلها ولا بظروفها، حسنة، لا في الشكل ، لأن هذه

المعاهدة، عندما بحث عنها ، كان المطلوب، أن تكون أحسن من السابقة، لأن الظروف تبدلت وجعلت المعاهدة غير مرغوب فيها، وأتفق مع الرفاق بأن المعاهدة أسوأ من السابقة.

واسمحوا لي أن أسأل : هل أن مجلس الوزراء صادق على هذه المعاهدة أم لا ؟ كما أنه : هل الحكومة ترى بهذه السيطرة تزول المحاذير التي تخشى منها الآن .

جمال بابان :

- قلت أن في الحال الحاضر، الحكومة مسيطرة على الوضع وأبديت تخوفي من المستقبل، لذا عرضت الموقف على الوصي، فأمر بعقد هذا الإجتماع حتى تتخذ التدابير المقتضية وحتى لا تقع حوادث، أما مجلس الوزراء، فانه لم يصدق على المعاهدة، وإنما ستعرض عليه كما هي العادة.

السيد عبد المهدي :

- لا أخوض في أمر المعاهدة، بعد أن تفضلتم وحصرتم الموضوع بالإضراب ونتائجه وبالأمن، لذلك أترك الخوض بالمعاهدة إلى فرصة أخرى ربما تكون أوسع.

والشيء الذي تفضلتم بحصر المعاهدة فيه هو أمر مهم وبسيط معاً بسيط إذا نظرنا اليه من ناحية كونه مشروعاً، سياسياً، عرض على البلاد ويراد منها إقراره، فأبناء البلاد، من حقهم أن يبدوا آراءهم عنه وإبداء شعورهم، والطلاب من أبناء البلاد، ان يبدوا الشعور ويتظاهرون واذا كانت المسألة الى حد الشعور وإظهاره وتنتهي فهي بسيطة، فليس من الحق الوقوف في وجهه وكبته ولكنها ستحملنا على النظر إليها نظرة مهمة، غير بسيطة لأن الذي رأيناه في الحقيقة ليس شعور طلاب فقط، بل تعدى إلى خطوات وخطوات كثيرة. أظهرت لنا الحوادث التي وقعت في المظاهرة على أنها مع

الأسف استغلت ووجهت إلى وجهات لا تتناسب والجهة الظاهرية، ونظرة إلى ما حدث أمس من حوادث، من قتل وجرح وحرق ونهب وهتافات مختلفة ومتنوعة وأعمال في الأقوال والأفعال، خرج منها على القانون، لا بل على الدستور نفسه, نرى ونؤمن أن هناك أيد ونزعات ومذاهب (وأفكار هدامة) ترمي إلى استغلال الموقف، وإذا أردنا خدمة الواقع يجب أن نصرح، إذا رأينا الخطر محدقاً بنا، يجب أن نبدي آراءنا بصراحة.

القضية ليست كما تفضل الاخوان، كل منا رأى ما وقع من فوق السطوح والخانات[١] والشرفات المطلة، مقابل دائرة التحقيقات الجنائية[٢]، واطلاق الرصاص على الشرطة والمتظاهرين وأعني بهم جماعة من اليهود[٣] .

وأنا أرى الوضع الحرج الآن، إذ خرج عن كونه إظهار شعور لأن الشعور له حد ويقف عنده. أرى من واجب كل مسؤول في البلاد سواء وزارة حاضرة أو مقبلة أن يعالج الموضوع من هذه الجهة، هل تجاوزت الشرطة ؟ يجوز ! هل التلاميذ تجاوزوا ؟ يجوز كذلك، الموضوع أخطر من شرطة وطلاب، الموضوع أعمال وتفكير وأهداف وخطط ! إذا فكرنا بهذا الموقف حينئذ، يجب أن يفكر المسؤولون، ماذا عليهم تجاه الموضوع .

كامل الجادرجي :

- أتفق مع السيد عبد المهدي، أن الموضوع يحتاج الى دراسة أعمق فهو ليس شرطة وتلاميذ. قال السيد عبد المهدي، أن هناك أيد خفية، وأفكار

---

(١) لقد تلفظ السيد عبد المهدي بلفظة كانت غريبة عن الحاضرين، إذ قال من فوق السطوح و(الخيان) وهي لفظة أهل الجنوب يعني بها الخانات.

(٢) كانت هذه الدائرة تقع في البناية الواقعة مقابل سينما الحمراء بجوار بناية البنك المركزي.

(٣) هم جماعة من اليهود المؤيدين للصهيونية القت الشرطة القبض عليهم لأنهم يطلقون الرصاص.

هدامة، واني أصرح أمامكم، أنني أشد من السيد عبد المهدي في مكافحة الآراء والمذاهب الهدامة، ولكن يجب أن تعين وتحارب بالذات، لا أن تتخذ وسيلة، أسباب القضية هو الضغط المستمر من الحكومات، بخرق القوانين وهذه فرصة سعيدة نعرضها أمامكم، ان الناس لم يتحملوا بعد هذا عدم تطبيق الدستور، الناس تريد حرية الصحافة، حرية الإجتماع حرية الكلام، فإذا كبت هذا الشعور لا بد أن يخرج وينبثق من جهات أخرى.

يجوز أن الطلاب قاموا بحركات، استفزازية، بدون شبهة، ولكن الذي استفزهم، هو إعتقادهم بأن الحكومة لا تسمح بأية مظاهرة سلمية وهذه القناعة موجودة عند كل الشعب، ولو أن كل الناس تبدي آراءها بصراحة وضمن حدود القانون يكون (تنفيه) وتنفيس عنها لكن الحكومة تتحايل لسد جرائد الأحزاب مع ان قانون المطبوعات جاء بمادة تحمي صحافة الأحزاب، وقد ابتدع أرشد بك بدعة بأن تقام الدعوى على المدير المسؤول، وتحجز الجريدة باعتبارها آلة جرمية.

أرشد العمري :

- المحاكم قالت هذا وليس أنا .

الجادرجي - مستمراً -

- الوزارة تتدخل بالمحاكم وهذه صراحة، ان عدم وجود حرية التعبير والمظاهرات، هي التي تولد الإستفزازات، فيجب إعطاء حد لهذا، بصفتكم (حامي الدستور)، وان تردعوا الحكومات عندما تتصرف مثل هذا التصرف وسيبقى الوضع متوتراً ما لم يطمئن الناس إلى حرياتهم، ونحن كأناس تداولنا الحكم، بودنا أن يحصل الإستقرار، والسبب هو أن الناس تتضايق وما تتحمل أن ترى كل الشعوب تتمتع بحقوقها الدستورية وهي ممنوعة منها.

حمدي الباجةجي:

- أشارك الشكر لكم بدعوتنا وسماح بعض المطالعات، عمري الآن هو ٦٢ سنة وأعتقد أنني ذاك (حمدي) الذي كان يكافح بالطرق والشوارع، كما كافحنا المعاهدة سنة ١٩٢٢ وكنا شباباً ونتحسس بعين (الحسيّات) يجب أن نرفض القول أن بين الشباب أفكاراً هدامة بل هو ثوران وطني.

ومن المؤسف أننا دائماً نخالف القواعد، لا توجد مملكة في الدنيا، تقوم فيها الحكومة على عمل بدون الإستئناس بالرأي العام، وليس من الإنصاف أن يذهب وفد إلى لندن ويوقع على المعاهدة وتجعل شيئاً مفروضاً على الناس !

في البلد رجال لهم أفكار ومطالعات وعلاقات، كان الواجب أن يستأنس برأيهم قبل ذلك. والخير في عدم تصديقها قبل نشرها ورؤية وقعها، فالذي وقع هو شذوذ خلاف ما يقع في البلاد الأخرى، فالبلاد التي تقدم على عمل كهذا، تعطي فرصة للرأي العام، هل يؤيدها ؟ وعند ذاك تتقدم وتتركها، ولكن استفزاز الكثرة الوطنية، هذه نتيجته، عرضنا عليكم، أننا كنا شباناً وكنا نركض بالجادات في عهد الأتراك وما بعده، وعليه أن مثل هذه الثورات الوطنية لا أقبل أن تمزج وتلوث بالأفكار الهدامة !!

يتذكر الجميع ما عملته البلاد حين فرضت معاهدة على المجلس التأسيسي قبل (٣٠) سنة ، أي قبل وجود أفكار هدامة، فحدثت آنذاك مظاهرات وحركات أدت إلى أن تعقد المعاهدة بعد منتصف الليل بأقلية ضئيلة.

وعليه الآن، إذا كان سموكم يرغب في تهدئة الأفكار، أقترح على الحكومة أن تعلن بان توقيعها في لندن ليس بصورة نهائية، بل أن هناك مجلس وزاري، سينظر في الأمر، وهذا يهدئ الأفكار الهائجة في البلد، ويعطي وكيل رئيس الوزراء، بياناً يقول فيه :

ـ ولو أن المفاوضين صدقوها، فليس هذا يعني أنها قطعية وليست شيئاً باتاً، وأن مجلس النواب سينظر فيها ويتذاكر حولها بعد استخراج آراء رجال البلد، وسيكون هذا ما يوافق مصلحة البلاد ويهدئ الخواطر.

الوصي عبد الإله : هذا شيء معلوم للمثقفين، إنها ليست باتة، وإنما يجب عرضها على المجلس.

أرشد العمري :

– يقصد حمدي بك، أن هذا الإجراء يهدئ الخواطر.

والحال الراهنة هي مهمة وخطيرة، وأثناء معالجتها لا أريد أن أتطرق إلى الأفراد وأترك الموضوع. أنا أعرف تطورات المعاهدة الأولية، وأعرف تطورات سنة ١٩٣٠، ولذلك، جميع الحوادث السابقة والأفكار أرى منها، أن الوضع خطير لم يسبق له مثيل، والحوادث كلها أتت من وراء المعاهدة.

من ثلاث سنوات والأفكار تتهيأ على طلب تعديل المعاهدة بشكل يختلف كلياً عن الحالية وهذا سبب هذا الشعور الذي أنتج منه شيء مدهش. ان الأولاد والخدم والعربنجية كلهم فيما بينهم غير راضين[1]، هذا وليد الخطابات والآمال السابقة، يطلب شيء مقياسه أوسع من هذا.

لا أقول أن هناك أحد مدسوس بين الطلاب، يوجد موتورون محركون طبعاً يستغلون هذه الفرص لكن عددهم قليل[2]، الخدم يشعرون أن الوضع خطير جداً، لأنني ما رأيت إتفاق كلمة كهذا، لذلك يا سيدي أوجدوا الدواء وفق الداء، لأن الحقائق ما يمكن إغفالها، وان مخالفة شعب بكامله غير صحيح، إذ يجب أن يفحص ويدقق، لأن الوضع يدل على أن الحبل جر

---

[1] كان أرشد العمري يتكلم باللهجة الموصلية القحة، وكنا نجد صعوبة في تسجيل كلامه.

[2] لعل السيد أرشد العمري وهو يتحدث يغفل ما قام به في عهد حكومته قبل أشهر من مظاهرات دموية ونسي (عصبة مكافحة الصهيونية) والحزب الشيوعي الذي نشط في أيامه.

لدرجة كاد أن ينقطع، وإني في هذا الموضوع رأيت وسمعت تعدي على مراجع عليا. في هذه الجلسة يجب أن نرجع الى ضمائرنا لأننا بدون ذلك نغش العرش يجب البحث عن الدواء، هذه المعاهدة منفورة، ما رأيت مثلها، طبلّنا وزمرنا وقلنا معاهدة فوق العادة، يجب الإختلاء بالناس وأنا أحب النظام وبناء على ذلك، أعارض هذه المعاهدة، ولا توجد طريقة إلا رفضها.

السيد عبد المهدي : إستبعد حمدي الباجةجي، قولي، أن هناك عناصر مدسوسة بين الوطنيين الخلص. أنا قدرت أولاً شعور الطلاب وأعطيتهم الحق أن يتظاهروا، ولما قلت أن هذه الحركة أستغلت ولوثت، مع كل الأسف، وأن شعور الطلاب الزكي الوطني الخالص قد أندس بينه شعور آخر، لم ألق الكلام جزافاً، أسأل الأخ حمدي عن ال (٤٠) يهودياً ، الممسوكين بمسدساتهم والموجودين في (الموقف) هل هؤلاء وطنيون ؟! الرصاص المنطلق من سطوح الأسواق والخانات، لأجل إثارة الرأي العام، هل هذا شعور خالص ؟!، لا يا اخوان ... الموضوع استغل استغلالاً فظيعاً جداً، ودليلي (اليهود) الموجودون بالسجن وكانت معهم أسلحتهم، ومسك المتظاهرين أنفسهم، فعلام نخالف الواقع ونرد أقوال بعضنا البعض ؟!

جميل المدفعي :

– ما أحد ينكر على السيد عبد المهدي، أن هناك أناساً إندسوا وأرادوا أن يستغلوا الموقف لحسابهم، ولكن ليسمح لي أن أقول : أن هذا فرع والأساس، المعاهدة، هي التي أثارت الشعور.

السيد عبد المهدي :

– أنا قلت ذلك وإنما انتقدت الهتافات ضد الحكومة وضد نوع الحكم القائم.

أرشد العمري :

- نحن أيضاً نمقت هذا.

داود الحيدري :

- أنا رجل خلقت حكومياً وعاونت جميع الحكومات في المشاريع منذ سنة ١٩٢٦ في المجلس، أشتغل في السياسة، أتفق مع أرشد العمري، فيما تفضل به، في هذه المدة لم أرَ استياء الرأي العام بصورة مطلقة مثل هذا.

إن ولدي (منعم) في كلية الحقوق وقد جرح بطابوقة على ساعده الأيمن، حال كونه في حالة الدفاع، فجاءت الطابوقة على ساعده الأيمن، وأن الطابوقة جاءت من الشرطة، عرفت من الأطباء صائب شوكت وصبيح وهبي بمستشفى الكرخ أنهم وجدوا طفلاً عمره ١٣ سنة، مضروب برأسه بطلقة بندقية عن مسافة يقدرونها بنصف متر، وقد أوصلته الشرطة إلى المستشفى المذكور، من هذا يستدل وجود تقصير في معالجة الوضع. قامت أول أمس مظاهرة وقد رفعت ألواح كتب عليها فليسقط ... فليحيا ...، لكن تفرقوا دون حدوث شيء لأن الشرطة لم تستفزهم.

في هذه المملكة، جوع، غلاء أسعار، قلة غذاء، تذمر عام، إجتمعت كل هذه العوامل وكانت المعاهدة، خير وسيلة لإظهار شعورهم، وأنا أرى أن الحالة خطيرة جداً، وإذا ما استمرت لا أرى أن هناك قوة تستطيع قمعها، في سنة ١٩٢٣ ذهبت مع صبيح نشأت الى (هنري دوبس)[١]، وقلنا له هذه المعاهدة لا تمشي فقال : (مس بيل)[٢] تقول : ما يصير شيء. وجمعنا الملك وقلنا له : ما تمشي !

اقترح حمدي، إعلان بيان فأقول :

---

[١] المعتمد البريطاني في بغداد .

[٢] سكرتيرة الشؤون الشرقية في دائرة الاعتماد البريطاني.

- ان الموقع هو رئيس الوزراء، وأرى أن الإقتراح قد لا يكـــون، فيجــب أن ننظر إلى هذا ونوحد الكلمة.

أرشد العمري : يقصد الأخ حمدي من كلامه، إزالة السبب بأقصر طريـــق وذلك بان يرفضها مجلس الوزراء.

الوصي عبد الإله : حمدي لم يقل برفضها .

حمدي الباجةجي: أقول أن مجلس الوزراء، يعلن أنه سينظر فيها، وأنـــها حتى الآن غير قطعية.

أرشد العمري :

- هذا ممكن .

كامل الجادرجي :

- سيدي ، أرجو الطلب بصراحة أن البيان لا يكفي.

صادق البصام :

- الذي أعتقده أن المظاهرات هي ثورة بسبب المعاهدة وتشـــعبت علـــى قضايا كثيرة، كما شرح الأخوان وأضيف، موقف إنكلترا من العراق وموقفـــها من العرب وخصوصاً فلسطين أجمع الرأي العـــام، أن إنكلـــترا لـــم تتمســك بالمعاهدة القديمة، وان التصديق على المعاهدة الجديدة، يجعل العـــراق آلـــة تسيرها منافع بريطانيا.

العالم مقسوم إلى قسمين : روسي وأنجلوأميركي، وأعتقد لو أن الـــروس صرفوا نصف مليون دينار، لما حصلوا مثل ما حصلوا من دعاية بسبب هـــذه المعاهدة، والجميع يعتقد أن ليس هذا ظرفها، كما أنـــها تخـــالف، والجميـــع يعتقد، قرار مجلس الأمة الإجماعي، الذي عقد جلسته المشتركة.

إذ كما قرر المجلس المقررات التي قررها مجلس الجامعة العربية الســرية والعلنية، ومن مقرراته السرية : عـــدم التعـــاون مـــع أيـــة جهـــة سياســياً

واقتصادياً، مع الجهة التي تعاكس فلسطين وتجاه هـذا القـرار لا يجـوز أن يعقد حلف سياسي مع بريطانيا قبل انجلاء موقف بريطانيا في فلسطين.

فإذا كانت هناك فكرة تعديل يتفق ومصالح البلاد فبها ونعمـت، وان كـان ذلك غير ممكن، فقرار مجلس الأمة، يحول دون عرض هذه المعـاهدة علـى المجلس من جديد، بعد القرار السابق.

والناحيّة الثانية، أود أن يستأنس بالآراء فيمـا يتعلـق بإيقـاف الثـورة النفسية التي تقضي على المملكة، ومن رأي، عدم الإنفضاض دون اتخـاذ أي خطوة لتوقيف هذه الأشياء، خشية انتشارها خارج العاصمة، حيث سمعت أن هناك مظاهرات في النجف والسليمانية وغيرها. وكلنا يعرف العراق إذا عمت به الفوضى فلا يستطيع أحد ايقافها لذلك نرجو من الاخوان النظر في إيقـاف هذا الهياج .في المملكة غلاء فاحش جداً، لا تتحمله الطبقة الوسطى فالنـاس متذمرون. ثم قضية فلسطين وما حدث فيها من قتل المسلمين، وما اتخذتـه بريطانيا من وضع (حسس) الناس في هذا الحال نشرت المعاهدة بشكل خيـب الآمال،هذه دفعت الشبان المثقفين للمظاهرة والذي دفعهم أكثر اعتقـادهم أن البرلمان بيد الحكومة.

مصطفى العمري :

– الحقيقة لا يمكن بحث الحوادث دون أن نعرف سـببها، فـي المملكـة عناصر هدامة، وأشخاص موتورون، ولكنهم ليسوا بقوة للقيـام بمظـاهرات والإخلال بالأمن.

فعليه لابد من معرفة السبب ومعالجته، وأعتقد أن نشـر المعـاهدة هـو الدافع لقيام المظاهرات. بيَنَ الأخوان أن الأكثرية الساحقة، منتقدون للمعـاهدة والسبب صريح، لأن الآمال المعقودة، والخطب في المجـالس كـانت تطلـب تعديل المعاهدة على أساس الاستقلال التام وضمان مصالح العراق، فبعد هـذه

الأفكار، كان المؤمل أن نرى معاهدة حليفة كمعاهدة تركيا مع بريطانيا، لكن مع الأسف، المعاهدة الحالية خيبت الآمال.

كبة ... الجادرجي : هذا صحيح .... هذا صحيح .

العمري مستمراً :

- الواقع أن الناس لا يثقون بالمجالس لأن أكثريتها الساحقة، بيد الحكومة، وبعد كل هذه الخطب والبيانات وتقارير لجنة السويدي، طبيعي، هيجت الناس، ان المظاهرات غرضها عدم تمشية المعاهدة ولا بد في كل مظاهرة حكومية كانت أو شعبية، أن يندس فيها عناصر من النشالين و (الشلاتية) لكي يستفيدوا من الوضع.

إذا عالجنا العامل الأصلي، وطمأنا الناس، بأن العامل،رفع، أنا لا أعتقد أن هناك من يتمكن أن يقوم بمظاهرة بعد ذلك.

ان المعالجة الأصلية يجب أن تظهر السبب الذي أدى إلى ذلك، وهو نشر المعاهدة.

أما حادثة اليوم في المستشفى الملكي، لقد وجدت الأطباء متذمرين وأن مدير المستشفى أنذرهم بعدم دخول الكلية، لأن الطلاب حضروا هناك لتشييع الطلبة المقتولين، ولكن الشرطة دخلوا بسيارة مسلحة ومن قرب دار الأشعة أطلقت الطلقات وقتلت الصبي بالسطح. إن السبب الأصلي حقيقة، هو المعاهدة، وأن الوضع خطير وانتظار المراحل الدستورية من مفاوضات الوزراء ومجلس النواب والأعيان مراحل تمتد إلى شهر أو شهرين، وإن اعتقاد الناس بأن الحكومة موافقة على المعاهدة، لذا فتطمين الناس بايقافها هو الذي يؤمن الوضع، وبصراحة أنه بيدكم معالجة الموقف بحكمة ودراية. وان ضبط الموقف بالقوة غير صحيح، لأن السلاح كثير، والعراق بعضاً في

هدوء وسكون، لكن ما نعرف في أي ساعة يثور على هيبة الحكومة الآن، السلاح موجود عند الأهالي، أكثر بكثير من أسلحة الشرطة.

كامل الجادرجي :

- الحكومة تلح على أن هناك أفكاراً هدامة، تدبر المظاهرة، وقد ذكر الأخوان الأفكار الهدامة أنهم وصفوها بالشيوعية، أنا لا أنكر وجودها، وهاهو رئيس حزب الإستقلال (مهدي كبة) يتحدى كل قول، وأنا أيضاً أقسم بشرفي : أن حزبنا لا دخل له بهذا الموضوع، وأريد من حزب الأحرار أن يبين رأيه بالموضوع. المبادئ المذهبية لا تكافح بالقوة لأن آثارها تبقى موجودة والمكافحة الحقيقية هو فتح المجال والآراء الديمقراطية الحرة، أنا أصرح أن حزبنا لا علاقة له بالموضوع.

جمال بابان :

- المقصود من اجتماعنا معالجة الوضع الحاضر، أن الحاضرين ليس بإمكانهم إنكار وجود مثل هذه الآراء الهدامة، لقد فسحت الحكومة المجال أمام المتظاهرين ثلاثة أيام سابقة، وفسحت الآن كذلك لهم ثلاثة أيام أخرى، وعندما رأت أن الوضع تطور بناءً على إندساس هؤلاء رأيت أنه لا يمكن بقاء الوضع على ما هو عليه.

اقترح الأخ حمدي، إصدار بيان عدم المصادقة على المعاهدة ، وعلق كامل الجادرجي، بأن هذا ما يداوي الوضع فماذا يريد كامل ؟ وما هو مداواة الوضع ؟ جوابي على مصطفى العمري، بأن التلميذ قتل فوق البناية المطلة على الشارع العام كما صرح به عميد الكلية، لا سطح الكلية، الموضوع موضوع معالجة الموقف، ماذا نفعل حتى نقف أمام الخطر الذي يهدد المملكة ؟؟

كامل الجادرجي :

- أعتقد أن الوزارة غير متمتعة بثقة الشعب، ولا يحل الوضع إلا بتنحي الوزارة.

محمد رضا الشبيبي :

- مولايِ، أشكركم، دعوة الأخوان ولولا إنكم تفضلتم وطلبتم رأينا بصراحة لكنت اكتفيت بآراء الأخوان.

ويتراءى لي أن الأخوان بالأكثرية يعتقدون، أن السبب الذي أزم الوضع هو نشر المعاهدة كما نشرت. في الحقيقة هذا من أهم الأسباب لتهيج الشعب، وان كانت هذه الحالة هي ردة فعل لكثير من الأمور والتصرفات القديمة التي قامت بها بعض الحكومات منذ أكثر من ست سنوات حتى اليوم، بالخروج على القواعد الدستورية، وتشكيل مجالس الوزارء من طبقة مع احترامي لآرائهم، تنقصهم مزايا رجال السياسة الموهوبين الذين يعالجون المشاكل السياسية في الممالك، ولهذا مشوا على الموافقة على كل ما يطلب منهم كالموظفين.

كلفوا بأمور سياسية خبرتهم بها قليلة، فلهذا لم يستطيعوا معالجة الأوضاع، مثلاً سارعوا بالسيطرة على شؤون البلاد التجارية والإقتصادية والذي أنشأ الغلاء والمجاعة، أما المجالس النيابية فهي مجالس فيها عناصر ضعيفة جداً، توافق على كل ما يعرض عليها بدون دراسة، هذا جعل الناس يعتقدون عن هذه المعاهدة، أنها ستبرم بالأكثرية، كما أبرم غيرها من المعاهدات واللوائح بسرعة البرق. ولما كانوا يعتقدون في الحقيقة، لم تبق لدى المسؤولين من رجال الدولة، الجرأة، التي يبدون بها آراءهم بصراحة، أخذ الشعب على عهدته معالجة الأمور مباشرة لعدم ثقتهم برجال الدولة، وأنا واحد منهم. كان الناس ينتظرون مثل سائر العالم أن تعود الأمور إلى

نصابها ومجراها الطبيعي، من الرخاء والرفاه، ودوران الأمور التجارية، ما رأينا من أي حكومة من الحكومات إهتماماً بذلك.

التجارة والاقتصاد مشلولان وإجراءات غريبة أدت إلى الأزمة مما يدل على أن أخواننا، اما من طبقة (غير طبيعة) لا يفكرون بالأمور التي يتحسس بها الجمهور ولا يشاركونه في سرائه وضرائه فنشأ أن كل أعمال الحكومة أصبح مشكوكاً فيها ومن جملتها هذه المعاهدة التي عبر فيها النلس عن آرائهم. اسمحوا لي، ونحن أمام لحظة خطيرة جداً، فيجب معالجتها فوراً، وأقول فوراً وهو أسرع من الإستعجال، وأن أشارك القائلين أن تهدئة الخواطر يمكن أن يكون باصدار (بيان) فيما يتعلق بالمعاهدة، لأن الكلمة اتفقت بيننا. إن أهم العوامل هي المعاهدة، فينشر البيان بقول ((ان المعاهدة مجرد مقترحات، وأن مجلس الوزراء لم يبت بها، وسوف لا يمكن عقد معاهدة لا تضمن حقوق البلاد وحريتها السياسية والاقتصادية)).

هذا يهدئ الخواطر الى درجة كبيرة، وما أرى أي مانع يمنع من إصدار بيان، ما دام مجلس الوزراء لم يصادق على هذه المعاهدة.

محمد مهدي كبة :

– إن الرأي العام عندنا يعلم، أن رئيس الوزراء ووزيرا الخارجية والدفاع هم أعضاء الوفد، وأن مجلس الوزراء اطلع على المعاهدة ونشرها، فيعتبر هذا موافقة ضمنية، لا أرى من المعقول أن تعيد الوزارة النظر بالمعاهدة، وتعدل عنها، بل تتمسك بها، إذ لا يطمئنها الرأي، حصول تبديل في المعاهدة من قبل هذه الوزارة. الرأي الصحيح لحل الموقف، هو إنسحاب الوزارة، وتأليف وزارة قومية، تعطي بياناً للرأي العام، على أنها أسست لإعادة النظر بالمعاهدة والمشروع بمفاوضات جديدة، هذا هو رأيي

الشخصي، أما هل من الممكن إستقالة الوزارة والرئيس خارج العراق ؟ أعتقد ان هناك صلاحية دستورية يتمتع بها الوصي لحل الوزارة.

أرشد العمري[1] :

– يا سيدي موضوعنا أكبر وفوق إستقالة الوزارة، الموضوع تخليص البلاد من فوضى تعمل تخريبات وبوادر ظهرت بالخروج على النظام، كل واحد أصبح يريد يأخذ حقه بيده، الطريقة الوحيدة لإزالة ذلك، هو أن يقتنع الشعب أن المعاهدة ما تمشي. أما كيف ؟ فهو متروك للمسؤولين ونحن نقدم لكم آراءنا.

كامل الجادرجي :

– الجميع متفقون على تنحي الوزارة، ولكن يعتقدون أننا أسأنا الأدب، ولكننا أخذنا الأمداد منكم بالصراحة، فنرجو المعذرة !

مصطفى العمري :

– الوزارة والمعاهدة لازم وملزوم، إذا وقفت المعاهدة يوقف كل شيء.

السيد محمد الصدر :

– تكلم الاخوان بنواحيَ كثيرة، تجمعت من عشر سنوات عشر إلى (١٢) سنة، وقد ذكرنا الاخوان بكثير منها، ان مسألة الأفكار الهدامة و (المذاهب) الهدامة، فقد ولدت منذ ولدت النازية والفاشستية. إن عقيدة راسخة لدى العراقيين، فلا يمكن أن يكونَ بالعراق ذلك، ولا يمكن أن تكون الشيوعية مذهباً .

---

[1] لقد لاحظنا ونحن نسجل الأقوال أن السيد أرشد العمري كان كثير الحماس واكثر تأثراً لما وصل اليه الوضع دون أن نعرف السبب ولكنه ظهر بعد حين انه كان يعد نفسه لتولي رئاسة الوزارة.

إن موضوعنا ليس بالكلام عن العلل والأسباب فـــهي كثـيرة، ذكــر الأخ حمدي رأياً، أرى لا بأس به، وإذا لم تحصل التهدئة بهذا سينظر في أمر آخـو ويعول على غير الشرطة بالتهدئة، وان لا تتدخل الشرطة بالأمر، بل بالســير مع الرأي العام بالسلامة.

أنا لا أتفق مع الإخوان بإحالة الأمر إليكم، فالكل يعلــم أن رأيكــم الــرأي الأصوب والأعلى ولكننا اجتمعنا لنعرض رأينا للعمل.

مولود مخلص :

– من الشرف عدم غشكم ، بالرأي، الشعب تألم بمناسبات مختلفـــة ومـــا قصرنا بالعرض أمامكم بما يتألم الشعب منه.

إن قضية المعاهدة بنظرنا جداً مهمة، وكما يقول المثل لا يلـــدغ المؤمـــن من جحر مرتين، ولكننا لدغنا مرات متعددة. بعد الحـــرب وإنتشـــار الوعـــي والمواثيق الدولية، كان يتمنى العراق، أن يحصل على شيء مما ينشده وممـــا ضحى به في سبيله، كان أملنا معاهدة تحترم شرفنا،أنا لا أقول معاهدة النـــد للند فإذا رأينا (عظمة) بريطانيا وسيطرتها وإذا قايسنا العراق الصغير بـــها، فهو عمل غير صحيح بل قياساً بالنسبة لحقوقنا، وإذا تركنا كل شيء، أظـــن في كثير من الأمور أننا مامستريحين، وهذه المعاهدة ما كنا يخطر على بالنـــا أن ننالها بهذا الشكل، ما عدا أشخاص لهم مقاصد ومرامات. والذي يقول أنه مرتاح منها فهو مخاتل ! العرش عرشنا، والبلاد بلادكم، أنتم الرأس الأعلـــى، لا تسندها إلى أطفال، وان كل رجل عنده كرامة يطلب إلى وطنه شيء حســـب قدرته وأمكانه، يطلب عز هذا الوطن.

ان المعاهدة التي ذقنا منها الأمرين، أثارت فينا هذا الإندفاع واني أشـــترك مع القائل، بأن رئيس الوزراء لما كان ســـموكم قـــد جمعتونـــا، كـــان مـــن الضروري عليه، أن يطلعنا عليها فلربما نرشده في بعض الأمور وأنـــا أحـــد

الأشخاص من الذين سمعوا من الخارج الدفاع المشترك ما كـان علـى هـذا الشكل. وإذا كان رئيس الوزراء غير مطلع عليه، فانه حيـن يطلـع عليـه يستفسر ويستشير.

أما المظاهرات والمسبات والشيء الذي وقع، غير صحيح، ان نسنده إلـى الأفكار الهدامة، وهذه حجة، تتوكأ عليها الحكومـات التـي تـرد بـالصورة المعروفة. ولا بد في كل ثورة أن يندس الأشخاص الذين يسـتغلون الوضـع وكما سمعت أن بعض اليهود قد ضربوا الشرطة، هذا أمر لا أدخـل فيـه. ان المعاهدات جرعتنا الأمرين، وان معاهدة سنة ١٩٣٠ ، حملنا لأجلها أعلامـاً سوداء، وحزن لمدة ثلاثة أيام، فان كنا أطفالاً فأظن أنه بعد ثلاثيـن سنـة، يكفينا ما (لاقينا) من الأذى ! أنا لا أكره التحالف مع بريطانيا، ولكن أكـره الشيء الذي يتجاوز على حقوق وطني، ومقدساتنا، وأطلب أن تكون حقوقنـا متناسبة مع شرفنا ومقدساتنا وكرامـة وطننـا، وأشـارك الإخـوان تهدئـة الأحوال، واتخاذ ما يلزم لمساعدة الحكومة، يقول المثل : الخير يخص والشر يعم ، وللوزارة المحترمة القائمة : أن المعاهدة لم يبت فيـها نـهائياً. نعـم رئيس الوزراء، مضى المعاهدة، ولكنه موفد لا كرئيس وزراء، وأن المعـاهدة ستعرض وتناقش بعد مجيء رئيس الوزراء !

نجيب الراوي : طلبتم سموكم أن نحصر الآراء ببيان الطرق والمقترحـات التي يعالج بها الوضع، وتركتـم إبـداء الـرأي، حـول المعـاهدة بـالطرق الاصولية، إلا أنه لاشك أن هذه الفرصة كانت الدافع لأكثرنـا أن لا نتجـاوز الحدود طمعاً بترحيبكم لسماع آراء الاخوان بصراحة ولهذا توسـع الاخـوان ببيان وجهات عديدة، وحصرها بالأسباب التي دعت إلـى حـدوث الحـوادث المؤسفة.

كانت آراء الإخوان متفقة على أن إعلان المعاهدة هو السبب الرئيسي لهذه الحوادث، مع العلم أن هذه الحوادث لم تخل من أيد مغرضة أساءت لسمعة البلد وكرامته، ولا شك أن الآراء التي أبداها الإخوان سيكون لها الأثر لديكم، ولدى هيئة الوزارة المحترمة والمجلس، إلا أني أريد أن أحصر كلامي بمقترحات أعتقد قد تكون وسيلة تهدئة الحالة، ويترك أمر حل القضية حلاً أساسياً إلى ما تتمتعون به من حقوق دستورية.

أعتقد أن الإقتراح الذي تقدم به حمدي الباجةجي، وأيده الشيخ الشبيبي هو إقتراح مناسب وطبيعي، مع أن الشعب لا يخفى عليه أن المعاهدة لم تعرض ولم تأخذ شكلها الدستوري، ولكن لتطمينه الزائد لا بأس من إصدار بيان يتضمن وعد الشعب بأن الحكومة ستدرس المعاهدة دراسة كافية تتوخى فيها حقوق البلاد ورغبتها، وهذا غير كاف في الوقت نفسه. ومن جانبنا لمعالجة الوضع، يجب أن نساهم مع الحكومة في التهدئة، وهو أن تنشر الأحزاب بيانات، تدعو إلى الهدوء والسكينة، وإنها ستطالب في تطمين مطالب البلاد.

وأطلب أيضاً من الهيئات الأخرى كذلك، وأن لا نسكت عما قيل أن هناك تجاوزات وقعت من قبل الشرطة، وتعدوا فيها الحدود.

وهي أمور إستفزازية بسببها إستمرت الحوادث وستستمر، وما ينكر أن الشرطة ضربوا التلاميذ وبالعكس. ولأجل أن نفهم الرأي العام بأن الحكومة غير مقتصرة، تأمرون بتشكيل لجنة للتحقيق، عن تجاوزات الشرطة صلاحياتها خلافاً للأوامر، فان تأيد ذلك، فعاقب الشرطي والمعاون والمدير وبهذا تهدئة للوضع وتطمين لأولياء الطلاب بأن هناك طريقاً تجري فيه القانون والعدل.

السيد جعفر حمندي :

- في مقامكم، يجب التجرد عن كل عاطفة، ولا أود أن أكرر ما تفضل بـه الإخوان، إلاأني أقول بايجاز :

حقيقة كانت النفوس على استعداد لانتهاز أي فرصة، خصوصاً إذا كـانت قضية وطنية، فالناس لا يشعرون كما كانوا قبل عشر سنوات، العالم أصبـح صغيراً يسمع البيانات والإذاعات في هذه المواضيع، وأخيراً في هـذه الأيـام أصبحت النفوس متوترة مشمئزة، وأصحبوا لا يثقـون بالحكومـة، وأخـذوا ينظرون إلى المجلس بنظر لا يأتلف وكرامته، لأنـهم يعتقـدون أن أعضـاء المجلس مسخرين، الناس متضايقون من الجوع ففي هذه الفرصـة، جـاءت المعاهدة التي كانوا ينتظرونها، منذ مدة طويلة بأنها تـأتي بمـا هـو أنفـع وأصلح، والناس لا يرغبون بعدم صداقة بريطانيا، بل يريدون المحافظة علـى استقلال البلاد وسيادتها لذلك جاءت المعاهدة مستفزة للوضع.

وكانت الآراء مجمعة على أنها أسوأ من المعاهدة السابقة ، لذلـك قـامت المظاهرات التي هي في الواقع ،كثورة، اتفقت كلمة الجميع على استنكار هذه المعاهدة ، الكبير والصغير، الفلاح والتاجر، ولم أسمع أحداً يثني علـى هـذه المعاهدة، ما عدا بعض الأفراد لا يلتفت إلى آرائهم، لذلك يـا سـيدي هـذه القضية لا تنفك عن قضية المعاهدة وهي جزء لا يتجزأ واذا لم تلغ المعـاهدة بشكل من الأشكال لا ينتهي الوضع، وأنا أخشى تفاقم الخطر، فخشـية علـى مصلحة البلاد أني أويد فكرة إلقاء (بيان) ولا مانع أن يكون مـن جـانبكم إذا وجدتموه مناسباً، لأن الشعب لا يصدق ما لم يلمس بيديـه أن هنـاك فكـرة رفض المعاهدة أو تعديلها، لا القصد منها الإغراء والتثبيط، فاذا كـان مـن الضروري إصدار بيان فهو أصغر المسائل بأن هناك حقيقة فكـرة تعديـل أو

رفض، أما إذا لمس الإغراء فيه والتهدئة فضرره أكثر من هذا، ويمكن أن يتكرر، بعد أيام أكثر مما وقع.

كامل الجادرجي :

- أرى أن يكون البيان من قبلكم[1]

علي ممتاز - نائب رئيس حزب الأحرار - .

- أؤيد الإخوان وأبين خطورة ثلاث نقاط مختصرة، إذا أردنا أن نعالج الوضع، يجب أن نضع اللوم كله على المعاهدة مع رأي المعلوم ومنها أن ما إجتازت البلاد منذ مدة غير قصيرة، أزمات اقتصادية، أثقلت كواهل الناس، فعندما جاءت المعاهدة، أولعت النار، مع كل الأسف، تركنا معالجة الأمور المعاشية في البلاد بحيث اصبح الجميع لايجدون ما يكفيهم من الخبز وسائر مواد المعيشة إلا بدفع مبالغ كبيرة لا يستطيع كثير من الناس عليها.

فعندما جاءت المعاهدة وتلك الأمور موجودة، خابت آمالهم بها، فظهر ما ظهر، ويمكن أن يسمى (طليعة الثورة) ، ومن الواجب معالجة الحالة الحاضرة، معالجة حكيمة، وليس لنا طريق إلا تهدئة الحالة، أما قضية قوة الحكومة، لقمع الحركة فذلك يكلف البلاد غالياً، أتقدم لكم بهذه النصيحة، ويجب أن نعمل بما في وسعنا لتهدئة الحالة وأترك لكم والإخوان بما يجب.

حكمت سليمان :

- لم يبق شيء مهم، سوى كلام مختصر جداً، الاجتماع هنا عن المعاهدة وما وقع بسببها، بلادنا أصبحت في وضع غير ما كنا عليه، عدد المثقفين زاد نسبته على النسبة قبل (١٥) سنة، زيادة مدهشة، فبناء عليه، لا نحصر

---

[1] عندما أشار الجادرجي الى صدور البيان من قبل الوصي مباشرة ويذاع باسمه أذكر أن السيد عبد المهدي وتوفيق وهبي ورئيس الديوان الملكي اعترضوا على ذلك وحجتهم على هذا كانت تقول ان صدور هذا البيان من قبل الوصي يعني اقالة الحكومة.

هذا الشيء الذي حصل عن المعاهدة بالأولاد والمدارس إذ الخارجين هم مثل الطلاب.

لا يجوز أن نعطي بياناً ونقول فيه معاملة الند للند، وبعده نأتي بمعاهدة لا أدري كيف نقايسها ونقول الند للند، إن الشيء الذي صار حدث من الشباب، وإننا نحن الحاضرين الآن لم نجتمع قبل هذا، ولكن أطمئنكم أنه كثير من الأشخاص وحتى نحن المجتمعين، إذا بقيت الحالة على هذا الوضع سيجتمعون ويتكلمون، فأنا أرجو منكم أن تتداركوا هذه العملية، هذا الوضع إذا كان اليوم في بغداد، ربما هو مبدأ لتوسيعه خارج بغداد، لأن الحوادث التي شاهدناها أو التي سمعنا فيها، تجعلنا نعتقد أن الأمر إذا خرج ما يمكن صده.أنا أسترحم منكم أن تتوسطوا وتجعلوا الشيء الأول، باقي لأجل الشباب، حتى الشباب لا يتدخلوا بالقضية.

عبد العزيز القصاب – رئيس المجلس النيابي – :

– أشكر (سموكم) على اهتمامكم بالموضوع، بالنظر لما وقع من الحوادث بسبب المعاهدة، نستدل بأن هناك هيجاناً وتحمساً شديداً ضدها كما صرح الجميع، وأنا أتفق مع أرشد بك، بأن هذا الحس وهذا الشعور هو عمومي، وأنا أتفق مع الإخوان بلزوم إصدار بيان للشعب بالتطمين اما باعادة النظر بالمعاهدة واما بالنظر فيها ، وذلك لتطمين الشعب، ولأجل إسكاته وعدم تهييجه الذي يخشى منه التهيج أكثر، وأنتم أحرص على الشعب والبلاد.

نصرت الفارسي :

– أضيف إلى ما سبق شيئاً واحداً، الجميع يدركون صلاتنا مع بريطانيا، أكثرنا تداولنا الحكم، وكلنا نعلم وضعنا الجغرافي أن المعاهدات يقصد بها تحسين العلاقات،أنا أعتقد أن المعاهدة في نصوصها تسيء إلى العلاقات بيننا

وبين إنكلترا فأعتقد هذه خسارة للعراق ومضـــرة للعـراق بقـدر ضررهـا لبريطانيا .

ومن جهة ثانية ما دمنا جميعاً أقررنا أنه وان كان هنـــاك أسـباب ثانيـة مكبوتة لدى الشعب إلا أن السبب المباشر هو المعاهدة، أعتقد أن نشر بيـــان يكون منبئاً أنه سوف لا تعقد أي معاهدة بالشكل المضر بالعراق.

أرشد العمري :

- الخلاصة أن المعاهدة الجديدة هي سبب فوران الحالة، وأنا أعتقد مـــن الضروري أن تهمل، وهذا يذكرني بمعاهدة سنة ١٩٢٧ ورفــض العسـكري المعاهدة آنذاك. جاءت معاهدة ١٩٣٠ وبدلت الإستعمار بحالة الإســـتقلال !! أما هذه المعاهدة فبدلت الإستقلال بالإستعمار !! وعلى هذا أصـــرح بضــرورة تخليص (المملكة) واستعمال نفس الطريقة التي إســتعملها عمكـم المرحــوم الذي وفق، وأسأل الله أن يوفقكم.

كامل الجادرجي :

- لو كان الإجتماع أمس، لما أقلقت مثل هذه الحالة القلقة التي أشعر بــها الآن، والسبب هو ما سمعت من أن المتظـــاهرين يــهتفون بحيـــاة الجيــش وسقوط الشرطة، وعند مرور سيارات الجيش إستبشروا بذلــك، وأخشـــى أن تنتقل القضية إلى أشياء أخرى، إذا لم يتدارك الأمر.

الوصي عبد الإله :

- ما كان في نيتي أن أتكلم، ولقد سعيت إلى تعديل المعاهدة وكان أول مـــا كلمتهم (أي الإنكليز) كان سنة ١٩٤٥، فهو تعبير عن رغبة الأمة. وقلـــت أن العراقيين غير مرتاحين من المعاهدة السابقة. وكلمتهم عيـــن الشـــيء ســـنة ١٩٤٦، وفي هذه السنة كانوا مترددين.وبعد موافقتهم على تعديل المعـــاهدة سألت (بيفن)، لماذا وافقتم على هذا التعديل ؟ هل تشعر بذلك فائدة ؟

قال : نعم .

قلت : أنا بصفتي الخاصة، لا أتدخل بالتفاصيل ولكن بصفتـــي صديقكـم، أنصح أن تكون المعاهدة الجديدة، بواسطتها تكســبون ثقــة العراقييــن، إذا صارت معاهدة جديدة، لا تطمن أكثرية العراقيين، يجوز تمشي، لكن الأكثريـة ما يوافقون عليها، عليه أنصحكم أن لا تعملوا تعديل قبل التأكد من النتائج.

قال : طيب إذا لم نبدلها ماذا يحدث ؟

قلت : يبقى هذا الوضع حتى ينتهي أمد المعاهدة القديمــة، ولكــن بــهذه المدة يــزداد العراقيــون تألماً وحقداً عليكم، وتزداد نســبتهم مــن (٦٠%) إلى (٩٩%) من صالحكم أن تعقدوا معاهدة جديدة أحســن مــن الســابقة، ترضي الأكثرية.

جميل المدفعي : يظهر أن الأساس أن تأتي معاهدة جديدة تكــون ضامنــة للود والحلف الطبيعي القائم على أساس تساوي الحقوق وتبــادل المصــالح، وهذا يزيد في الود ويرضي العراقيين، ولكن جاءت المعاهدة خــلاف رغبــة سموكم والعراقيين.

الوصي عبد الإله :

- لقد حاول (بيفن) إقناعي كثيراً، بأن ليس كل واحـــد يعــرف الأســرار الحربية وأن المطارات لا يمكن التخلي عنها، لذلك لابد مـــن وجــود أنــاس مشرفون عليها وهي نقاط حيوية.

مولــود مخلص : عيــن المــوقف حــدث مــع عبد المحسن الســعدون ثم جاءت معاهدة سنة ١٩٣٠ .

جميل المدفعي :

- لماذا تمت المعاهدة بهذه السرعة، أنا أستغرب ؟

الوصي عبد الإله :

- ما رأيكم في البيان ؟

أرشد العمري :

- البيان لم يبق له محل من الإعراب، اتفقت الآراء كلها على رفضها.

داود الحيدري : أعتقد حل وسط، بين ما بينه كامل الجـــادرجي، وجعفـر حمندي، لقد بين صادق البصام نقطة جوهرية وحقوقية لأن الأمة لما اجتمـع، تريد بالاتفاق، عدم عقد أية معاهدة، سياســية أو اقتصاديــة طالمـا وضـع فلسطين مجهول ، فإذا تأمرون رئيس مجلس النواب ورئيس مجلس الأعيــان يجتمع المجلسان ويقرران عدم مشروعية المعاهدة، لأن من الصعــب علــى الحكومة إصدار بيان ويذكر فيه أن مجلس الوزراء سيدرس المعاهدة.

حمدي الباجةجي:

- ويشترك في المباحثات رجال أخصائيون، غير الأعضاء بحيث يبيــن أن الحكومة جادة.

صادق البصام :

- أرى أن يقتصر البيان على ما يأتي : (بعد المداولة أرتؤي، أن عـوض المعاهدة غير قانوني ...) .

السيد عبد المهدي وتوفيق وهبي عارضا أن يصدر البيان باسم الوصـــي، لأن صدور البيان عنه يعني إقالة الوزارة وفق حكم الدســتور وقــد أيدهمـا رئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان[1] .

حكمت سليمان :

---

[1] مما تجدر ملاحظته هو أن هذا الذي قاله السيد عبد المهدي وتوفيق وهبي وأحمد مختـــار بابان لم يسجل في المحظر بعد ذاك لأن الذين كتبوا صيغة البيان تلافوا هذه النقطة الدستورية.

- بين سموكم فكرته، فأرى أن تترك القضية إلى سموكم ونشر ما ترونه مناسباً.

نصرت الفارسي :

- إذا نسبتم سموكم إصدار بيان من التشريفات الملكية بأنه بناء على أمر سموكم إجتمع أصحاب الرأي وعرضوا آراءهم عليكم وستؤخذ بنظر الإعتبار.

محمد رضا الشبيبي :

- ويضاف إلى ذلك إلى أن سموه أخذ ما عرض بموضع التقدير والإعتبار .

نجيب الراوي :

- يجب تثبيت الدعوة الملكية في البيان.

لجنة لوضع صيغة البيان

وبعد أن إنتهى المجتمعون من إبداء الآراء، قرر رأيهم على تأليف لجنة تقوم بكتابة البيان، على أن تأخذ بنظر الاعتبار الناحية الدستورية.

وانتخب ثلاثة أعضاء من الحاضرين هم السادة، جميل المدفعي، وصادق البصام، ونجيب الراوي. والذي أذكره أن هؤلاء السادة خرجوا من الصالة وذهبوا إلى غرفة رئيس الديوان الملكي، حيث قاموا بوضع صيغة (البيان) الذي سيصدر من رئاسة التشريفات الملكية وكما عادوا إلى الصالة حيث بقية المجتمعين والوصي، قرأت على الحاضرين الصيغة، فوافق عليها الجميع وصادق عليها الوصي عبد الإله أيضاً.

الذهاب إلى دار الإذاعة .

والذي أذكره بصدد هذا البيان أن الوصي عبد الإله طلب من رئيس التشريفات الملكية السيد تحسين قدري أن يأخذ البيان بنفسه إلى دار الإذاعة فتسلمه منه ولكنه قبل أن يركب سيارته طلب إليّ أن أرافقه، ولهذا ركبت معه وانطلقت بنا السيارة متجهة إلى دار الإذاعة في الكرخ فلما وصلناها، سلمنا البيان إلى مديرها (وكان الإستاذ عبد الهادي المختار) وطلبنا منه أن يعلن للملأ أن دار الإذاعة ستذيع بياناً ملكياً خطيراً وهذا ما كان، وظلت جموع أبناء الشعب في كل مكان تنتظر سماع هذا البيان[١]، وفي نشرة أخبار الساعة الثامنة أذيع البيان وفيما يلي نصه :

بيان ملكي خطير

(بناء على إهتمام حضرة صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم، بشؤون البلاد عامة، والأوضاع الحاضرة، ونظراً لرغبة سموه في الإستئناس بآراء بعض أهل الرأي، فقد تفضل سموه الملكي بدعوة رؤساء الوزارات السابقين ونائب رئيس مجلس الأعيان، ورئيس مجلس النواب وقسم من الأعيان والنواب ومن الوزراء السابقين وممثلي الأحزاب السياسية، فاجتمعوا في البلاط الملكي في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم، بحضور هيئة الوزارة. وقد عرض المجتمعون آراءهم بنصوص لائحة (معاهدة بورت سموث) العراقية – الإنكليزية، وقد أجمعت آراؤهم على أنها لا تحقق أماني البلاد، وليست أداة صالحة لتوطيد دعائم الصداقة بين البلدين لاسيما وأن مجلس الوزراء لم يقر بعد بتصديق المعاهدة المذكورة. ولهذا فان صاحب

---

[١] ذكر الأستاذ خليل كنه في كتابه (العراق أمسه وغده) أن الوصي هو الذي جاء إلى دار الإذاعة ليعلن رفض المعاهدة، وهذا خلاف ما ذكرنا.

السمو الملكي والوصي وولي العهد المعظم، يعد الشعب بأنه سوف لا تبرم أيــة معاهدة لاتضمن حقوق البلاد الوطنية)

رئيس التشريفات الملكية

فرحة عارمة

والذي أذكره هو أننا لما غادرنا دار الإذاعة، بعــد إذاعــة البيــان، وجدنــا الشوارع قد ازدحمت بجموع أبناء الشعب التي راحت تعرب عن فرحتها بـــهذا البيان، وبعد جهد جهيد وصلنا إلى بيوتنا والفرحة تغمر قلوبنا أيضاً.

ومن الخفايا التي وقفت عليها في اليوم الثاني من إذاعة البيان تلك المقابلــة الحادة التي كانت قد جرت بين الوصي والسفير البريطاني ليلة إذاعة البيان :

أما كيف عرفت ذلك ، فعن طريق الوصي نفسه، إذ حدثنا في ذلـــك اليــوم، قائلاً : لقد طلب السفير البريطاني مقابلتي بعد إذاعــة البيــان، محتجــاً وهــذا منتظر منه لأنه يعرب عن وجهة نظر حكومته، ولكني أريد أن أقول لكم أنه في هذه المقابلة نقل لي معظم أقوال الساسة الذين حضروا إجتماعنا السري الــذي عقدناه البارحة ، إليه حرفياً، فماذا تقولون ؟

قلت : لا تستغرب ذلك يا سيدي، فان باب السفارة الواقعة على ضفة دجلــة، تفتح لأمثال هؤلاء العملاء، وربما كان بعضهم حاضراً معكم ؟!

قال :

– اذن ماذا نفعل ؟ أهكذا يكون حفظ الأسرار عند أعلى المســتويات ؟! أنــا آسف .

نشاط أرشد العمري

وأذكر، (بعد صدور البيان الملكي) ذلك النشاط الذي أبــداه الســيد أرشــد العمري خلال اليومين الذين أعقبا ذلك الإجتماع السياسي ، فقــد كــان كثــير التردد علىالبلاط الملكي، والاجتماع بالوصي عبد الإله.

وقد فهمت في حينه أن الوصي عبد الإله ســوف يكلفــه بتــأليف الــوزارة الجديدة، إذا استطاع إقناع الأحزاب السياسية لتأييده. وفي هذا التوجيــه، راح السيد أرشد يجري اتصالاته مع الشــخصيات السياســية ورؤســاء الأحــزاب وغيرهم. وقد ظهر أنه فشل في مسعاه، ولذلك أوقف نشاطه.

موقف الأحزاب السياسية

ويبدو أن الأحزاب السياسية، قــد أحســت أن وراء تكليــف الســيد أرشــد العمري، لرئاسة الوزارة (في حالة استقالة وزارة صالح جبر) خطة مبيتــة، ولذلك أجمع قادتها للتداول في الأمر وبعد المداولات، أصدروا بيانــات، تحــذر فيها من (إسنــاد الــوزارة الى أشخاص لا يطمئن اليهم الشعب بــالنظر إلــى ماضيهم المعروف) وطالبت الأحزاب بتحقيق مطاليب الشعب التالية وهي :

١ – إبطال معاهدة بورت سموث وإعلان ذلك دون إبطاء.

٢ – إجراء التحقيق الدقيق عن إطلاق النار ضــد أبنــاء الشــعب وتعيين المسؤولين عنه.

٣ – حل المجلس النيابي وإجراء انتخابات حرة.

٤ – احترام الحريات الدستورية.

٥ – افساح المجال للنشاط الحزبي .

٦ – حل مشكلة الغذاء بشكل يوفر للشعب قوته .

تشييع الشهداء

وفي الوقت الذي كانت البلاد تتطلع الى إنفراج الأزمة بعد صدور البيان الملكي، وتوقف المظاهرات، حدث اجراء شعبي آخر، ذلك هو التظاهر من أجل تشييع جنائز الشهداء إذ كانت مواكب التشييع تنطلق من الباب الشرقي وتتوجه إلى مقبرة باب المعظم.

تأزم الوضع من جديد

وبالنظر لعدم إقدام الوصي عبد الإله، على تنحية الوزارة، ومن ثم إلغاء المعاهدة، فقد أخذ الوضع بالتأزم ثانية، واضطرت الحكومة إلى اتخاذ بعض الإجراءات الرادعة، ضد المتظاهرين الأمر الذي زاد الوضع تعقيداً .

الوصي وبعض السياسيين

والذي أذكره عن هذه الأيام، أن الوصي عبد الإله، أخذ يداوم في البلاط حتى ساعة متأخرة من الليل، وكان رئيس الديوان الملكي وبعض رجالات السياسة، يحضرون إلى البلاط في المساء للتداول معه بكيفية الخروج من هذه المحنة.

صالح جبر يتصل تلفونياً

وبينما كان الوصي جالساً في غرفة رئيس الديوان مع بعض هؤلاء الساسة، كنت أنا جالساً في غرفة الإنتظار القريبة من غرفته، وبينما أنا سارح أفكر في مشاكل رجال السياسة في العراق سمعت جرس التلفون يدق في غرفة الوصي عبد الإله، فسارعت برفع السماعة، فلما قلت – هلو !

قال عامل البدالة ..

- سيدنا مطلوب من لندن .

لهذا سارعت وأخبرت الوصي بالأمر، فجاء مسرعاً وكنت أسير خلفه فلما بدأ الكلام – وكان بصوت عال – فهمت أن الذي يكلمه من لندن هو السيد صالح جبر، ومن اجابات الوصي، علمت أنه (أي صالح جبر) يعاتبه عتاباً شديداً على هذه الطعنة التي وجهها إليه من الخلف، لقد سمعت الوصي، يعتذر بحرارة ويقول : صالح بك ... سامحني .. اعذرني شنو أسوي ؟ ما عندي غير طريق، ولو كنت حاضراً لرأيت كيف خذلني (الجماعة) ونسوا كل ما قالوه في السابق !! أرجوك اعذرني ثم ماذا أعمل حتى اهدئ الوضع ؟!

أرجوك لازم ترجع بسرعة حتى يمكن تدبير الأمور !

ثم أغلق السماعة ورجع من جديد إلى غرفة رئيس الديوان وهو أشبه ما يكون بالمسطول أو الدايخ.

فزع الملكة نفيسة

ولعل من أهم الذكريات عن هذه الأيام، هو فزع الملكة نفيسة والدة الوصي عبد الإله، بعد أن اتصل بها أحد الناس وقال لها معزياً ... البقيّة بحياتك ... لقد قتل عبد الإله ! فلما سمعت هي ومن ثم الأميرات بهذا الخبر لم يصدقن، ولذلك سارعن بالتوجه إلى البلاط الملكي في ذلك الليل البهيم للتأكد من الخبر.

ولما وصلن واستفسرن استغربنا الخبر، وقدناهن إلى غرفة الوصي، ثم أخبرناه بمقدمهن، فاستغرب بمجيئهن بمثل هذه الساعة، ولما استفسر عن سبب قدومهن قصصن عليه قصة الإتصال التلفوني .

صالح جبر يعود إلى بغداد

وتسجيلاً لسير الأحداث في هذه الفترة الحرجة، لا بد لي من تسجيل عودة رئيس الوزراء (صالح جبر) إلى بغداد وما حدث بعدها. فقد علمت أنه وصل يوم (١٩٤٨/١/٢٥) إلى الحبانية، وتوجه منها بالسيارة قاصداً داره التي كانت تقع في الصالحية خلف دار الإذاعة.

والذي علمته في حينه، أنه جاء حانقاً على الوصي عبد الإله، ولذلك لازم داره ولم يتصل بأحد. ولما عاد نوري السعيد وتوفيق السويدي، وبقية أعضاء الوفد المفاوض عادوا إلى بغداد أيضاً، فقد رغب الوصي عبد الإله في عقد إجتماع في قصر الرحاب يحضره رئيس الوزراء والوزراء والسعيد والسويدي ورئيس الديوان الملكي، لمدارسة الوضع السياسي في البلد والذي علمته، أن الوصي عبد الإله، أرسل معاون رئيس الديوان الملكي وهو الأستاذ أحمد زكي المدرس، إلى دار صالح جبر، لابلاغه بسلامة العودة، واعلامه بموعد الإجتماع الذي سيعقد في قصر الرحاب وقد ذهب المدرس، وبلغ الرسالة، ولكن صالح جبر، أصر على عدم الحضور، وأعرب عن رغبته بالاستقالة[١] .

فاتجاه هذا الموقف اتصل به الوصي هاتفياً ورجاه أن يحضر للمساعدة في اتخاذ القرار الذي يحفظ هيبة الحكم.

وفي ضوء هذا الطلب والرجاء، توجه صالح جبر إلى هناك، حيث الجميع حاضرون، وبعد العتاب وبيان الأخطاء التي ارتكبت في معالجة الموقف، أخذ الجميع يتداولون في إيجاد مخرج، لا سيما وان الوصي خلال الأيام السابقة لم يجد الشخصية التي ستحل محل صالح جبر في حالة استقالته.

---

[١] هذا ما نقله المرحوم أحمد زكي المدرس عند عودته من دار صالح جبر.

ورغبة من الوصي، في بقاء الحكومة مدة من الوقت، ريثما يتمكن من ذلك طلب من صالح جبر، الاستمرار في تحمل المسؤولية وممارسة عمله كمسؤول عن إدارة شؤون البلاد، إلا أن صالح جبر قال : إذا كان الأمر كما ترغبون، فاني سوف أمارس (حقي الدستوري وصلاحياتي) كرئيس للوزراء لأعادة القانون والنظام واعادة هيبة الحكومة.

والذي علمته، أن الوصي بل ونوري السعيد والسويدي، أقروا بهذا الحق، ولكن بعض وزرائه لم يكونوا مقتنعين بالاستمرار بالحكم بعد أن وصلت حالة البلاد الى ما وصلت اليه، وهكذا وفي ضوء هذا الاتفاق، انفض الجميع، وتوجه رئيس الوزراء إلى مقر رئاسة الوزراء وأصدر من هناك (بياناً) بين فيه ما عمله من أجل تعديل المعاهدة، وأكد أن الرأي الأخير والحكم الفاصل سيكون للشعب، ووفق ما جاء في بيان التشريفات الملكية والقاضي بعدم ابرام أية معاهدة لا تطمئن رغبات الشعب وامانيه الوطنية، ولهذا فهو طلب من المواطنين أن يخلدوا إلى الهدوء والسكينة ويتركوا كل ما يخل بالأمن والنظام من أعمال ومخالفة القوانين الواجبة الرعاية والإحترام من قبل الجميع وإلا فان الحكومة ساهرة على ذلك.

اشتداد الأزمة واستقالة بعض الوزراء

استمع الشعب إلى هذا البيان، فزاد هياجاً واضطراباً، لأنه اعتقد أن هذه الوزارة سوف تبقى في الحكم وتمرر المعاهدة، ولذلك عاد إلى التظاهر بقوة واصرار مما اضطر رئيس الوزراء أن يصدر بياناً ثانياً يهدد فيه ويعلن عن تطبيق بعض الإجراءات الصارمة.

ولكن هذا البيان لم يمنع المتظاهرين من التظاهر وحدثت صدامات بينهم وبين الشرطة أدت إلى وقوع بعض القتلى والجرحى كما هو معلوم وفي هذا

الوقت، رفع بعض الوزراء استقالاتهم إلى رئيسهم معربين له عن عدم قدرتهم في الاستمرار في تحمل المسؤولية، وفي مقدمتهم جمال بابان، ويوسف غنيمة، وجميل عبد الوهاب، وهم وزراء العدلية والمالية والشؤون الاجتماعية.

استقالة صالح جبر

وفي يوم (١٩٤٨/١/٢٧) اضطر رئيس الوزراء، على تقديم استقالة حكومته، وتحت ضغط هذه الأحداث، وما نتج عنها وبسببها في تفرعات واستغلال.

وبالنظر لأهمية هذه الاستقالة انقل نصها فيما يلي :

سيدي صاحب السمو المعظم

لقد ظهر من البيانات التي أدلى بها وزير العدلية ووكيل رئيس الوزراء في جلسة صباح أمس، التي عقدها مجلس الوزراء بحضور سموكم في قصر الرحاب العامر، أن أخطاءً متعددة قد وقعت فأدت إلى الوضع الحاضر، وقد عينت هذه الأخطاء فلا حاجة لتكرار عرضها الآن.

هذا ولما شعرت أن البعض من الزملاء المحترمين يميل إلى عدم الاستمرار بتحمل المسؤولية، رأيت من واجبي أن أفسح المجال لسموكم المعظم لمعالجة الوضع وذلك باختيار من ترونه سموكمَ لتحمل المسؤولية. وبينما كنت أريد تقديم استقالتي وكانت مهيأة، أمرتموني سموكم في مساء البارحة بضرورة الاستمرار بغية توطيد الأمن ومحافظة النظام بالدرجة الأولى، فامتثلت لأمر سموكم، وباشرت من فوري باتخاذ الإجراءات التي أعتقد أنها تؤدي بالنتيجة على القضاء على الاضطراب والفوضى، ولكني تناولت في ليلة البارحة،

استقالة وزير العدلية، وفي صباح اليوم استقالة وزيري الشؤون الاجتماعية والمالية، وهذا ما توقعته ونوهت به لسموكم ليلة البارحة أيضاً.

فأرى الآن، أن لا مناص من أن أتقدم باستقالتي راجياً قبولها ولابد لي بهذه المناسبة أن أتقدم لسموكم المعظم بجزيل الشكر للثقة الغالية التي أوليتموني إياها، وللمساعدات الجمة التي شملتونا بها- زملائي وأنا - خلال المدة التي تولينا بها المسؤولية.

رئيس الوزراء صالح جبر

بغداد في ١٩٤٨/١/٢١

من البديل لتولي رئاسة الوزارة ؟

لقد أشرت فيما سبق إلى احتمال تكليف السيد أرشد العمري، وموقف الأحزاب منه، فما هو البديل الذي فكر به الوصي، ليحل محل صالح جبر في تولي رئاسة الوزارة ؟! لقد علمت في حينه، أن الوصي يكلف السيد محمد الصدر بذلك، ولكن السيد الصدر ، رفض هذا التكليف محتجاً بصحته.

وقد علمت أن الوصي، بعد هذا الاعتذار قد عاد للنظر ثانية بترشيح السيد أرشد العمري.

الأحزاب والسياسيون يرشحون الصدر

ولما كان قادة الأحزاب السياسية قد أعربوا عن عدم موافقتهم على تكليف أرشد العمري، قاموا من جانبهم بإقناع السيد محمد الصدر لتولي المسؤولية، وفي هذا يقول الاستاذ مهدي كبة في كتاب مذكراته (مذكراتي في صميم الأحداث)[١] ما نصه :

---

[١] أصدرته دار الطليعة بيروت .

((فذهبنا وفاتحنا السيد الصدر في موضوع تأليف الوزارة وضرورة تحمله مسؤولية الحكم في هذه الظروف، خدمة للمصلحة العامة واعادة الطمأنينة والاستقرار إلى أبناء هذه البلاد.

فأجابنا بأنه سبق أن كلف بتأليفها واعتذر لضعف صحته، وأنه إلى جانب هذا يخشى تطور الأحداث وعدم استتباب الأمن والاستقرار، إذا هو ألف الوزارة، فطمأناه على ذلك، وتعهدنا له، ونحن نمثل أحزابنا بأننا سنعاون وزارته في هذا السبيل. ثم سألنا عن مطاليب الأحزاب فبيناها له، وهي التي سبق أن نشرناها في بياناتنا، وشرحناها له مطلباً مطلباً، فقال أن رأس هذه المطاليب بالطبع هو (إلغاء المعاهدة) ومن رأي الجهات العليا ان تجمد، وتوضع على الرف على حد تعبيرهم، ولا حاجة إلى رفضها أو إلغاءها لأنها بحكم إستقالة الوزراة التي عقدتها، أعتبرت من المهملات.

فقلنا له : إننا لا نقر هذا الرأي، لأن بالإمكان بعد التوقيع عليها من قبل الوفدين المتفاوضين، أن تأتي وزارة أخرى وفي أي وقت وتصادق عليها، وتعرضها على البرلمان لاقرارها، لذلك فلا مناص من رفضها من قبل وزارتكم، وإلا فالأفضل أن لا تتورطوا في تحمل المسؤولية، فوعدنا بالتفكير بالأمر وانتهى إجتماعنا وانصرفنا من عنده في ساعة متأخرة من الليل)) .

الوصي يذيع بياناً

وعلى أثر قبول استقالة وزارة صالح جبر، أراد الوصي أن يطمئن الشعب، فأمر بإذاعة البيان الآتي نصه في مساء يوم ٢٧ / ١ / ١٩٤٨ .

شعبي العزيز

من المؤلم حقاً أن تحدث بين إخواني أبناء الشعب الواحد، حوادث مؤسفة أدت إلى إراقة الدماء. ولا شك أن كل واحد منكم يشاركني ألمي هذا، والآن

وقد استقالت الوزارة القائمة، وقررنا قبول استقالتها، فاني أطلب من جميع أفراد الشعب، على اختلاف طبقاته، التعاون معي بالخلود إلى الأمن والنظام والقانون، للوصول، إلى ما فيه خير للبلاد والنتائج الحسنة التي يتوخاها الجميع. كما أدعو جميعكم إلى الانصراف إلى أعمالكم الاعتيادية ومن الله التوفيق .

الوصي في حالة تأزم نفسي

والذي لاحظته من ذلك اليوم، هو أن الوصي عبد الإله لم يكن مرتاحاً بل كان في حالة من التأزم الشديد، ولهذا كان قلقاً وكنت أظن أن لموقف بريطانيا ومقابلة السفير البريطاني الساخن معه، وفزع أمه في ذلك الليل إلى البلاط. ثم مخابرة صالح جبر من لندن، كل هذه العوامل والحوادث، كان لها الأثر القوي في تصرفاته وسلوكه ذلك اليوم فماذا أنتج هذا التأزم ؟ هذا ما نراه بعد حين .

اجتماع سياسي كبير في البلاط الملكي

وفي صباح يوم ١٩٤٨/١/٢٨ ، أخبرنا نحن موظفي التشريفات الملكية بالاتصال بعدد من رجال السياسة وقادة الأحزاب للحضور إلى اجتماع يعقد في البلاط الملكي مساء، كما أمر مدير الحسابات في رئاسة الديوان الملكي، أن يعد مائدة كبيرة ويحضر شيئاً من الكيك وأكواب الشاي، لكي يقدم للحاضرين بعد انفضاض الاجتماع.

وحضر السادة المدعوون، حيث عقدوا اجتماعاً في الصالة الكبرى برئاسة الوصي وحضور رئيس الديوان الملكي.

أما رئيس التشريفات الملكية ومساعدوه وآمر الحرس الملكي والمرافقون فقد جلسوا في الغرفة المجاورة لتلقي الأوامر عند الضرورة .

وأن الذين حضروا ذلك الاجتماع هم السادة :

السيد محمد الصدر، جميل المدفعي، حكمت سليمان، حمدي الباجةجي، أرشد العمري، محمد رضا الشبيبي، مصطفى العمري، علي ممتاز (نائب رئيس حزب الأحرار) محمد مهدي كبة (رئيس حزب الاستقلال) نصرت الفارسي، عمر نظمي، داود الحيدري، صادق البصام نجيب الراوي، جلال بابان.

وقد لاحظنا في حينه، أن السيد كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي لم يدع لهذا الاجتماع. وفي حوالي الساعة التاسعة بدأ الاجتماع السري، أما نحن فلم نكن نعلم ما الذي كان يجري فيه.

أخبار الاجتماع نسمعها من بغداد

ومن الطريف أن أذكر بمناسبة الإشارة الى سرية الاجتماع وعدم معرفتنا بما يجري في داخل الصالة المجاورة لغرفتنا، أن رئيس التشريفات الملكية (السيد تحسين قدري) لما رأى أن الوقت قد جاوز منتصف الليل ولم يخرج من الصالة أحد سأل قائلاً :

- ترى مالذي حدث داخل الصالة ؟ هل توصلوا إلى شيء أم لا ؟

وهنا قلت له :

- إذا تريد أن تعرف ماذا حدث في الصالة، فأنا حاضر، فسوف أعطيك آخر الأخبار.

قال : كيف ؟

قلت : انتظر .

ثم رفعت سماعة التلفون وأدرت رقم جريدة الزمان وطلبت الصديق الأستاذ إبراهيم علي المحرر فيها، لما كلمته سألني قائلاً :

- هاي أنت وين ؟ قلت :

- أنا في البيت وأريد أن أسمع منك آخر الأنباء.

قال :

- السياسيون عاقدون اجتماعا مع الوصي في البلاط، ولما طال الحديث، يبدو أن الجماعة (جاعوا) ولذلك خرج الأستاذ صادق البصام بالسيارة إلى الصابونجية حيث جلب لهم كميات كبيرة من (كباب الصابونجية) لأجل العشاء، كما جلب معه أيضاً (بيانات الأحزاب) التي صدرت حول الموقف السياسي في هذه الليلة.

وهنا قلت :

- هذا عن الاجتماع والأكل فماذا عن تشكيل الوزارة ؟

قال :

- إن الذي وصل إلى علمنا هو أن الجماعة أصروا على ترشيح السيد محمد الصدر ولكنه يعارض ومع هذا فقد لان وقبل أخيراً على شرط معاونة الجميع له.

أما الوزراء فالذي علمنا أن حزب الاستقلال سوف يشترك بالوزارة، وربما أنيطت برئيسه (وزارة التموين) بينما حزب الأحرار رفض الاشتراك بالوزارة. ونحن الآن ننتظر التطورات.

قلت له – شكراً لك يا أبا خليل على هذه المعلومات، وربما اتصلت بك لسماع ما سيجد من أنباء .

ولما وضعت السماعة، كان تحسين قدري وبقية الحاضرين في دهشة لا سيما بعد أن رأوا المخابرة قد طالت، فلما قصصت عليهم ما سمعت استغربوا أشد الاستغراب وقالوا يا سبحان الله كيف يحدث كل هذا ونحن لا ندري ؟ فقلت ضاحكاً .

- لقد صح المثل، إن رب البيت آخر من يعلم !!

أما تفسير انتشار هذه الأخبار فبسيط، ذلك أنه لما كلف رئيس حزب الاستقلال وحزب الأحرار بالمشاركة بالوزارة، قالوا أن علينا أن نستشير هيئة الحزب الإدارية، وهكذا اتصل كل واحد منهم بحزبه وقص ما جرى من أحاديث وتكليف، وعن طريق هذا الاتصال شاع في البلد ما جرى، وحيث أن للصحافة آذاناً، لذلك التقطتها بسرعة !!

أرشد العمري

وفي حوالي الساعة الثالثة صباحاً خرج السيد أرشد العمري من الصالة واتجه إلى حيث مائدة الشاي، وهناك سألته عما تم فقال لقد رشح لرئاسة الوزارة السيد الصدر ثم قلنا ومن هم الوزراء ؟ قال :

لقد أصر حمدي الباجة جي ، على وزارة الخارجية، بينما كنت أريدها لنفسي وبعد إصرار من الطرفين أقنعت بالتنازل وقبلت منصب وزير الدفاع.

وأسند منصب وزير التموين للسيد محمد مهدي كبة رئيس حزب الاستقلال أما علي ممتاز (نائب رئيس حزب الأحرار) فلم يشترك تبعاً لأمر حزبه، ثم راح يعدد أسماء الوزراء واحداً واحداً .

شرب الشاي في الفجر

وبعد نصف ساعة خرج الجميع إلى حيث مائدة الشاي وكانت الساعة تقارب الرابعة صباحاً، وبدأوا بشرب الشاي والحلَيب وأكل الكيك والكعك وهم يتضاحكون، فقد أزيح عن نفوسهم هم كبير بتأليف الوزارة وإسنادها إلى السيد محمد الصدر، وهكذا تألفت وزارة السيد الصدر في فجر يوم ١٩٤٨/١/٢٩ منهية بذلك أزمة سياسية حادة ووضعاً حرجاً جداً.

استقالة الوصي

ولما جرت العادة، أن يأتي رئيس الوزراء الجديد وأعضاء وزارته إلى البلاط الملكي بعد تشكيل الوزارة لمقابلة الوصي، وشكره على التكليف، وتلقي التوجيهات المقتضية، فقد حضر السيد الصدر مع أعضاء وزارته إلى البلاط، ولما قابلوه كان الوصي في غاية التوتر النفسي ولذلك عندما استقبلهم جلس دون أن يتكلم، ثم ما لبث أن أخرج من جيبه ورقة وسلمها إلى رئيس الوزراء، فلما تناولها وأخذ يقرأ ما جاء فيها، بدا عليه الارتباك والتأثر، ثم قال للوصي :

– ما هذه المفاجأة غير السارة يا سيدي ؟ وما الذي جد حتى تفاجئنا بهذه الاستقالة ؟

وهنا قال الوصي : بالعكس، أنا الذي رجوتكم للقيام بهذه المهمة ولكني لم أعد أستطيع البقاء في مركز المسؤولية، فاختاروا غيري ....

ثم رفع صوته قائلاً :

– إنني أكاد أخرج من جلدي !! وأنا لا أريد البقاء في هذا المركز !!

فلما سمع الحاضرون منه ذلك، لطفوه ورد رئيس الوزراء إليه كتاب الاستقالة فأخذه ودسه في جيبه وهو لا يزال في حالة من التوتر النفسي الشديد. يقول الأستاذ محمد مهدي كبة في مذكراته عن هذه الواقعة ما نصه :

((.... ولم نعرف حتى الآن سبب هذا الثورة النفسية لدى عبد الإله لا سيما وأنه قبل بضع ساعات كما ذكرت كان طبيعياً منشرحاً وقيل في تفسير ذلك عدة أقوال لم تثبت من صحة أحدها)). والذي أعرفه في سبب هذه الاستقالة هو ما سبق أن ذكرت، من وقائع أثرت في نفسه تأثيراً شديداً وهي محاسبة الإنكليز، ومعاتبتهم له، ومخابرة صالح جبر واستقالته، ثم فزع أمه والأميرات إليه في تلك الليلة المظلمة.

تطورات سياسية سريعة

... وما أن ألفت وزارة الصدر حتى أخذت تسير في تنفيذ المطاليب الشعبية كما بينها رؤساء الأحزاب إذ قررت الغاء معاهدة بورت سموث وإطلاق الحريات والصحف وتشكيل لجنة للتحقيق في الحوادث المؤسفة وفسح المجال للنشاط الحزبي.

حل المجلس النيابي

أما حل المجلس النيابي فقد تأجل اتخاذ قرار بشأنه حوالي شهرين أصدرت الإرادة الملكية بذلك يوم (١٩٤٨/٢/٢٢) وقررت الوزارة إجراء انتخابات جديدة يوم (١٩٤٨/٣/٢١) .

البلاط والإنتخابات

ولما كانت هذه الإنتخابات أول مرة تجري وأنا موظف في البلاط الملكي، فقد ظهر خلال جريانها، أن للبلاط (دوراً وحصة) في نتائجها.

وكنت أرى لأول مرة كثرة مراجعة الأشخاص من (أفندية وشيوخ) للبلاط طالبين مواجهة الوصي عبد الإله، ولما تحريت عن السبب عرفت أن بعضاً منهم يرشحون (عادة) من قبل الوصي، وهم (كوتا) له بين عدد النواب.

والذي أذكره بهذه المناسبة، أن رئيس التشريفات الملكية سلمني ذات يوم (قائمة) بأسماء بعض هؤلاء وطلب إلي الإتصال بهم بسرعة ليأتوا الى البلاط، فلما سألته عن سبب استدعائهم، قال أنهم سيخرجون نواباً بمساعدة الوصي.

هذا وكانت الإنتخابات تجري في هذا الوقت على درجتين فقد كان للحكومة أو بالأحرى (وزارة الداخلية) ضلع كبير في سير هذه الانتخابات، بل وتعيين النواب في معظم المناطق أما كيف كان ذلك فعلمه عند رجال السياسة في ذلك العهد وعند النواب الذين وصلوا إلى المجلس النيابي عن هذا الطريق !!

شكاوى واتهامات

ومما أذكره عن هذه الانتخابات، تلك الصور المؤلمة التي كنت أرى فيها بعض مراجعي البلاط في تلك المرحلة من اجراء الانتخابات، فهذا (شيخ) جاء من الشمال يجلس أمامي والدموع تملأ عينيه، فلما سألته عما جرى ؟ قال :

- جانم .. هذا ما يصير ... أنت تقبل أنا ما يصير نايب ، وفلان يصير مكاني لأنه نطه رشوة ؟!

قلت :

- لماذا لا تواجه رئيس الوزراء ؟

فلما سمع كلامي ضحك وقال :

- بابا هذا ما يعرف شكو بالولاية !!

فضحكت وقلت : طيب سوف أقدم اسمك للوصي فانتظر، ثم واجه الوصي وخرج، ولا أدري إن كان باح له بسره أم لا ؟

وهذا (شيخ آخر) وهو نائب مزمن من منطقة كركوك، جاء إلى البلاط لنفس السبب، فلما جلس أمامي، طلب مني تسجيل أسمه لمقابلة الوصي، فلما سألته عن السبب قال :

- أنا أريد مقابلته حتى أخبره (بالنكتة) التي حدثت معي.

قلت : وهل الوقت وقت نكات ؟

قال : لا ولكنها تتعلق بالانتخابات .

قلت : اذن إحكها لي حتى أضحك !

قال : استاذ انها ليست نكتة ضحك، ولكن نكتة عملها معـــي المســؤول أو المشرف على الإنتخابات .

قلت : وماذا عمل ؟ قال :

لقد سلمت (الواسطة) (٥٠٠) كيس تمن، مقابل إخراجي نائباً ولكن يبــدو أنه قلبْ عليَ ورشح آخر مكاني لأنه أعطى أكثر مني !!

قلت له :

– وهل أخذت وصلاً بتسليم هذه الكمية ؟

فقال ضاحكاً :

– جانم.. أنت عاقل ليش هو جاهل حتى ينطيني وصل ؟!

وسمعت حكايات وحكايات عن التدخلات هذه، وهي معروفة وليست خافيــة على العاملين في الحقل السياسي آنذاك.

ومن الطريف أنه شاعت في ذلك الوقت قصة مفادها، أن هؤلاء النـــواب أو المرشحين عندما يراجعون رئيس الوزراء، ويقصون عليه ما حـــدث، يتصــل بوزير الداخلية، ويستفسر منه عن جلية الأمر، فيقول له : هذا غــير صحيـــح، والانتخابات حرة !! وقد أورد الأستاذ محمد مهدي كبة في مذكراته صوراً مـــن هذه التدخلات !!

لماذا تريد أن تصبح نائباً ؟

وأذكر أن أحد المرشحين من أبناء شيوخ الديوانية، وهو ذو نعمة ويســـر، جاء الى البلاط الملكي، يطلب مقابلة الوصي.ولما سألته عن غرضـــه ، قـــال : تريد الصدق أريد أكلمه حول النيابة.

فقلت له :

- شيخنا أريد أعرف هذه الاستماتة في سبيل الكرسي النيـــابي وأنـــت، الله مفضل عليك وما محتاج ؟!

فلما سمع كلامي قال :

- استاذ أنتهتحكي صدق لو (حسجة)[1] ؟

قلت : لا والله صدق .

قال :

- استاذ ، أنا النيابة (ما هامتني) لكن مجرد أن أصبح نائباً كـــل أمـــوري في منطقتي العشائرية تتحسن !

قلت : كيف ؟

قال : تتحسن عند المتصرف والقائم مقام ومدير الناحية ومديـــر الشـــرطة ومأمور الري ومدير الزراعة وجميع دوائر الدولة هناك فقـد ثبـت لنــا ذلـك بالتجربة، إذا كل واحد صاير نائب كانت أموره ماشية، أما نحن غـــير النـــواب فكانت أمورنا (مزجمة).

ولذلك قررت هذه المرة أن أبذل المستحيل وأستعمل كل الطرق حتى أصـــير نائباً، لأن المثل يقول (أحسن ما تكللها كش، إكسر رجلها) !!

قلت له :

- وهل كسرت رجلها عند من بيدهم الأمور ؟

ضحك وقال :

- هذا يا استاذ سر والسر ما ينحكي ! ، قلت فهمت !

وقد ظهر لي، أن هذا الرجل قد كسر رجلها فعلاً وأصبح نائباً فيما بعد.

---

[1] الحسجة أي الكلام المبطن .

نواب من مناطق غريبة عليهم

وبمناسبة هذه التدخلات أذكر أن بعض الأفندية كانوا يراجعون البلاط الملكي لنفس السبب، وأن بعضهم رشح للنيابة في مناطق لم يكونوا زاروها في حياتهم أصلاً.

وهؤلاء الأفندية معروفون للمشتغلين بالسياسة في ذلك العهد. ولما كنت أسأل عن سبب ترشيح هؤلاء، فقيل لي، أن في ذلك دفعاً لمستوى النواب وتطعيماً للمجلس بعناصر مثقفة يستفاد منها.

أنا ومجلة القرندل

.... ومن ذكرياتي عن تلك الفترة، إسهامي في تحرير مجلة القرندل لصاحبها الصديق الأستاذ صادق محمد الأزدي، الذي كانت لي صداقة وصحبة منذ ان بدأت بكتابة سلسلة مقالات على صفحات جريدة الاخبار التي يرأس تحريرها، تحت عنوان (صور وأحاديث إجتماعية) في الأربعينات كما ذكرت.

فلما أصدر مجلته الهزلية (قرندل) كنت واحداً من المشاركين في كتابة بعض المقالات والتعليقات والنكت والطرائف التي كنت أنشرها بدون توقيع.

ولما عينت في دائرة التشريفات الملكية، لم أنقطع عن الكتابة بل بقيت اتعاون مع صاحبها في الكتابة، تبعاً لتوفير الوقت لذلك.

والذي أذكره ان نشاطي الصحفي (إن صح هذا التعبير) زاد في عهد وزارة السيد مزاحم الباجةجي ، وما بعده، وتحفل صفحات المجلة بالكثير مما كنت أكتب من نثر وشعر. بل ومن الطريف أن أذكر هنا، أني كنت

أحـــرر (خفـــايا القصور وأسرار القبولات) وأكتب أخبارها وأنشرها بتوقيـــع (ليلى) اعتبارا من عددها الصادر يوم ١٩٤٨/٣/٤ .

انقلاب حسني الزعيم في سوريا

وفي صباح يوم (٣١/آذار/ ١٩٤٩) وعندما كنت في غرفتي فـــي دائـــرة التشريفات الملكية، اتصل بي أحد الصحفييـــــن وأخـــبرني بأنبـــاء الانقـــلاب العسكري، الذي جرى صباح هذا اليوم، فأطاح بـــالرئيس شـــكري القوتلـــي وحكومته، وأخبرني كذلك أن الـــذي قـــاد الإنقلاب هو رئيس أركان الجيـــش (اللواء حسني الزعيم) وما أن ذاع خبر الانقلاب، حتـــى لاحظـــت اهتمامـــاً كبيراً عند الوصي عبد الإله ، والحكومة ورئيســـها آنـــذاك (الســـيد نـــوري السعيد) حيث عقد اجتماع سريع بين الوصي والسعيد، اتخـــذت فيـــه كمـــا علمت بعض الإجراءات السياسية السريعة، ومنها على ما أذكر:

١ – تعيين وزير مفوض للعراق في لبنان وابلاغه بالسفر في الحال لمقـــر عمله، وبالفعل عين لذلك السيد جمال بابان.

٢ – ومن ثم طلبت منه السفر الى دمشق للإتصال بقاذة الإنقلاب الجديـــد، ومعرفة أتجاهاتهم نحو العراق.

وفد سوري في بغداد

ونتيجـــة لهذه الاتصالات السريعة، أرسل قائد الإنقلاب وفداً إلـــى بغـــداد مؤلفاً من السادة :

الدكتور فريد زين الدين، الدكتور أسعد طلس، العقيد توفيق بشور. فلمـــا وصل هذا الوفد الى بغداد، قدموا الى البلاط لتسـجيل أسـمائهم فـــي سـجل

التشريفات أولاً، ومن ثم مقابلة الوصي عبد الإله، وعرض ما يحملــون مــن مشاريع تهم البلدين.

وقد علمت بعد ذاك، انهم كانوا يدعون الى عقد اتفاقيـــة عسكرية مـع الحكومة العراقية، لضمان مساعدة العراق لسوريا في حالة اعتـــداء اليـهود على أراضيها. وبعد ثلاثة أيام عاد الوفد إلى دمشق.

اجتماع في البلاط الملكي

والذي أذكره ، بعد ذاك، أن الوصي عبد الإله، عقد اجتماعاً فـــي البـلاط الملكي، حضره رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورئيس الديوان الملكي، قـرروا فيه أن يسافر رئيس الوزراء نفسه الى دمشق ويــأخذ معــه وزيــر الدفـاع ورئيس الأركان وبعض الضباط، لمقابلة رئيس الإنقلاب وتطمينه عن موقـف العراق إلى جانبه، ومن ثم إعلامه بأن الحكومة العراقية لا ترى ضرورة لعقد اتفاقية عسكرية أو بيانا مشترك، لكيلا تثير هذه الاجـراءات.مـن حساسـية المملكة العربية السعودية ومصر.

سفر الوفد وعودته وبيان رسمي

وفي مساء يوم (١٧/٤/١٩٤٩) أصدرت مديرية الدعايـــة العامـــة بيانـاً رسمياً هذا نصه :

((منذ مدة والحكومة العراقية، ترقب باهتمام زائد سير مفاوضات الهدنـة، بين اليهود والحكومة السورية.. ولما كانت الحكومة العراقية حريصـــة كـل الحرص على أن لا يغتنم اليهود فرصة الانقلاب السوري الأخير، فيتشـــددون في المفاوضات او يعتدون على حدود سوريا)).

فقد رأت أن من واجبها أن تطمئن أخواننا السوريين، بأن العراق مستعد لمناصرة سورية، بكل قواه، فيما إذا حصل إعتداء صهيوني.

ولهذا الغرض، سافر أمس الأول (السبت) بالطائرة فخامة رئيس الوزراء بنفسه، يرافقه كل من معالي وزير الدفاع ومعاون رئيس أركان الجيش إلى دمشق لتطمين سورية، بأن العراق يعتبر أي اعتداء صهيوني، على حدودها، اعتداء عليه بالذات، وأن الجيش العراقي مستعد لتلبية نداء الأخوة في كل وقت.

هذا وقد عاد فخامة الرئيس ومن معه إلى العاصمة اليوم.

وكيل مدير الدعاية العام

الزعيم يتجه الى القاهرة

وقد بدا بعد فترة، أن حسني الزعيم، بعد أن اطمأن واستقرت الأوضاع في سوريا قد أدار ظهره عن العراق، واتجه صوب القاهرة والرياض، لعوامل عدة، وفي مقدمتها كما قلت (**الأصفر الرنان**) وتوقيعه على (الهدنة) مع (إسرائيل) !!

ولهذا سافر إلى القاهرة، واستقبله الملك فاروق استقبالاً كبيراً ومنحه (عصا المارشالية) فأضاف ذلك له لقباً جديداً هو (المارشال) ولما كان قد عين نفسه (رئيساً لجمهورية سوريا وأصبح في الوقت نفسه القائد العام للقوات المسلحة) .

وفي ضوء هذا الاتجاه، وتغير موقف سوريا من العراق، قامت في سوريا ومصر حملة اعلامية مركزة ضد العراق وكانت الإشارة الى مشروع سوريا الكبرى الأساس في هذا الهجوم.

فتجاه هذه الحملة، بدأت الصحافة العراقية حملتها ضد الزعيم أيضاً.

مجلة قرندل وحسني الزعيم

وكانت مجلة قرندل، قد قامت بحملة مركزة ضد الزعيم، وكان علـــى رأس الكتاب السياسيين (الأستاذ علي حيدر الركابي) الذي بـــدأ بكتابـــة مقـــالات متسلسلة أو اسبوعية بتوقيع (تقي الدين البصري) وكنـــت أنـــا مـــن بيـــن الكتاب أيضاً، إذ كنت أكتب بتوقيع مستعار كذلك.

ومن الطريف أن أذكر بمناسبة هذه الحملة الصحفيـــة، أن بعضـــهم قـــد تصور أحد مقالات الركابي أنا الذي كتبتها، وأن أحد الصحفيين الضالعين فـــي ركاب السعودية قد هجم عليّ لهذا السبب.

الإطاحة بالزعيم

ولم يطل حكم حسني الزعيم في سوريا، بل سرعان مـــا أطـــاح الانقـــلاب العسكري الذي حدث صباح يوم (١٧/٨/ ١٩٤٩) والذي قاده (اللواء ســـامي الحناوي) ، وقضي عليه وعلى رئيس وزرائه السيد محسن البرازي.

فكان صدى هذا الانقلاب حسناً لدى الحكم ولا سيما لدى الوصـــي عبـــد الإله.

الحناوي يميل الى العراق

وما هي إلا أيام حتى ظهر، أن قائد الانقلاب الجديد، يميـــل الـــى العـــراق ويرغب في اقامة وحدة بين سوريا والعراق.

والذي أذكره ان عدداً من الضباط والسياسيين قدموا الى بغداد، واجتمعوا بالوصي عبد الإله ، عدة مرات ، وكنت خلال هذه الزيارات قد تعرفت (بالدكتور أسعد طلس) عديل الحناوي وزادت أواصر الصداقة بيننا بعد لجوئه الى العراق على أثر الانقلاب الذي قاده العقيد الشيشكلي على الحناوي كما سنرى.

سوريا في مفترق الطرق

وفي عهد الحناوي، أسندت رئاسة الحكومة إلى السيد هاشم الاتاسي، وكان (حزب الشعب) هو المسيطر على هذه الحكومة، ولهذا وبالنظر لقرار هذا الحزب بشأن الوحدة مع العراق فقد بدأت المساعي للاتفاق معه على وفق ما اتفق عليه مع السياسيين والحكومة العراقية، ولكن الضغوط الخارجية المتصارعة حول سوريا، وموقف بعض القوى الداخلية، قررت الحكومة وضع القضية بين يدي المجلس النيابي ، فتباينت آراء الوزراء حول شكل الدولة المتحدة، فقد أيد فريق منهم فكرة الدولة (الثنائية) بحيث تحتفظ سوريا بنظامها الجمهوري والعراق بنظامه الملكي، ويرأس ممثلو الطرفين هذا المجلس الأعلى بالتناوب، بينما وقف وزراء آخرون عند توحد الجيشين والسياسة الخارجية وما سمعته في حينه، أن الحكومة العراقية، عرضت قبولها باستقلال سوريا وحفاظها على نظامها الجمهوري، كما عرضت خطة واضحة للإتحاد بين الدولتين.

المعاهدة العراقية – البريطانية والاتحاد

ومع كل هذا فقد كانت (المعاهدة العراقية – البريطانية) العقبة التي تمسك بها خصوم الاتحاد وفي هذا يقول الأستاذ محمد مهدي كبة في مذكراته

(أن العقبة الكأداء التي كانت تقف في سبيل تحقيق هذه الوحدة، وتضع بيد مناهضيها، السلاح الماضي لمعارضتها هي وجود معاهدة التحالف بين العراق وبريطانيا، والتي فيها الكثير مما ينتقص من سياسة العراق واستقلاله. وهذا ما كان مدار بحث ونقاش بين الجهات المختلفة، فكان بعضهم يرى، أن اتحاد سوريا مع العراق مع وجود المعاهدة يعني وقوع سوريا مباشرة أو غير مباشرة تحت النفوذ البريطاني، وهذا ما لا يمكن قبوله بعد تحرر سوريا من النفوذ الأجنبي بثمن غال من التضحيات، غير أن المسؤولين في العراق ما كانوا يرون حلاً لهذه المخاوف إذ أنهم سينصون في ميثاق الاتحاد على عدم شمول بنود تلك المعاهدة للقطر السوري وعدم تقييده بأي حكم من احكامها، كما وان المعاهدة نفسها، سينتهي أجلها في تاريخ جد قريب، فلا محل للمخاوف من وجودها).

مشروع سوريا الكبرى

ولم تكن المملكة العربية السعودية ومصر ، غافلتين عن مساعي العراق هذه، بل على العكس راحتا تسعيان بكل قوة لافساد خططه، وأخذتا تشككان في عمله، مثيرتان الشكوك حوله، والادعاء بان هذا العمل يهدف الى تحقيق المشروع الاستعماري الذي يباركه الإنكليز إلا وهو مشروع (سوريا الكبرى) أو (الهلال الخصيب) .

وهناك، غير هاتين الدولتين العربيتين، بريطانيا وفرنسا وأميركا والكيان الصهيوني ، التي لم ترحب بقيام مثل هذا الاتحاد كما ثبت بعد ذلك.

علي جودت وسوريا

ولما تطورت الاحداث ، وكان وجود نوري السعيد على رأس الحكومة، عاملاً مثبطاً للسوريين في السعي للاتحاد مع العراق، قرر الوصي، اسناد

الوزارة الى (السيد علي جودت الأيوبي) فما الذي جرى بينه وبين الوصي من حوار، حول القضية السورية هذا ما رواه علي جودت في مذكراته إذ قال :

(أما ما يخص قضية سورية فأعتقد اننا لن نتمكن من الوصول إلى أي حل مفيد ما لم يجر تفاهم سابق مع شقيقتنا مصر حول ذلك والأسباب هي :

ان كل تقرب من سورية، يجعل الجبهة السعودية تقف موقف المعادي لنا، موقفاً مشحوناً بالخوف والقلق وذلك لما بين العائلتين، السعودية والهاشمية، من مشاكل تاريخية سابقة، تحمل السلطات السعودية على بذل الملايين في سورية لأحباط مساعينا هناك، ومهما تكن المساعي مبنية على حسن النية والمصلحة المشتركة، ولذلك أرى من الضروري التقرب الى القاهرة أولاً، والسعي بحسن نية لنبرهن لها على سلامة مقاصدنا وطلب مساعدتهم للتأثير في السعودية وإقناعهم بانتفاء أي خطر على مصالحهم أو مصالح البلاد العربية، بل أن هناك فوائد قومية عديدة، من جراء التقارب بين سوريا والعراق اهمها القضاء على ما يحدث في سوريا بين الحين والآخر من انقلابات والانتكاسات التي تضر بمصالح العرب عامة وبمصالح سورية والعراق خاصة.

فإذا تمكنا من اقناعهم بهذا وظفرنا بتأييدهم نكون قد مهدنا السبيل للوصول الى هدفنا. فوافق الوصي على ما بينته ووعدني بتأييده إياي تأييداً مطلقاً وتمنى لي التوفيق) وفي ضوء هذه التوجيهات تألفت وزارة علي جودت يوم (١٩٤٩/١٢/١٠) وعين فيها السيد مزاحم الباجة جي نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية ونجيب الراوي وزير للمعارف.

انقلاب الشيشكلي

وفي يوم (١٩/١٢/١٩٤٩) حدث انقلاب عسكري ثالث في سوريا، قاده العقيد أديب الشيشكلي، الذي زحف بقواته من (درعا) فأطاح بالحناوي وحكومته، وأذاع بياناً للشعب السوري بين فيه أسباب حركته.

وبالنظر لما جاء فيه من أمور تخص العراق، أثبت فيما يلي نصه :

إلى الشعب السوري الأبي

ثبت لدى الجيش، أن رئيس الأركان، اللواء سامي الحناوي وعديله، السيد أسعد طلس، وبعض ممتهني السياسة في البلاد يتآمرون على سلامة الجيش، وكيان البلاد ونظامها الجمهوري مع بعض الجهات الأجنبية.

وان ضباط الجيش يعلمون هذا الأمر منذ بدايته وقد حاولوا بشتى الطرق، بالاقناع تارة، وبالتهديد الضمني اخرى، أن يحولوا دون إتمام المؤامرة وان يقنعوا المتآمرين بالرجوع عن غيهم فلم يفلحوا، فاضطر الجيش، حرصاً على سلامته وسلامة البلاد، وحفاظاً على نظامها الجمهوري، ان يقصي هؤلاء المتآمرين وليست للجيش غاية اخرى، وأنه ليعلن أن يترك أمر البلاد في أيدي رجالها الشرعيين ولا يتدخل إطلاقاً في القضايا السياسية، اللهم إلا إذا كانت سلامة البلاد وكيانها يستدعيان ذاك .

العقيد أديب الشيشكلي

لقد كانت، أخبار هذا الانقلاب صدمة قوية على الوصي عبد الإله، وعلى رجال حكومته، الذين كانوا قد أعدوا فعلاً مسودة (لائحة الاتحاد بين القطرين) وسرعان ما أخذت العلاقات بين العراق وسوريا تسوء، فعاد بعض السياسيين الذين كانوا في سوريا كما ذكرنا أشبه بالمطرودين منها.

ولجأ الى العراق الدكتور أسعد طلس ومجموعة من الضباط، بينما لجأ اللواء الحناوي الى بيروت، وهناك لقي مصرعه على أيدي جماعة من أقارب السيد محسن البرازي، الذي قتل في أول يوم من انقلابه.

الوصي وإتفاق الكرام

ذكرت أن السيد علي جودت عرض على الوصي عبد الإله، قبل تشكيل وزارته، ان يقوم بتسوية الخلافات وإزالة الشكوك القائمة بين العراق ومصر ومن ثم المملكة العربية السعودية، وأن الوصي وافق على هذا الإتجاه كما ذكر الأيوبي.

والذي حدث بعد تشكيل هذه الوزارة، أن السيد مزاحم الباجه‌جي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، والسيد نجيب الراوي، وزير المعارف سافرا يوم (٢١/١/١٩٥٠) إلى القاهرة لتحقيق تلك الغاية.

وبعد أن ظلا في القاهرة حوالي عشرة أيام، قام خلالها بالاتصال بالمسؤولين فيها، وتوصلا الى صيغة اتفاق، ليعرض على الحكومتين المصرية والعراقية ، لاقراره بعد عودتهما. وبالنظر لأهمية ما جاء في هذا الاتفاق، فقد سارعت الصحف المصرية والإذاعات الأجنبية بنشر وإذاعة أهم نصوصه قبل ان يقف المسؤولون ولا سيما الوصي عبد الإله عليه.

وقد بدا لي ، أن الوصي عبد الإله، قد إنزعج كثيراً مما جاء في هذا الإتفاق، ولا سيما ما جاء في الفقرة الأولى منه والتي تنص على (إمتناع العراق ومصر، مدة خمس أعوام عن التدخل في أمور سورية الداخلية الخ ..).

فقد اعتبر الوصي، هذا النص ، قيداً على العراق من جهة، وتعريضاً به، لأن المقصود بمدة (خمس سنوات) هي المدة التي تنتهي بعدها وصاية الوصي على عرش العراق، وهذا ما أوضحه السيد مزاحم الباجه جي نفسه كما سنرى.

اجتماع عاجل في قصر الرحاب

ولما عاد الوفد من القاهرة يوم (١٩٥٠/١/٣٠) حاملاً معه صيغة الاتفاق الذي سمي بـ (اتفاق الكرام) سارع الوصي عبد الإله، بالأمر بعقد اجتماع يحضره رئيس الوزراء والوزراء، ورئيس الديوان الملكي وبعض السياسيين، في قصر الرحاب، مساء هذا اليوم.

وبالفعل قمنا نحن موظفي التشريفات بإعلام الشخصيات المدعوة بذلك.

وعقد الإجتماع برئاسة الوصي، الذي حضر وهو في حالة غضب وتأثر شديدين.

وبعد الترحيب الشكلي بالحاضرين، أخذ يتكلم مفتتحاً هذا الاجتماع وبين كيف أنه وافق على سفر الوفد إلى مصر لغرض تبديد الغيوم بينها وبين العراق، ولكن الوفد عاد وفي جعبته صيغة اتفاق غريب عجيب !

ثم طلب من رئيس الوفد (مزاحم الباجهجي) أن يوضح للحاضرين، النتائج التي توصل إليها مع الحكومة المصرية، فأخذ هذا يشرح وجهة نظره في كل مادة.

ولما قرأ ما جاء في الفقرة الأولى، حول مدة (عدم التدخل) سأله الوصي قائلاً :

- لماذا حددت المدة بخمسة أعوام ؟! فأجاب بصراحة .
- لأنها المدة المتبقية من مدة وصاية سموكم على العرش !

إن هذا الجواب الصريح أغضب الوصي عبد الإله كثيراً، وهنا أخذ الحاضرون، يبدون معارضتهم للإتفاق، وعدم الموافقة على ما جاء في بنوده، لأنها تقيد حرية العراق، في عمله لضمان مصالحه الوطنية وأهدافه القومية. وهكذا أشتدت المناقشة والجدل، فرفض الحاضرون الإتفاق بما فيهم

معظم الوزراء، فاضطر الأيوبي الى تقديم إستقالة وزارته صباح يوم (١٩٥٠/٢/١) .

الأيوبي وموقف السعيد

..... ومما قرأته بعد ذاك في مذكرات علي جودت الأيوبي ما قاله حول تلك المناقشات لا سيما موقف نوري السعيد إذا قال :

(على أني أعتقد وأؤكد بأن أكثرهم حماسة لهذه القضية (قضية سوريا) وفي مقدمتهم نوري السعيد، إذ كان أضعفهم إيماناً بها، ان لم يكن معارضا لها)

إتفاق الكرام

وأثبت للتاريخ نص (إتفاق الكرام) الذي رفض فيما يلي ، وهو :

(اتفاق الكرام، بين الحكومة العراقية ويمثلها السيد مزاحم الباجةجي، نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية، ومعالي نجيب الراوي، وزير المعارف، وبين الحكومة المصرية ويمثلها، صاحب المعالي صلاح الدين بك وزير الخارجية المصرية. رغبة في توطيد علاقات الود والأخاء القائمة بين البلدين واستجابة لرغبات شعبيهما الشقيقين، وعملا على تدعيم اركان الجامعة العربية، وتنقية جوها من كلما يعكره، فقد اتفق الطرفان على ما يأتي :

١ – أن يمتنع كل منهما، مدة (خمسة أعوام من تاريخ التوقيع على هذا الاتفاق عن (التدخل في أمور سوريا الداخلية) . وعن اثارة أو تشيجع ما قد يعتبر تدخلاً فيها بالذات أو بالواسطة.

٢ – أن يعملا جهدهما، متضامنين على بذل خير الواسطة بشكل بعيد عن مواطن التدخل، لتستقر الأحوال في سورية على وضع دستور يستند إلى مشيئة الشعب السوري.) .

الباجةجي يهاجم سياسة البلاط :

كان السيد الباجةجي، حال توليه منصب رئيس الوزارة في ١٩٤٨/٦/٢٦، قد سعى جاهداً لاصدار الارادة الملكية التي تقضي بتعيينه (عضوا) في مجلس الأعيان .

وبالنظر لرغبته في استصدار هذه الإرادة، فانه طبع نصها، وبعث بها إلى عمان، حيث كان الوصي عبد الإله هناك، للتوقيع عليها، وكان ذلك بتاريخ (١٩٤٨/٧/١١) فوقع الوصي عليها، وأعادها إلى بغداد ، وبذلك أصبح الباجةجي عضواً في المجلس المذكور.

ولما استقالت وزارة الأيوبي، كما ذكرنا، وثارت بين الوصي عبد الإله والباجةجي الضغائن، أخذ الباجةجي ، يتحين الفرص، بعد ذاك لمهاجمة سياسة البلاط.

والذي أذكره في ذلك، موقفه في جلسة مجلس الأعيان المنعقد يوم (١٩٥٠/٢/٢٥) التي نوقش خلالها منهاج وزارة السيد توفيق السويدي، ففي هذه الجلسة وقف، يناقش المنهاج، ويتعرض في كلامه إلى سياسة البلاط، ويغمز بتصرفات الوصي عبد الإله تلميحاً، فأحدث هذا الخطاب رد فعل قوي في نفس الوصي عبد الإله. فلابد إذن من إبعاده عن الساحة .

إنهاء عينية الباجةجي

أما كيف تم التخلص منه، فقد جرى طبقاً لما يقتضي به العرف الدستوري فكيف يتم ذلك ؟ هذا ما سنبينه فيما يلي :

* سؤال من النائب محمد جواد حيدر

وفي جلسة المجلس النيابي التي عقدها يوم (٢٨/٣/١٩٥٠) وجه نائب المنتفك، محمد جواد حيدر، السؤال الآتي نصه :

علمنا أن (إرادة ملكية) سامية، قد تم توقيعها بتاريخ (١١/تموز/١٩٤٨) من قبل ولي العهد، وهو (خارج العراق) تتضمن تعيين فخامة السيد مزاحم الباجةجي، (عضواً) في مجلس الأعيان، الأمر الذي يجعل صدور هذه الإرادة، لا يستند إلى أساس قانوني، لمخالفتها الصريحة لأحكام (القانون الأساسي) ولهذا فاني أطلب إلى فخامة رئيس الوزراء تنوير المجلس العالي، عن هذه الإرادة، وعن الإجراءات التي تعتزم اتخاذها الحكومة لتطبيق أحكام القانون الأساسي).

وكيل رئيس الوزراء يعلق

ونهض وكيل رئيس الوزراء، وكان السيد (صالح جبر) وقال معلقاً :

- (سادتي، لقد تطرق النائب المحترم في سؤاله، إلى أمر دستوري، فليس في استطاعة الحكومة أن تقول كلمة واحدة، في هذا الشأن، وليس لها إلا أن تحيل الأمر إلى (المحكمة العليا) التي من اختصاصها النظر في أمر كهذا، وللمحكمة العليا، النظر والبت فيه على ضوء أحكام الدستور وحسب مقتضياته ...)

تـأليف المحكمة العليا

وقد تألفت المحكمة العليا من السادة، عبد الهادي الجلبي وعلـــي الشـــرقي، ومصطفى العمري، واسماعيل فائق، وجمال بابـــان، الأعضـــاء فـــي مجلـــس الأعيان، ومن حكام التمييز في العراق السادة : ابراهيـــم الشـــابندر، انطـــوان شماس ، شهاب الكيلاني، وعبد الجبار التكرلي.

جلسة وقرار

وفي يوم (١٠/٤/١٩٥٠) اجتمعت المحكمة العليا، واتخذت القرار الآتي :

(عندما يغيب الملك عن العراق، وينصب قبل غيابه، نائباً أو هيئة نيابيـــة، ويعين الحقوق التي يفوضها لمن ينوب عنه، بموجب المادة الثالثة والعشـــرون من القانون الأساسي، لا يمارس الملك إذ ذاك وهو (خارج العـــراق) كـــل أو بعض تلك الحقوق التي فوضها على الوجه المذكور، إذ تصبح ممارستها مـــن اختصاص النائب أو هيئة النيابة).

صدور إرادة بالغاء الإرادة

وعلـــى أثـــر صدور هذا القرار، استصدرت رئاسة الـــوزارة إرادة ملكيـــة برقم (٢٢٢) وتاريخ (١١/٤/١٩٥٠) متضمنة، الغاء الإرادة الملكية المرقمـــة (٤٧٨) والمؤرخة في (١١/تموز/١٩٤٨)، المتضمنة تعيين مزاحم الباجـــةجي، عضواً في مجلس الأعيان.

وهكذا أنهيت عينية الباجةجي، وخرج من المجلس بل ومن ميدان السياســـة العراقية، إلى أن قامت ثورة الرابع عشر من تموز .

إستيزار سعد عمر

ومما أذكره، أنه لما ألف السيد علي جودت الأيوبي، وزارته سنة ١٩٤٩، كان قد اختار (السيد سعد عمر) نائب كربلاء، وزيراً للشؤون الاجتماعية في وزارته، فكان هذا الاختيار سبباً في ارتفاع علامات التعجب والحسد لدى كثير من النواب ولا سيما الشباب منهم، إذ رأوا بان استيزاره وهو لم يزل في (سن الشباب) بادرة جيدة ولكن لماذا، اختير هو دون غيره ؟

ولا أريد أن أدخل بالتفاصيل، ولكن أود أن أروي للقارئ ما وقع في الحفلة التي أقامها (الشيخ عبد الله ياسين) في داره الواقعة في شارع أبي نواس، ذات ليلة بعد تشكيل تلك الوزارة وكنت واحداً من المدعوين لها.

ففي تلك الليلة، وبينما كنت جالساً على احدى الموائد، ومع بعض المدعوين، توجه إليّ المرحوم (الدكتور عبد المجيد عباس) ، ووجه الكلام قائلاً :

- استاذ هلالي، أنت ليش ما صرت وزير ؟ قال هذا بصوت عال .

ولما سمعته يوجه الكلام اليّ ، قلت :

- ولماذا اخترتني دون الحاضرين لتسألني هذا السؤال ؟

قال :

- لقد اخترتك لأنك كاتب وأديب وشاعر ولم تكن (كسلانا ولا خامل الذكر) مثل الذين أصبحوا وزراء هذه الأيام ! هؤلاء الذين كانوا يتوقون لاشغال (وظيفة ملاحظ) في احدى الدوائر لا منصب وزير.

ولما فهمت من يريد بكلامه هذا، التعريض بالاستاذ سعد الذي كان جالساً على مائدة قريبة، قلت له :

- استاذ، هل أنا الذي أرشح نفسي للوزارة أم الوزارة يختارها الرئيس المكلف ؟ فقال :

- نعم هؤلاء لا يرشحون إلا (كل فاشل في دراسته) أما الأذكياء من أمثالك، فهم لا يريدونهم.

ولما رأيته قد تمادى في الكلام قلت :

- استاذ .... لقد درستمونا في الحقوق قاعدة فقهية، أنا متمسك بها في حياتي ، قال ما هي ؟ قلت :

- من استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه .

فلما سمع ذلك قال :

- لا استاذ، أنت غلطان، إذا هسه ما تصير وزير لعد يمته تصير ؟ أنت شكد عمرك الآن حتى تنتظر أكثر ؟ قلت :

- استاذ الله وايدك، إذا كنت مصراً على أن أكون وزيراً، فأرجو تبين ذلك لمن بيدهم مثل هذه الأمور.

- بهذا الكلام انتهى الحوار وسكت الدكتور وذهب إلى مائدة أخرى وهو في أشد حالات التأثر والانفعال .

وقد ظهر أن هذا الاستيزار قد فتح الباب على مصراعيه للنواب الشباب[1]ولا سيما أولئك الذين لهم (صلة) ببعض كبار رجال السياسة آنذاك.

مرض الملكة عالية

وبينما كانت الملكة عالية، في لندن، شعرت بالام في بطنها، ولذلك سارع الوصي عبد الإله بالسفر الى لندن لاجراء ما يقتضي من فحوصات .

وبنتيجة تلك الفحوص تقرر إجراء عملية مستعجلة لها، وجاءت التشريفات الملكية برقية تقول : (دخلت صاحبة الجلالة ملكة العراق، مستشفى لندن يوم الاثنين (١٩٥٠/٨/٧) ولما كانت حالة جلالتها الصحية لم تتحسن فقد أجريت

---

[1] لاحظ اسماءهم في الوزارات التي شكلت بعد هذا التاريخ.

لها عملية فتح البطن بصورة مستعجلة ظهر اليوم، أن حالة جلالتها تبعث على القلق) .

وبتاريخ (١٩٥٠/٩/٣٠) أصدر الأطباء المعالجون البيان الآتي نصه : (نظراً لعدم توقع اجراء عملية أخرى لصاحبة الجلالة الملكة عالية فقد غادرت جلالتها المستشفى الى محل إقامتها، وأن حالة جلالتها الصحية أقل بعثاً على الإطمئنان) .

الملكة تعود الى بغداد

وبعد أن بقيت في لندن حوالي الشهر، عادت الى بغداد، يرافقها الدكتور (أنتوني جارلس . آر. أد) و (دكسن فيرث) ولما وصلت الى بغداد أصدرا البيان الآتي نصه : (لقد عادت جلالة الملكة عالية الى بغداد من لندن اليوم (١٩٥٠/١٠/١٣) وكان احتمالها للسفر حسناً، ولم يطرأ على حالة جلالتها تغيير منذ النشرة الأخيرة) .

وبقيت الملكة تحت إشراف هذين الطبيبين وبعض الأطباء العراقيين[١] .

طلاق الأميرة فائزة

ومن الأحداث التي أذكرها، طلاق (الأميرة فائزة الطرابلسي) زوجة الوصي عبد الإله . فقد جاءت هذه الأميرة من مصر، بعد أن عاشت حياة طليقة فيها، لتعيش بين أربعة جدران ولا تخرج إلا محجبة شأنها شأن الأميرات الأخريات.

وبدا للمقربين منها أنها لم تستطع البقاء في هذا المحيط الضيق، أشيع في حينه عن وجود خلاف بينها وبين زوجها، ولذلك قررت السفر إلى مصر

---

[١] أذكر الدكتور هاشم الوتري وكمال السامرائي .

لزيارة أهلها، بينما كان الوصي عبد الإله وأمه وأخواتــــه مشــغولين بالملكـة عالية، التي باتت معلقة بين الحياة والموت.

ثم مرت الأيام فاذا بالأميرة تعرب عن عدم رغبتها بالمجيء الى بغداد ما لـم تستجب لها بعض الرغبات الأمر الذي أثر موقفها هذا بزوجها لأن الإســـتجابة لهذه الرغبات تخالف تقاليد العائلة وقد أفهمت بذلك، عنـــد ذاك قــررت عـدم العودة وطلبت الطلاق، فلم يجد الوصي بدأ من طلاقها، ولهذا أصدرت رئاســـة التشريفات الملكية يوم (٢٧/١١/١٩٥٠) ، البيان الآتي نصه :

بيان طلاق الأميرة فائزة

(كانت صاحبة السمو الملكي الأميرة فائزة الطرابلسي، قـــد ســافرت الـى القاهرة لزيارة أسرتها في موسم الصيف، إلا أن سموها خلال هذه المـدة، قـد أبدت بعض الرغبات التي اعتبرت تنفيذها شرطاً للعودة الـــى بغـداد، غـير أن صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد، قد وجد فـــي تنفيذهـا مـا يتنـافى وتقاليد العائلة المالكة ويؤدي حتماً إلى حدوث مشاكل عائلية، هذا مع العلـم أن سموها سبق لها أن إطلعت بالتفصيل على هذه التقاليد ووافقـــت عليــها قبـل الزواج. ولما كانت سموها قد اختارت من تلقاء نفسها ورغبة منها، الطـــلاق في حالة عدم إجابة رغباتها، فان سموه الملكي، لم ير بدأ من العمـــل حسـب رغبة سموها في تنفيذ الطلاق الذي تم بتاريخ (٢٦/١١/١٩٥٠) قبل الظـــهر. وعليه فاعتباراً من هذا التاريـــخ سوف لا يحق لها حمــــل لقــب (صاحبـة السمو الملكي) ويرجو لها سموه الملكي، من الصميم، حياة مستقبلية ســـعيدة والخير فيما اختاره الله) .

وفاة الملكة عالية

أما الملكة عالية، فقد استفحل فيها المرض الخبيث، ولم تجد علاجات الأطباء، إذ سلمت الروح يوم (١٩٥٠/١٢/٢١) فأصدرت رئاسة التشريفات الملكية في صباح ذلك اليوم البيان الآتي نصه :

(كانت حضرة صاحبة الجلالة الملكة عالية المعظمة، قد أصيبت منذ عدة أشهر ، بورم من النوع السرطاني في أسفل البطن، أدى إلى انسداد في الأمعاء، فأجريت لجلالتها عملية أولية مستعجلة لرفع هذا الإنسداد وأردفت بعملية ثانية وذلك بعد مرور ثلاثة أشهر، لاستئصال الورم ذاته، إلا أنه تبين مع الأسف استحالة هذا الإستئصال بالمرة نظراً لانتشار الورم في جميع الأحشاء المجاورة، وقد بذلت أقصى الجهود واستشير أشهر الأطباء لمعالجتها وانقاذ حياتها الغالية، إلا أن الإرادة الإلهية شاءت أن تفشل كل تلك الجهود والمحاولات.

وقد ساءت صحة جلالتها في الأيام الأخيرة واستولى عليها الضعف والهزال تدريجياً الى أن اختارها الله الى جواره، ففاضت روحها الطاهرة، صباح هذا اليوم (١١ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ليوم ٢١ كانون الأول سنة ١٩٥٠) الميلادية، وذلك في الساعة التاسعة والدقيقة العشرين صباحاً في سكينة وهدوء) .

في استقبال الملك عبد الله

ولما علم الملك عبد الله ملك المملكة الأردنية، بوفاة الملكة عالية، إبنة أخيه، سارع بالقدوم الى بغداد للمشاركة في تشييع جنازتها وقد أمرت أن أذهب للمطار مساء لاستقباله. وفي الموعد المحدد كنت في المطار بانتظار الطائرة التي تقله، وما هي إلا لحظات حتى هبطت، وتقدمت نحو المدرج فلما وقفت نزل الملك عبد الله، فلما رآني سألني قائلاً :

- قل لي هل بكى فيصل أم لا ؟

فلما سمعت هذا السؤال، حرت في الجواب الذي يريد، ولكن ما هي إلا برهة حتى أجبته قائلاً :

- لقد تحمل الصدمة بكل صبر وجلادة !

فقال : بارك الله فيه .

ثم ركبت معه الى (قصر الحارثية) حيث ينزل، وهناك سألته عن السؤال المحرج، وهل أن أحداً تموت أمه بمثل هذه الميتة ولا يبكي ؟ فعلق قائلاً :

- اسمع هلالي .... لقد كان جوابك جواباً دبلوماسياً .

وأنا أقول لك، أن الميت إذا مات لا يبكى عليه، لأن البكاء لا يرجع ميتاً، لو كان للبكاء هذا الأثر، لكنت ترى الدنيا كلها تبكي، فقد مات الأنبياء والأولياء والآباء والأبناء والأحباب فكان علينا أن نظل نبكي .. نبكي أليس كذلك ؟

قلت : لا سيدي ولكن فقد عزيز، يؤثر في النفس ويحمل الإنسان على البكاء تنفيساً عن ألم هذا الفقد.

قال : لا هذا غير صحيح، أن بإمكانك أن تبكي وتتوجع على المريض، أما إذا مات فليس أن تبكي، لأن الله أخذ أمانته وانتهى كل شيء .

قلت : أن هذا يا سيدي صعب لا يقوى عليه إلا الصابرون .

قال : وهو كذلك .

مجلس الفاتحة في البلاط الملكي

وجرى صباح يوم (١٩٥٠/١٢/٢٢) تشييع حافل للملكة، وكان في مقدمة المشيعين الملك فيصل والوصي والملك عبد الله وهناك في المقبرة الملكية في الأعظمية جرى دفنها.

وفي المساء أقيم مجلس الفاتحة على روحها في البلاط الملكي وكنا نحن موظفي التشريفات نستقبل وفود المعزين الذين راحوا يتقاطرون من جميع الألوية والمناطق.

الشيخان الشعشاعي والشعيشع

وكنا في هذا المجلس، قد استعنا بعدد من مقرئي القرآن العراقيين أمثال المرحومين الملا مهدي، والحاج محمود عبد الوهاب.

ولكن الذي حدث في اليوم الثالث، أن الحاج عبد الهادي الجلبي كان قد تفاهم مع اثنين من مقرئي القرآن في مصر، للقدوم لتلاوة القرآن في مجلس الفاتحة الذي قرر اقامته على روح الملكة عالية، في الروضة الكاظمية. فحضرا في صباح اليوم الثالث، وبدأ بتلاوة القرآن الكريم على الطريقة المصرية الجميلة، فأحدثت قراءتهما ردود فعل عظيمة في نفوس الحاضرين الذين كان عددهم كبيراً في اليوم الثالث.

وأخذ الناس يقصدون الكاظمية لسماعهما وهما يقرآن القرآن في مجلس الفاتحة التي أقامها الجلبي، بعد ذاك.

والذي أذكره عن هذين الشيخين، أن الوصي عبد الإله، من شدة اعجابه بقراءتهما أصدر إرادة ملكية بمنح كل واحد منهما وسام الرافدين من الدرجة الثالثة ، ومن النوع المدني.

وقد استغلت دار الإذاعة العراقية، فرصة تلاوتهما المعطرة في البلاط الملكي والروضة الكاظمية، فقامت بتسجيل تلك التلاوة بأشرطة، لا تزال تذيعها على الناس بين حين وآخر كما هو معلوم .

ذكريات الوصي عن أخته

ومما أذكره عن هذه الأيام، أن الوصي عبد الإله، طلبني في مســاء اليوم الثالث، من مجلس الفاتحة في البلاط، وكان إذ ذاك جالساً في أحــدى الغرف القريبة من هذا المجلس، فلما دخلت عليه، رأيته يبكي وعندما رآني قال :

- أريدك أن تحضر ورقاً وتكتب ما أملي عليك من ذكرياتي عن أختـي العزيزة.

قلت : أرى يا سيدي، أن تتكلم وأنا آخذ (رؤوس أقــلام) وبعدئـذ أعيد كتابتها مجموعة . قال :

- أتقدر على ذلك ؟ قلت : نعم يا سيدي .

قال إذن اسمع ما سأرويه لك عن علاقتي بأختي منذ أيام الطفولة إلى آخر لحظة من حياتها.

وبدأ يتكلم ويقول :

- لقد كنا منذ طفولتنا الأولى، متلازمين، ولما كانت هي أكبر منــي، فقد كنت أخاف منها، وكثيراً ما كانت تعاقبني إذا ما قمت بعمل لا ترضــاه وكـانت رحمها الله، وقد استغلت ناحية ضعف عندي، وهي الخوف من الضــرب علـى انفي، ولذا كانت تهددني بالضرب، إذا لم أقلع عن هذا العمل أو ذاك.

ثم جئنا مع الوالد الى بغداد، ومرت الأيام وكبرنا، ثم تزوجت أختــي بـابن عمنا المرحوم الملك غازي، فكنت على صلة معها، ولمــا حــدث للملــك ذلك الحادث المؤسف الذي أودى بحياته كما هو معلوم وصرت منذئذ(وصياً) علـى وحيدها الملك فيصل الثاني، فكنت خلال مدة الوصايــة، أتلقــى منــها النصح والإرشاد في كثير من المشاكل السياسية المهمة التي كانت تحدث في البلاد.

ولما مرضت مرضها الأخير، وتعرضت لآثار مرض السرطان الخبيث، كنـت شديد الإتصال بها، وكان ألمي يزداد كلما رأيتها تكافح ضد هذا المرض بصــبر

وجلد، وتحاول أن توهمني بأنها مرتاحة فتحدثت معي وهـــي ضاحكــة، وأنــا عارف ما يفتغل في نفسها من ألم وأسى.

وقد كانت في أيامها الأخيرة ، توصي ابنها فيصل، وتؤكد عليــه بضــرورة التحلي، بالخلق الطيب والانصراف الى الدراسة والعلم.

وهاهي اليوم في ذمة الله، لقد ذهبت وخلفتنا مفجوعين بفقدها فهل ترانـــي، بسبب هذه الفاجعة، وشدة حزني عليها، أن أطيل لحيتي وألبس رباطاً أســـوداً، كما يفعل الآخرون ؟! لأن هؤلاء يبقون على هذه الحال أربعين يوماً ومـــن ثـم يحلقون لحاهم ويبدلون الرباط الأسود بلون آخر. هل أن حزنـــي علـــى أختـي ينتهي بعد أربعين يوماً ؟ لا طبعاً . أنه لن ينتهي أبداً، ولذلك ســـوف لا أطيـل لحيتي ولا ألبس الرباط الأسود.

وهكذا أنهى الوصي عبد الإله حديثه معي، ثم قال :

- هذا ما عندي، أرجو أن تكتبه سريعاً لأني أريد أن أوجــه كلمــة الــى الشعب مساء هذا اليوم. وقمت بتنسيق رؤوس الأقلام وكتبتها وقدمتـــها إليـــه، فلما قرأها، أقرّ ما كتبت وقال : والله أنك لم تنس شيئاً !!

وفي المساء أذاع الوصي الكلمة من دار الإذاعة العراقية.

حفلة تـأبينية كبرى بمناسبة الأربعين

وقـــد تألفت بعد أيام من وفاة الملكة عالية، لجنة خاصـــة، لاقامـــة (حفلـــة تأبينية) بمناسبة ذكرى الأربعين لوفاة الملكة عالية.

وقد ألفت من السادة : عبد الهادي الجلبي، توفيق وهبـــي، الســيدة آســيا وهبي، والست أمت سعيد، والسيدة ملوك ضياء جعفر، متي سرسم، عبد الكريم كنة، كمال ابراهيم، حسن جواد، الدكتور مصطفى جواد، حسين علي الأعظمـي، الدكتور سعيد الحدباني، هشام الدباغ، محمد البريفكاني، مظفر أحمد،

وقد اجتمعت هذه اللجنة وانتخبت رئيساً ونائباً للرئيس وسكرتيراً ففاز السادة :

توفيق وهبي	رئيساً
عبد الكريم كنه	نائباً للرئيس
هشام الدباغ	سكرتيراً

ثم أعلنت استعدادها لتلقي القصائد والكلمات التي يبعث بها الراغبون في المشاركة حتى نهاية شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٠ .

قصيدتي في الحفلة

وكنت قد نظمت بهذه المناسبة قصيدة ولكني ترددت في تقديمها الى اللجنة. وحدث أن زارني المرحوم الشيخ علي البازي، فعرضت عليه القصيدة راغباً في معرفة رأيه بها، وهل تصلح للإلقاء في حفلة التأبين ؟ فلما قرأها سلمني إياها ثم نهض قائلاً :

- أستاذ استودعناكم الله، روح قدم القصيدة بسرعة فقلت له :

- هاي وين رايح ؟

قال كنت قد جئت الى بغداد لأقدم قصيدة بالمناسبة ولكن لما قرأت قصيدتك هذه، رأيت قصيدتي ضعيفة ولذلك أنا مسافر أودعناكم .

قال هذا وخرج وهو يقول : أسرع وقدمها .

وبالفعل قدمت القصيدة الى لجنة التأبين ودخلت في المنهاج وألقيتها في يوم الحفلة وهو مساء (٢ / شباط / ١٩٥٠)

أما القصيدة فمطلعها :

طواك الحمام ولم يزل

شبابك ريان زاهي الحلل

الملك يكمل دراسته في بغداد

ولما توفيت الملكة عالية، كان ابنها الملك فيصل الثاني، في بغداد، إذ كان قد صاحبها منذ عادت الى العراق، ورغبة منها ومن خاله في استمراره على الدراسة المطابقة بمنهج كلية هارمن في بغداد، فقد تم الاتفاق مع هذه الكلية على ذلك.

ولهذا أختير لتدريسه المناهج المقررة الأساتذة الآتية أسماؤهم أدناه :

الدكتور خالد الهاشمي	لتدريس اللغة العربية
الدكتور عبد العزيز الدوري	لتدريس التاريخ
الدكتور لوبون	لتدريس الجغرافيا
العقيد الركن علاء الدين محمود	لتدريس جغرافيا العراق
الأستاذ سعدي الدبوني	لتدريس الرياضيات
الأستاذ جون بورينك	لتدريس اللغة الإنكليزية
الشيخ عبد العزيز الشيخلي	لتدريس العلوم الدينية
المستر سايدبوتم	لتدريس الرياضة البدنية
الاستاذ أكرم شكري	لتدريس الرسم

الملك يؤلف كتاباً

ومن الذكريات عن (الملك فيصل الثاني) أنه عندما كان في بغداد، خلال هذه الفترة، كان معجباً برياضة الجودو ولذلك راح يدرسها ويمارسها، ومن شدة ولعه بها، وضع كتاباً خاصاً، أشترك معه في تأليفه ضابطان من ضباط الحرس الملكي هما (الرئيس الأول يوسف النائب ، والملازم الأول ماجد عبد الستار) .

وقد سمي الكتاب بـ (أساليب الدفاع عن النفس) وأهداني نسخة منه، وكانت مطبوعة بالرونيو، وقد توزعه ثلاثة عشر فصلاً، كل فصل يشرح طريقة للتخلص من بعض طعنات الأسلحة المفاجئة، ومزودة بالصور الرمزية التي رسمها الفنان الأستاذ أكرم شكري.

وقد أهدى الكتاب الى جده الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الأردنية، وقال في كلمة الإهداء ما نصه :

(يطيب لي أن أرفع إلى جدي العزيز، صاحب الجلالة الملك عبد الله المعظم، عميد العائلة الهاشمية، أول ثمرة من ثمرات جهدي الأولي الرياضي، وذلك بالتعاون مع الرئيس الأول يوسف النائب والملازم الأول ماجد عبد الستار . لما لجلالتكم من الفضل والتشجيع للروح الرياضية والأدبية، راجياً ان تحظى من جدي العزيز بالقبول والله ولي التوفيق).

فيصل

الملك عبد الله والأدب

وكان الملك عبد الله، يكثر من زيارة بغداد، وكنت في بعض هذه الزيارات أرافقه، لاسيما إذا توجه ركبه لزيارة بعض المدن مثل كربلاء والنجف.

ومما أذكره ما وقع لي معه في زيارتنا الى النجف الأشرف، من حوار حول مفهوم الأدب. فعندما كانا نتناول طعام الغداء في (قصر الكوفة) الملكي، وكان معنا على المائدة (السيد حامد النقيب ، ومكي الجميل متصرف لواء كربلاء والحاج سعيد شمسه رئيس بلدية النجف، وبعض المرافقين) في تلك الجلسة ، وجه إليّ السؤال قائلاً :

– أستاذ هلالي، هل أنت أديب : قلت :

– كلا يا سيدي ولكني أتعاطى الكتابة أحياناً .

قال :

- انك على ما سمعت أديب، ولذلك أريد منك أن تعرّف لي معنى (الأدب) .

فلما سمعت منه ذلك، فوجئت ولكني استجمعت تفكيري ثم رحت أرتب له تعريفاً قائلاً :

- ان الأدب على ما أرى يا سيدي هو : قدرة الإنسان على التعبير عما يختلج في صدره من مشاعر الفرح والسرور، أو الحزن والأسى، بلغة عربية سليمة نثراً أو شعراً ، وأن الإنسان القادر على الكشف عن هذه المشاعر بأسلوب عربي فصيح واضح، هو أديب !!

فلما سمع كلامي، قال :

- أنه تعريف مقبول ولكنه ليس كما عرفته العرب.

قلت : وماذا قالت عنه العرب ؟ قال :

- أنه سجل أمجاد الأمة وديوان وفاقها وأحداثها ومآثرها الخ ..

قلت :

- أن هذا التعريف قديم يا سيدي !!

وما أن سمع مني لفظة (قديم) حتى ثار بوجهي وقال :

- أراك أنت أيضاً متأثر بالدكتور طه حسين والعقاد اللذين جاءانا بدعوة القديم والجديد.

فعلقت قائلاً :

- لا يا سيدي ولكني قلت هذا للإشارة إلى التعريف الذي توصلت إليه، وأرجو أن أكون قد وصلت به إلى ما تريد .

قال :

- حسن ، لا بأس عليك، فقد كنت موفقاً .

إغتيال الملك عبد الله

وفي يوم (١٩٥١/٧/٢٠) أغتيل الملك عبد الله، ملك المملكة الأردنية الهاشمية، في مدينة القدس، وكان الوصي عبد الإله في لندن، فلما سمع بالنبأ، توجه الى عمان للمشاركة بتشييع جنازة عمه. وتقرر في البلاط الملكي إعلان الحداد لمدة أربعين يوماً وأن يعلن الحداد لمدة ستة أشهر.

والذي أذكره أيضاً، أن الخكومة العراقية، أرسلت الى عمان وفداً رسمياً للمشاركة بالتشييع مؤلفاً من رئيس الوزراء(نوري السعيد) وعضوية صالح جبر ونجيب الراوي وأربعة من كبار ضباط الجيش، ثم لحقها وفد مؤلف من بعض الأعيان والنواب والضباط وهم السادة :

مولود مخلص، توفيق وهبي، محسن أبو طبيخ، سامي شوكت، محمد مشحن الحردان، أحمد العامر، رشدي الجلبي، محمد جواد الخطيب، محمد علي محمود، عبد الله القصير، توفيق المختار، أركان العبادي، محسن الجريان، متي سرسم، عبد الواحد الحاج سكر، طارق العسكري، وأمير اللواء سامي فتاح والزعيم الركن أحمد حمدي ابراهيم، والزعيم الركن خليل جميل، والزعيم عمر موفق، والرئيس الأول عبد القادر محمود ، والملازم نزار مجيد.

كما سافر الى عمان الشريف حسين زوج الأميرة بديعة ، والزعيم عبيد عبد الله المضايفي. وقرر البلاط الملكي اقامة مجلس الفاتحة على روح الملك عبد الله من يوم (١٩٥١/٧/٢٣) ولمدة ثلاثة أيام.

دعوات للإتحاد مع الأردن

وبمناسبة وفاة الملك عبد الله، قامت بعض الجهات في العراق بالدعوة لاقامة اتحاد أو وحدة بين العراق والأردن، لأن الفرصة الآن مواتية.

ولكن هذه الدعوة لم تلق آذاناً صاغية، لاسيما بعد ما تحول مجرى السياسة في المملكة الأردنية أيام وزارة (توفيق أبي الهدى) وسيطرة (الملكة زين) على دفة الأمور وميلها الى الجانب السعودي.

الشيشكلي وسوريا

أما العقيد أديب الشيشكلي، فد تمت له السيطرة على القطر السوري فتسلم مهام رئيس الدولة، فترة من الوقت، ثم أصدر امراً عسكرياً بتسليم الزعيم (فوزي سلو) سلطات رئيس الدولة ورئاسة الوزارة ووزارة الدفاع وظل الشيشكلي يحكم من وراء الستار.

وفي (٨/حزيران/١٩٥٢) ألف وزارة جديدة، وعين نفسه (نائبا لرئيس الوزراء) محتفظاً بمهام القائد العام للجيش السوري، وبتاريخ (١٩٥٢/٧/٢٣) ألف لنفسه حزباً سياسياً سماه بحزب (**حركة التحرير العربي**) . وفي هذه المدة زار القاهرة للاتفاق معها للوقوف ضد العراق وسياسته في سوريا، ولما عاد الى دمشق وجد أمامه حركة عصيان من الجيش ونفور من مؤيديه من المدنيين.

وفي شهر مايس سنة ١٩٥٣ دعى الشعب السوري للاستفتاء بالدستور الذي وضعه ولكن المعارضة ضد حكمه زادت ثم ما لبثت حتى حدث تمرد ضده في جبل العرب، فبادر بكل قوة وقسوة لضرب المعارضة .

والذي أذكره بمناسبة هذه الأحداث أن بعض الضباط السوريين اللاجئين في بغداد، كانوا على إتصال بحركة التمرد هذه وأذكر ان (العقيد عصام مريود) كان ينقل الأسلحة من بغداد الى جبل العرب بطريقة سرية ولكن حدث أن أحست به قوات (أبي حنيك)[١]، كلوب باشا، فراحت تطارده ولاحقته حتى

---

[١] كان قائد الجيش في المملكة الأردنية الهاشمية.

مدينة الرطبة وقد حدثني عن هــذه الملاحقــة وهــو مستغــرب ويقــول : يـا
سبحان الله، في الوقت الذي يتهمنا (المصريون والسعوديون) أننــا نريـد أن
نحقق المشروع الإستعماري ألا وهو (مشروع سوريا الكـــبرى) نـــرى (أبـ
حنيك) يسد الطرق أمام وجوهنا حتى يقضي على اخواننا تحت رصاص وقنـابل
الشيشكلي.

قلت : وأنا أستغرب أيضاً أليس كذلك ؟

الشيخ هايل السرور

ومما أذكره بمناسبة هذا التمرد، أن أحد شيوخ جبل العرب الذين ثاروا ضـ
الشيشكلي (الشيخ هايل السرور) وبالنظر لشدة ضغط الشيشــكلي علــى تلـ
المنطقة، اضطر هذا الشيخ الى الهرب لكنه لم يكد يدخل بسيارته الأردن حتــ
رأى جلاوزة أبي حنيك تلاحقه، فما كان منه إلا الإسراع الى العراق فلما وصـ
الرطبة توقفت الملاحقة. ولما وصل الى بغداد، نزل في فندق (بغداد) لصاحبـ
السيد صادق التميمي.

والذي أذكره عن هذا الشيخ أنه لما زار البلاط في اليوم الثاني وأعرب عـ
تذمره من موقف (حكومة السعيد) وأخبرني أن السيد صالح جـــبر زاره فـ
الفندق وقال له أنه اتصل بالباشا وعاتبه على هذا الموقف ولذلك بدلت موقفـ
وقبلته لاجئاً سياسياً في بغداد.

وقد قامت بيني وبين هذا الشيخ الكريم علاقة ود استمرت الى الأخير وقـ
بقي في بغداد الى أن تمت الاطاحة بالشيشكلي كما سنرى فيما بعد.

نوري السعيد وسقوط الشيشكلي

وما دمت بصدد تسجيل هذه الذكريات المتعلقة بالشيشكلي، لابد أن أذكر ما وقع لي مع نوري السعيد، يوم سقوط حكم الشيشكلي في سوريا، ففي صباح يوم من أيام الأسبوع (الأول من شهر آذار سنة ١٩٥٤) اتصل بي الأستاذ صادق الأزدي[١]، المحرر في جريدة الأخبار، وأخبرني، أن القوات السورية في منطقة حلب وجهت إنذاراً إلى أديب الشيشكلي طالبة منه التنحي عن الحكم وإلا فانها سوف تزحف الى دمشق، وبالفعل زحفت وعلى رأسها العقيد فيصل الأتاسي.

وحيث أن هذا الخبر على ما أظن لم يسمع به الوصي، الذي كان مجتمعاً مع نوري السعيد والقائم باعمال السفارة البريطانية، لذا فقد سارعت الى حيث هم مجتمعين، وأظهرت نفسي للوصي فلما رآني قال :

– ما الذي تريد يا هلالي ؟ قلت :

– لدي خبر اود أن أنقله إلى سموكم .

قال : تعال ما هو الخبر ؟ قلت :

– لقد علمت أن الشيشكلي قد أنذرته القوات الزاحفة من حلب بالتنحي عن الحكم، والأخبار ستتضح بعد قليل. فلما سأل الباشا عن جلية الأمر[٢]، قال له الوصي ما سمع فما كان من الباشا إلا أن خاطبني بحدة قائلاً :

– من قال لك ان هذا الخبر صحيح ؟ لماذا تتسرعون بنقل مثل هذه الأخبار الى الوصي ما لم تتأكدوا من صحتها ؟!

فلما سمعت هذا الهجوم استغربت ثم اعتذرت وتراجعت بعيداً عن الغرفة لا ألوى على شيء. ولكن بعد قليل لاحظت أن السعيد والقائم بالأعمال خرجا من

---

[١] وأكده لي الأستاذ سلمان الصفواني كذلك صاحب جريدة اليقظة.

[٢] وكان آنذاك قليل السمع .

الغرفة مسرعين، عند ذاك، عدت الى الوصي عبد الإله، لأتساءل منه عن موقف الباشا معي، فضحك وقال :

- لا بأس عليك، فان (الباشا) هذا هو رأيه، ولا يرغب في الإطاحة بالشيشكلي أو التقارب مع سوريا.

قلت :

- هذا سر لم أكن أعرفه يا سيدي .

وقد أكد هذا الموقف الدكتور الجمالي على ما روى الأستاذ عبد الرزاق الحسني في الصفحة (٧٦) من الجزء التاسع من كتابه (تاريخ الوزارات العراقية) إذ قال :

(.... بعد ما غادر الشيشكلي دمشق، وعقد مؤتمر حمص، وأصبح السيد الأتاسي رئيساً للجمهورية، وتشكلت حكومة جديدة برئاسة العسلي ، بدأت الإتصالات بيننا وبين بعض زعماء سورية حول الإتحاد بالصورة الدستورية. ولكن معارضة (نوري السعيد) الذي كانت له الأكثرية في البرلمان لسياستي الإتحاد مع سورية، حملتني على الإستقالة وهي كانت السبب المباشر لاستقالتي).

الوصي والأحزاب السياسية

عندما شكل نوري السعيد وزارته العاشرة يوم (١٩٤٩/١/٦) طرح ميثاقاً للعمل الوطني سماه (الميثاق الدستوري) رغبة في جمع الصفوف للوقوف بوجه (الشيوعية) إلا أن أحداً لم يستجب لهذه الدعوة.

ولذلك قرر تأسيس حزب باسم (الإتحاد الدستوري) إذا قدم هو وجماعة من مؤيدي سياسته طبعاً إلى وزارة الداخلية يوم (١٩٤٩/١١/٢١) وكانت الهيأة تتألف من :

(نوري السعيد، عبد الوهاب مرجان، محمد علي محمود، موسى الشابندر، جميل الأورفلي، سعد عمر، الدكتور عبد المجيد عباس، أحمد العامر، خليل كنه) . وفي يوم (١٩٤٩/١١/٢٤) وافقت وزارة الداخلية على إجازته فأذاع السعيد عند ذاك بياناً يدعو فيه المواطنين لمساعدته ومؤازرته.

وقد لاحظت أن طلبات مواجهة الوصي عبد الإله في هذه الفترة زادت زيادة ملحوظة من (الشيوخ وبعض الأفندية) ولما تحريت عن سبب هذه الظاهرة ، فهمت أنهم جاءوا ليأخذوا التوجيه منه، هل يدخلون حزب الباشا أم لا ؟

حزب الأمة الإشتراكي

وبعد حوالي ستة أشهر تقدم صالح جبر وجماعة آخرون بطلب تأسيس حزب باسم (حزب الأمة الاشتراكي) وكان ذلك يوم (١٩٥١/٦/٢٠) وكانت الهيئة المؤسسة تتألف من السادة :

صالح جبر، السيد عبد المهدي، عبد الكاظم الشمخاني، جواد جعفر، عبد الرزاق الأزري، عز الدين النقيب، أحمد الجليلي، حبيب الطالباني، محمد النقيب، حنا خياط، نظيف الشاوي. وبتاريخ (١٩٥١/٦/٢٤) أجازته وزارة الداخلية.

ولاحظت في هذه الفترة زيادة المراجعة لمقابلة الوصي عبد الإله، وهي لعرض الاستشارة حول الإنتماء لهذا الحزب أيضاً. والذي أذكره هنا، أني بعد ان وقفت على هذه حاولت أن أعرف كيف كانَ موقف الوصي عبد الإله من هذه الاستفسارات فسألته ذات يوم قائلاً :

- سيدي، لقد علمت ان هؤلاء الشيوخ وبعض الأفندية جاؤا يسألونك عن رأيك بالانتماء لحزب (الباشا) أو حزب صالح جبر، فهل أبديت لهم رأياً صريحاً بذلك ؟

قال :

- الواقع أن هؤلاء الناس أرادوا إحراجي، بين الباشا وجبر، ولذلك خوفاً من أن يزعل هذا أو ذاك كنت أقول لهم : أني أؤيد الحياة الحزبية ولا أفضل حزباً على آخر ما دام الجميع يسعون لخدمة الوطن، وأنتم أحرار وتقدرون مصلحتكم، والبلاط كما تعلمون أبو الجميع.

بهذا الجواب كنت أتخلص منهم ولكنك تلاحظ أن أكثريتهم مالت إلى حزب الباشا.

ثورة ٢٣ يوليو في مصر

ومما أذكره، من الأحداث السياسية التي كان لها وقع كبير عند الوصي عبد الإله ورجال السياسة المتعاونين معه، (ثورة ٢٣يوليو) التي قام بها الجيش المصري صباح يوم (٢٣تموز سنة ١٩٥٢) وكان من نتائجها عزل الملك فاروق وطرده خارج البلاد، ومن ثم اعلان النظام الجمهوري وتعيين اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية.

ان هذا الحدث الكبير أزعج الوصي طبعاً، ولكنه هو وحكومته عندما رأوا أن النظام الجديد في مصر منصرف لمعالجة مشاكله الداخلية ويحاول تجنب إثارة المشاكل مع الدول العربية، إعترفوا به كما هو معلوم.

العقيد جمال حماد

ورغبة من النظام المصري الجديد في إقامة علاقات وطيدة بين الدول العربية، فقد قام بتعيين مجموعة من الضباط الأحرار الذين شاركوا بالثورة كملحقين عسكريين في سفاراتهم ، وكان (العقيد جمال حماد) واحداً منهم، إذ عين في السفارة المصرية في بغداد. وكنت في تلك الآونة على علاقة جيدة مع

مستشار السفارة المصرية آنذاك الدكتور (حسين شريف) لذا تعرفت عليه بواسطته، وظهر لي، أنه أي العقيد (حماد) أديب وكاتب، حلو الحديث عارف بواجبات وظيفته التي أوفد من أجل تحقيقها.

دعوة الوصي لزيارة مصر

وقد لمست من خلال اتصالي به، أنه يرغب في زيادة الروابط بين مصر والعراق، قوة، وأعرب لي ذات يوم، أنه يفكر في إقناع رؤسائه في مصر لدعوة الوصي عبد الإله لزيارة مصر بمناسبة الذكرى الأولى للثورة.

فقلت له :

- لو نجحت في تلك لكنت خدمت القطرين الشقيقين.

ثم ما هي إلا أيام حتى اتصل بي (الدكتور حسين شريف) وكان آنذاك قائماً بأعمال السفارة، وقال لي وهو فرح :

- أستاذ هلالي، أرجو أن تحدد موعداً لي وللأخ حماد لزيارة الوصي عبد الإله، وبسرعة.

فلما سألته عن سبب هذه الزيارة ، قال :

- أبشرك، جئنا نحمل دعوة من الرئيس (محمد نجيب) إلى الوصي عبد الإله لزيارة القاهرة. فلما سمعت ذلك قلت :

- بارك الله فيكما، سوف أرتب الأمر وأخبرك سريعاً إن شاء الله .

وهكذا سارعت وأخبرت رئيس التشريفات بهذا الطلب وبينت له الغاية منه، فقام بدوره، وأعلم الوصي عبد الإله بالأمر فوافق على مقابلتهما.

وفي اليوم الثاني، اتصلت بالدكتور حسين، وبلغته بالموعد.

وفي الوقت المحدد، حضر الى البلاط ومعه العقيد جمال حماد فقدتهما الى غرفة الإنتظار القريبة من غرفة الوصي عبد الإله ثم قصدت الوصي وقلت له :

- سيدي ان الدكتور حسين شريف والعقيد جمال حماد حاضران.

قال : دعهما يدخلان .

ثم قدتهما الى غرفته، وعدت الى غرفة الإنتظار، أنتظر ما قد يسفر عنه هذا الاجتماع. وبعد حوالي نصف ساعة خرجا من عنده، ولما سألتهما عن النتيجة، قالا :

- لقد قال لنا الوصي أنه (سوف ينظر بالأمر إن شاء الله) ولذا فنحن ننتظر جواباً منه . قالا هذا وخرجا.

أما أنا فقد سارعت بالدخول على الوصي وقلت له :

- لقد علمت يا سيدي أنهما جاءا بدعوة لك لزيارة مصر وهذه مناسبة طيبة لتوطيد العلاقات بين القطرين.

قلت كلمتي هذه وأنا اعتقد أنه قد رحب بهذه الدعوة، ولكني كنت على خطأ، لأني لم أكد أنهي كلمتي حتى قال :

- أتدري لماذا يدعونني ؟ قلت : لا يا سيدي .

قال :

- لقد قال العقيد حماد، لقد وجهنا لك هذه الدعوة في هذا الوقت، لكي تحضر احتفالاتنا بالذكرى الأولى للثورة ولمشاهدة القوات العسكرية.

أي أن الدعوة كما ترى، ليست موجهة لي، إلا لهذا الغرض !

فلما سمعت هذا الكلام قلت :

- لعل العقيد جمال، أخطأ في التعبير، فأشار الى هذه الإحتفالات وإلا فانه كما علمت كان يسعى جاهداً لتنظيم مثل هذه الزيارة. وإذا كان الأمر كما تتصورون، فليكن موعد هذه الزيارة، بعد هذه الإحتفالات.

قال : لا أنت ما تعرف، إن غرضهم من دعوتي هو بيان قوتهم أمامي، ولهذا فسوف لا ألبي هذه الدعوة.

وعندما سمعت ذلك قلت :

- الأمر أمرك سيدي ... ثم خرجت من عنده.

وبعد أيام قابلت (الدكتور حسين شريف والعقيد جمال حماد) فإذا هما آسفان ، قلت لهما : هل جاءت موافقة الوصي على الدعوة ؟ قالا :

- كلا، يا أستاذ لقد إعتذر عن قبولها، فأضاع علينا ما بذلنا في القاهرة من جهد ، ولاندري سبباً لهذا الاعتذار. فقلت معلقاً : لا تستغربا هذا الرفض والاعتذار، ففي السياسة العربية أسرار وأسرار لا يعرفها إلا الله والراسخون في العلم .

نائب من الاتحاد الدستوري يسب صالح جبر

ومن ذكرياتي خلال شهر شباط سنة ١٩٥٢ هذه الواقعة :

فقد كنت جالساً في غرفتي بالبلاط الملكي، يوم كانت إتفاقية النفط (التي أبرمها نوري السعيد مع شركات النفط البريطانية) معروضة على مجلسي النواب والأعيان، بصورة مستعجلة.

وقد بلغ سمعي، أن السيد صالح جبر، قد وقف في مجلس الأعيان موقف المعارض، ولذلك أعد بياناً مطولاً لتفنيد بنودها، وبينما أنا كذلك، إذا أحد نواب (الحزب الدستوري) وهو شيخ من الشيوخ يدخل غرفتي وهو في

أشد حالات الانزعاج ، فلما جلس قبالتي، بـــدأ يســب ويشــتم ويعلــن، أحـد الأشخاص، دون أن يبين أسمه، فكنت أسمعه يقول وهو يرجف :

- كلب ابن الكلب ... يريد يصير زعيم !!

ولما رأيته قد تمادى في سبه، سألته :

- من هو هذا يا ترى ؟ قال :

- إنه صالح بن جبر

عند ذاك لم أسكت، بل قلت له :

- اسمع شيخنا، إنك في البلاط الملكي، وفي غرفتي بالذات فـأرجوك ان تهدأ ولا تسب أحداً أمامي مهما كانت علاقتك به، لأننا هنا نحترم الجميــع مهما كانت اتجاهاتهم السياسية.

فلما سمع كلامي ... استغرب وقال :

- أنت شعليك بصالح جبر ؟

قلت :

- أنا لا علاقة لي بالرجل، ولكني أقول لك أرجوك أن لا تسب أحداً فــي غرفتي.

عندها نهض وغادر غرفتي حانقاً.

وبعد ذهابه، ذهبت الى رئيس التشريفات الملكية، وقصصت عليه ما حــدث وقلت له أود أن أنبهك إلى نقطة قد تثار بسبب موقفي هذا ، قال :

- وما هي ؟ قلت :

- سوف يتخذ هذا الشيخ من موقفي معه، سبيلاً للشكوى، عليّ عند قــادة حزبه، ويتهمني بأني من أنصار صالح جبر.

قال :

- لاتدير بال .

ومع هذا فقد صدر ما توقعت، فقد شكاني فعلاً.

أما سبب ثورة هذا الشيخ، فقد عرفتها مساء ذلك اليوم، إذ علمت أنـــه قـد تشاجر مع صالح جبر، في أحد ممرات المجلس النيابي، وكـــان بينــهما شـتم وسب، إنتهى بابعاده، فجاء الى البلاط على ما يبدو شاكياً .

الاحزاب تطالب بالانتخاب المباشر والإصلاح الداخلي

وكنت منذ سنة ١٩٥١، ألحظ أن الوصي عبد الإله، قد بـــدأ يتضـــايق مـــن كثرة نشاط الأحزاب السياسية ومطالبتهم بتعديل قانون الانتخاب وجعلـــه علـــى درجة واحدة واصلاح الوضع الداخلي، وما صاحب هذا النشاط من نشاط آخـــر يقوم به السجناء السياسيون وطلاب الكليات) ثم أثرت أحداث إيران وموقـــف الدكتور مصدق من شركات النفط في تأزم الوضع.

فلما تولى (السيد مصطفى العمـــري) رئاســـة الـــوزارة، اتســعت حركـــة المطالبة بالاصلاح الدستوري. والذي أذكره، أن حـــزب الاســتقلال، والحـــزب الوطني الديمقراطي قدم كل منهما إلى الوصي يوم (٢٨/١٠/١٩٥٢) مذكـــرة، تفصيلية عما وصلت إليه الأحوال السياسية في البلاد ويطالبان فيها بضـــرورة إتخـاذ الإصلاحات الدستورية ولا سيما جعل قانون الإنتخـــاب علـــى (درجـــة واحدة). كما قدم (حزب الجبهة الشعبية) مذكرة مماثلة وانتقد حـــزب الأمـــة الإشتراكي في مذكرته الفساد والفوضى في البلاد ودعا الى الاصلاح الدســتوري أيضاً.

والذي أذكره، أن الوصي، قد أجاب على مذكرات الأحزاب، أجوبة مطاطـــة، فلم يرضها ذلك، فزاد تأزم الوضع.

اجتماع في البلاط الملكي

وبالنظر لتطور الأحداث، أمرنا أن نتصل ببعض الشخصيات السياسية، وإعلامهم بالحضور الى البلاط الملكي مساء يوم (١٩٥٢/١١/٣) للاجتماع بالوصي عبد الإله.

أما هؤلاء الأشخاص فكانوا :

رئيس الوزراء مصطفى العمري، نوري السعيد، توفيق السويدي، السيد محمد الصدر، جميل المدفعي، حكمت سليمان، طه الهاشمي، علي جودت، صالح جبر، أرشد العمري، كما حضره ، محمد مهدي كبة رئيس حزب الأستقلال، وكامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي، ورئيس الديوان الملكي أحمد مختار بابان.

وحضر الجميع، في الموعد المحدد، فاستقبلهم الوصي عبد الإله، ثم راح يبين لهم السبب في استدعائهم.

ولما كان هذا الاجتماع سرياً، لم نكن نعلم ماذا كان يجري في الصالة القريبة منا، لهذا أنقل للقارئ ما كتبه السيد محمد مهدي كبة عن هذا الاجتماع بمذكراته إذ قال : (ثم حضر الوصي، وترأس الجلسة وافتتح الحديث طالباً من الحاضرين باعتبارهم أصحاب الرأي، ورجال الدولة، أن يدلوا بآرائهم حول موضوع الانتخابات) وأفضل الطرق لأجمالها نظراً لما حصل من خلاف بين المسؤولين، وبعض الأحزاب السياسية فانبرى الحاضرون يبدون آراءهم، ويتناقشون ويرد بعضهم على بعض. وبعد أن لخص الأستاذ كبة، ما قاله كل واحد، قال :

(وأجمعت آراء رؤساء الوزارات مقابل ذلك، ما عدا السيد حكمت سليمان، الذي لم يبد رأيه حول الموضوع – على عدم ضرورة تعديل القانون على أساس الانتخاب المباشر، لأن مستوى الرأي العام لا يحتمل ذلك) .

الوصي وطه الهاشمي

وقبل إنفضاض هذا الإجتماع بدقائق، رأيت السيد طه الهاشمي يخرج من قاعة الإجتماع، وهو مصفر الوجه، يسير بتؤدة، في طريقه الى سيارته، ثم لاحظت بعد مدة، السيد كامل الجادرجي يخرج من الصالة أيضاً ولكنه كان يسير بخطى سريعة لكي يلحق بطه الهاشمي.

ما الذي جرى في الإجتماع

وبالنظر لأهمية هذه الواقعة، أنقل ما كتبه عنها الأستاذ محمد مهدي كبة في مذكراته إذ قال :

(كان السيد طه الهاشمي، قد طلب الكلام، فتحدث عن كيفية تأليف الوزارات، وكيف أن المكلفين بتأليفها، لم تعط لهم الحرية باختيار زملائهم لتدخل البلاط وفرضه الوزراء فرضاً على رؤساء الوزارات وهذا هو سبب المشاكل والمفاسد التي تشكو منها البلاد) .

وقال : أنه يتحدى أي واحد من رؤساء الوزارات إذا ادعى أنه كان حراً في اختيار زملائه وأنه لم يستغل نفوذه في الحكم .

وهنا علق حكمت سليمان، على قول الهاشمي، قائلاً :

- هذا غير صحيح، فأني جئت الى الحكم وأخترت زملائي بكل حرية ولم يفرض عليّ وزير من وزارتي.

فأجاب الهاشمي : إنك جئت في ظرف خاص، وهو يشير الى أنه جاء الى الحكم عن طريق إنقلاب عسكري وانبرى بعده أرشد العمري قائلاً :

- أبداً، هذا غير صحيح، فأنا أتيت الى الحكم وألفت وزارتي ولم يفرض عليّ أحد من الوزراء . وسكت الباقون

وكان الوصي قد بدا عليه التأثر الشديد، من حديث السيد طه الهاشمي، فقام الى غرفة مجاورة، ولبث قليلاً، ورجع وانتفض قائلاً :

- من هو المسؤول عن كل ما يحدث في البلاد من مشاكل وقلاقل ومفاسد ؟ هل أنا المسؤول والبلاط عن كل ذلك ؟ لا ... انكم أنتم المسؤولون انتم الحاضرون هنا ، وقد تولى معظمكم مسؤوليات الحكم في البلاد. لسنا نحن المسؤولين واذا كنا نفرض الوزراء في تشكيل الوزارات فلماذا كان المكلفون بتأليفها يقبلون بذلك ؟ اذا كانت لهم إرادات وكرامات ؟

والتفت الى السيد طه الهاشمي قائلاً :

- لقد دأبت على التحامل والتهجم علينا، ألم تقف وزارتك ذلك الموقف، وحميت المتآمرين علينا ؟

ألم تكتب ما كتبت ضدنا عندما كنت في الاستانة ؟

- انك تكذب وتفتري علينا .

فأجاب طه الهاشمي : اني لا أكذب ولم أتعود الكذب في حياتي (هنا نهض الهاشمي وهم بترك الاجتماع) فصاح به الوصي قائلاً : اجلس ولا تخرج واسمع ما أقول ثم اذهب بعد ذلك.

فجلس الهاشمي قليلاً ثم ترك الاجتماع وتبعه السيد كامل الجادرجي، لصلته الحزبية به ولعملهما الحزبي المشترك، ثم إختل الاجتماع وانفض) .

وقد أثار مو قف الوصي هذا، أسف الحاضرين، واستغلت الأحزاب هذا التصرف، ورفعت مذكرات الاحتجاج عليه إلى البلاط.

ومن الطريف أن طه الهاشمي لما روجع لكي يوقع على تلك المذكرات رفض وقال : (أرجوكم لا تهولوا في الحادث وتوسعوه، ولا تتخذوا منه قميص عثمان) ، ومع هذا فقد تحسنت العلاقة بين الوصي وبينه بعد ذلك إذ عين رئيساً لمجلس الإعمار!

تنقلات وتعيينات في البلاط الملكي

ومما أذكره عن الموظفين العاملين معي خلال هذه الفترة، ما حدث بينهم من تنقلات وتعيينات جديدة. فقد انفك السيد عبد الله النقشبندي، من دائرة التشريفات وسافر الى القاهرة للالتحاق بجامع الأزهر لاكمال دراسته الدينية هناك على حساب مديرية الأوقاف العامة. ونقل السيد عبد المجيد حسيب العتبي، إلى إدارة احدى النواحي في لواء الكوت، وعين ملاحظاً محله هو السيد خزعل الخضيري، ثم عين الاستاذ نوري القره غولي، مساعدا لرئيس التشريفات الملكية، وعين الأستاذ ميخائيل تيسي مترجماً. وعين بعد ذلك الأستاذ قاسم خليل معاوناً لرئيس الديوان الملكي ليحل محل الأستاذ أحمد زكي المدرس الذي عين (وكيلاً لمتصرف لواء الحلة) .

لماذا صرت تشريفاتياً ؟

وعلى ذكر هذه التنقلات والتعيينات، أذكر أني كنت قد ترفعت خلال هذه الفترة، وثبت في وظيفتي التي كنت أقوم بها وكالة ألا وهي وظيفة (مساعد رئيس التشريفات الملكية) فلما عين المرحوم نوري القره غولي، بنفس الوظيفة، يبدو أنه لم يكن مرتاحاً، وهذه من حقه لأنه يعلوني درجتين فترضية له، تقرر وضع نظام للتشريفات أحدثت فيه الوظائف الآتية :

١ – رئيس التشريفات الملكية .

٢ – مساعد رئيس التشريفات الملكية .

٣ – تشريفاتي .

وفي هذا النظام صدرت الإرادة الملكية بتعييني (تشريفاتياً) بعد أن كنت (مساعداً لرئيس التشريفات).

وقد تأثرت كثيراً لهذا الإجراء، ورحت بعد ذاك أعرب عـــن برمـــي وعـدم رغبتي في البقاء في البلاط تلميحاً تارة وتصريحاً أخرى.

قصيدتـان وشاعر

لقد أحسست بهذا التعيين والأحرى ، بهذه الوظيفة، وعنوانها الغريب، أنـــي مغبون، ومما زاد في محاسبتي لنفسي بقبول مثل هذا العمـــل، مـــا كنـــت أرى وأشاهد من تعيينات لأناس يقلون عني علماً وكفاءة ومقدرة، بمناصب أعلى.

وفي ضوء هذه المشاعر والأحاسيس، نظمت خلال هذه الأيـــام قصيدتيـــن، نقدت فيهما (الوضع السياسي والاجتماعي)كما كنت أراه من كثـــب، وكـــانت القصيدة الأولى بعنوان (لماذا تحترق الفراشة في النار ؟) وقلت فيها معرضـــاً بحال بعض رجال السياسة:

فهموا في الظلام ســـادات قـــــوم وهمـــوا فـــي الضيـــاء شســـع نعـــال
ألفوا العيـــش فـــي الظـــلام ونالـــوا مـــن رغيـــد الحيـــاة كـــل منـــال
فإذا أشـــــــرق الصبـــــاح لاحـــت فـــي ربـــانا بشائـــــر الآمـــــال
سقطوا خائفين مـــن غضبـــة الشـــعب المـــعنى مـــن غضبـــة الأجيـــال

أما القصيدة الثانية، فهي قصيدة (هذا الزمن) ومطلعها :

سألت الذي قد جرب الدهر عمره ترى هل لهذا الدهر بعض الذي يغري ؟

وقد نقلت على لسان هذا المجرب ما توصل إليه من نتيجة إذ قلت :

فهذا زمان ساد فيه أخـــــو الخنـــا وذل فيـــــه حـــر وكوفح ذو فكـــر
وضاعت مقاييس الحيـــاة كمـــا تـــرى فأضحى ذليل القـــوم في مركز الحـــر
ولـــم تعـــد الأخلاق رمــــز كرامــــة وعنوان فخر المرء في ساعة الفخـــر
بل الفخـــر كل الفخر كونـــك كاذبـــاً تنافق كي تحظي بما شئـــت من أمـــر

فلا خـــير الا بالفســـاد معلـــق ولا نجح إلا في رياء وفـــي مكـــر

فان كنت حـــراً ذا إبـــاء وعـــزة فعيشك مر إذ تنام علـــى جمـــر

وقـد يستغرب القارئ، إذا قلت أني أذعت هاتين القصيدتين مـن (محطـة الشرق الأدنى) وسمعتا في بغداد، بل ونقل بعض المنافقين ما جاء فيهما الـى الوصي عبد الإله نفسه فأضمرهما ضدي كما سنرى. ولما كان النـاقد الكبير المرحوم (مارون عبود) ينقد كل ما يسمع فـي هـذه المحطـة مـن شـعر، وينشرها أو يذيع نقده تحت باب (في روضة الشعر) فقد كنت واحداً ممن نقـد شعرهم في هذه الروضة وجمع كل ما قال في كتـاب سـماه (علـى الطـائر) وأصدره في بيروت سنة ١٩٥٧ وجاء في الصفحة (١٨٥) منه عني ما يلي :

(في روضة الشعر : سمعت الأستاذ عبد الرزاق الـهلالي، ينشـدنا شـعراً يذكر فيه الثمانين عاماً مثل زهير .إن شعره فكر أكثر مما هو صوراً وهو فـي كل حال رصين متين ..)

الركابي والشؤون الصحفية

وفاتني أن أذكر أن الوصي عبد الإله، أصدر أمره بتعيين الأسـتاذ (علـي حيدر الركابي) مسؤولاً عن الشؤون الصحفية، في البلاط، فباشر عملـه فـي عهد وزارة علي جودت الأيوبي الثانية.

وقد حدثت له مشاكل في البلاط وخارجه، سببها (معمـر حسـين) الـذي اعتبر تعيين الركابي ضربة له، إذ كانت شؤون الصحافة مناطة به، ولهذا جنـد زبانيته واعلنوها ضد الركابي حملة عارمة في الصحف والمجلات بل ووصـل الأمر إلى أن أحدهم طلب إليه أن يكتب على بعض جدران الشـوارع (يعيـش حيدر علي الركابي).

ولي عن (معمر حسين) قصص ولكن الرجل توفاه الله ولذلك أعرض عن سردها في هذه الذكريات .

إنتفاضة تشرين

والذي أذكره من الاحداث السياسية، التي كان لها أثر قوي في البلاط الملكي، إنتفاضة تشرين الثاني سنة ١٩٥٢، عندما اندلعت المظاهرات واحتجاجات الاحزاب العلنية والسرية، وتأزم الموقف السياسي في البلاد تأزماً شديداً. وكانت وزارة السيد مصطفى العمري، أضعف من أن تمسك بزمام الأمور، فاضطر رئيسها الى تقديم استقالته.

وفي هذا الظرف العصيب، كلف الوصي، السيد جميل المدفعي بتأليف الوزارة، فلما ذاع خبر هذا التكليف، تعالت هتافات المتظاهرين ضده فاعتذر المدفعي في اليوم الثاني.

وبسبب هذا الموقف، أجرى الوصي اتصالات مع بعض السياسيين وعلى رأسهم نوري، للتداول بالأمر قبل أن يفلت الزمام، وأخيراً قرر تكليف (رئيس أركان الجيش الفريق نور الدين محمود) للسيطرة على زمام الأمور.

وفي الساعة السادسة من مساء يوم (٢٣) تشرين الثاني ١٩٥٢ القى الرئيس المكلف بياناً إلى الشعب يطلب منه أن يخلد إلى الهدوء والسكينة لانهاء حالة الإضطراب.

وفي الساعة العاشرة مساءاً، أذاع راديو بغداد الإرادة الملكية بتأليف الوزارة وأعلن أسماء أعضائها.

وهكذا بدأت الوزارة بمساعدة قوات الجيش في إعادة الهدوء والنظام من جهة ومن جهة ثانية أذاع رئيس الوزراء منهاج حكومته متضمناً بعض الوعود باعداد التشريعات المقتضية باصلاح الوضع وتأليف لجنة من رجال

القانون لوضع لائحة (قانون الإنتخاب المباشر) الذي كان في مقدمة المطالب الشعبية.

وأذكر بصدد تأليف هذه الوزارة، أن أحد موظفي البلاط الملكي وهو المرحوم (قاسم خليل) معاون رئيس الديوان الملكي، قد أختير (وزيراً للمعارف) ولخلو منصبه في الديوان اختير الدكتور عبد الحسين القطيفي، الأستاذ في كلية الحقوق، لإشغال هذا المنصب، بعد ذاك بفترة قصيرة.

تسعيركم الشلغم

ومن بين الإجراءات التي قامت بها الوزارة، تعسير الخضروات فكانت إذاعة بغداد تذيع الأسعار مساء كل يوم.

وقد شاء أحد الموظفين من خارج بغداد ولعله من الكوفة، أن يستهزئ بهذا الإجراء فارسل برقية باسمه الصريح الى رئيس الوزارة، أشيع في حينه أنه كتب فيها العبارة التالية :

- (تسعيركم الشلغم، أثلج صدورنا، سيروا على بركة الله).

وقد طرقت اسماعنا هذه البرقية في حينه، والذي علمته أن هذا الرجل سيق إلى إحدى المحاكم العسكرية، وحكم عليه بالحبس ستة أشهر لاهانته الحكومة.

أخي الدكتور عبد الحميد والمعركة الإنتخابية

ولما صدر مرسوم الانتخاب المباشر وهو المرسوم رقم (٦) لسنة ١٩٥٢، أعلنت الوزارة عن قرب إجراء الانتخابات على أساسه وأذكر أخي الدكتور عبد الحميد، وكان مديراً عاماً لمصرف الرهون أعرب لي عن رغبته في خوض معركة الانتخابات في مسقط رأسه في البصرة، لا سيما أن محلتنا الخندق وهي التي ترجح كفة أي مرشح في المنطقة الاولى.

أما أنا فقد شجعته وقلت سر على بركة الله، إذ ليس هناك بين المرشحين في تلك المنطقة بمنزلتك الثقافية، فضلاً عن كونك واحداً من أبنائهم.

والذي أراه ، حسبما ظهر لي من مراجعات السياسيين للبلاط، أن الأحزاب سوف تقاطع الإنتخابات ولايبقى سوى أحزاب الاتحاد الدستوري وحزب الأمة الاشتراكي.

وهكذا سافر أخي الى البصرة وبدأ حملته الانتخابية في المنطقة الأولى وما هي إلا أيام حتى جاءتني أخبار تقول، أنه في مقدمة المرشحين بل أن مرشحي حزب الأمة وجدوا فيه منافساً خطيراً فلابد من ابعاده عن المنطقة بأية صورة من الصور.

صالح جبر يقترح نقله الى القرنة

وكنت أرى السيد صالح جبر، يأتي كل يوم تقريباً الى البلاط ويجتمع مع رئيس الديوان الملكي قبيل إجراء الإنتخابات، ولما كان حزبه قد رشح في أكثر المناطق، فقد كان يحاول أن يضمن لأعضاء حزبه حصة في البرلمان الجديد وإلا انسحب من الميدان.

وفي ذات صباح وبينما كان في طريقه الى غرفة رئيس الديوان، ناداني قائلاً : أستاذ عبد الرزاق تعال عندي شغل وياك .

قلت :

- حاضر .

قال : - اسمع هلالي، أنا أحب أخاك عبد الحميد، وسمعت أنه رشح من البصرة، وحيث أني لا أريد أن ينكسر خياله عند فشله[1]، قل له أن يرشح من القرنة.

---

[1] قال لي هذه العبارة باللغة الإنكليزية.

فلما سمعت منه ذلك قلت :

- أبو سعد، أن أخي في حالة فشله سوف لا يخسر شيئاً، لأنه لو نجح وصار نائباً لأصبح راتبه (٦٠) ديناراً ولو فشل لظل مديراً عاماً وراتبه (١٠٠) دينار.

ثم أن حزبكم قد رشح أكثر من واحد من أعضائه في القرنة وبينهم (الدكتور نوري جعفر) فكيف ستؤيدون شخصاً غير منتم إلى حزبكم وتتركون أعضاء الحزب ؟

قال :

- لا .. المسألة بسيطة .. قل له يرشح من القرنة !

قال هذا وسار في طريقه الى غرفة رئيس الديوان.

رئيس الديوان الملكي يرشح أخي في قلعة صالح

وفي اليوم الثاني، طلبني رئيس الديوان الملكي فلما ذهبت لمقابلته سألني قائلاً :

- عبد الرزاق هذا أخوك شلون شكله ؟

قلت : شكله مثل بقية الناس، ولكن ماذا حدث ؟

قال : شلون يرشح من البصرة دون أن نعلم ؟

قلت : والله باشا، هذا الموضوع يخصه وهو لا يعرف إن كان على كل مرشح أن يأتي الى البلاط.

قال : لا، أنا ما أقصد هذا المعنى، ولكن أقول أنه شاب مثقف وأخشى أن يخسر في البصرة، ولذلك أقول لك أن تتصل به وتخبره أن يرشح نفسه في (قلعة صالح) ونحن أخبرنا الشيخ عبيد الخليفة، أنه زميله في المنطقة.

ولما أنهى كلامه قلت :

- باشا هذا الموضوع يخصه هو، ولذلك إسمح لي أن أتصل به وأعلمك بالنتيجة.

وخرجت منه واتصلت تلفونياً بالبصرة وكلمت أخي الدكتور بالتلفون وقلت له :

- أريدك تأتي اليوم بالطائرة لأمر أريد أن أعرضه عليك، ولكنني لم أتم كلامي حتى ثار وهو يقول :

- والله لو تطلع نخلة براسه ما انسحب من البصرة.

قلت :

- ومن هو هذا ؟ قال :

- أنا أعرف أن صالح جبر هو الذي يقف ضدي ويريد زحزحتي من منطقتي لصالح جماعته.

قلت : لا ليس هناك علاقة بالانتخابات، أرجوك أن تأتي.

وفي المساء، وصلت الطائرة من البصرة فاستقبلته، وفي السيارة قصصت عليه ما قال لي (صالح جبر وأحمد مختار بابان) فقال :

- ألم أقل لك أن صالح جبر وراء كل هذه الألاعيب ؟

قلت له :

- ماذا ترى ؟ قال :

- سوف أرفض هذا العرض، ثم ما علاقتي بقلعة صالح ؟ إن فشلي في محلتي أشرف لي من النجاح في أي منطقة أخرى ..

فلما سمعت منه هذا الرأي ..

قلت :

- إن رأيي من رأيك فتعال غداً إلى البلاط وبينه لرئيس الديوان وجاء فعلاً وبينه للرئيس فاستغرب منه هذا الموقف ولما خرج منه أقترحت عليه أن يقابل

الوصي عبد الإله ويخبره برأيه هذا، فقابله وبيّن رأيه، وهنـــا ســـأله الوصـــي وعلى من تعتمد في البصرة ؟ قال :

- أعتمد على أهلي وأخواني في هذه المنطقة.

وحيث أن هذا الرأي جاء ضد رغبته (أي رغبة الوصي) فقد لاحظت أنـــه انزعج، فلما خرجنا منه، قلت لأخي سافر الى البصرة وأبذل جهودك وأنا واثـــق أن حزب الأمة سوف ينسحب، لأني سمعت أنه لم يحصل على (الكوتا) التـــي يريدها. وقلت له في الوقت نفسه، أن موقفك هذا مع رئيس الديوان والوصـــي، سيترك ردود فعل عليَّ أنا بالذات وهذا ما ستراه قريباً.

مرشح من الديوانية في بغداد ليلة الانتخابات

وعلى ذكر الانتخابات، أذكر أني ذهبت ذات مساء الى فنـــدق ســـميراميس، وكان مقرراً أن تجري الانتخابات في اليوم الثاني هناك، رأيت أحـــد مرشـــحي لواء الديوانية، جالساً في صالة الفندق، فاستغربت ولذلك توجهت إلـــى حيـــث يجلس وقلت له : أراك في بغداد بينما الانتخابات غداً ؟

قال : وهل في هذا غرابة ؟

قلت : نعم أليس كذلك ؟

قال :

- لا يا أستاذ، اننا نحن مرشحي (المناطق العشائرية) يجري تعييننـــا فـــي بغداد.

قلت :

- أنت أدرى مني بهذا، ولكن تدبير الأمر يسبق يـــوم اجـــراء الانتخابـــات بأسابيع، فهل دبرت أمرك ؟

قال :

- لقد دبرت أمري مع من بيده (تصريف الأمور) ولكنني بقيت في بغداد، لأنني أخشى أن يتقدم غيري عليّ، واحنا يا أستاذ مثل (خيل الريسز) وأخاف يصير عليّ أوبجكشن.

فلما سمعت منه ذلك ضحكت وقلت :

- والله شيخنا أنت أعرف بمثل هذه الأمور مني وأن تشبيهك لطيف جداً، ثم ودعته وأنا أقول :

- أرجو أن تفوز بالانتخابات ولا يحدث لك أوبجكشن إن شاء الله .

الملك فيصل الثاني يعود إلى العراق

قلت أن الملك فيصل الثاني، سافر الى لندن لإكمال دراسته في كلية (هارو) فلما أنهى تلك الدراسة عاد إلى بغداد فوصلها يوم (١٩٥٢/١٠/٣٠).

وفي مساء يوم (١٩٥٢/١١/٢) ألقى من دار الإذاعة ، بياناً الى الشعب، بين فيه عودته إلى البلاد، وأعرب عن شكره لما لقيه من ترحيب وقال ما نصه :

(وانه ليسرني أن أعود إلى وطني بعد استكمال دراستي وسيكون في وسعي أتلمس حاجات شعبي وأمانيه عن كثب، دارساً مستقصياً ما يعود نفعه على البلاد بالخير).

من هو فيصل الثاني ؟

نعم، هذا سؤال وجهته إلى الوصي عبد الإله، عندما كان يحدثنا عن قرب عودة الملك والاحتفال بتتويجه وفيما هو مسترسل بحديثه قلت متسائلاً :

- ومن هو فيصل الثاني يا سيدي ؟ فلما سمع سؤالي استغرب وقال :

- ماذا تريد من سؤالك هذا ؟

قلت :

- سيدي، نعم انه ملك، ولكن الشعب لا يعرفه، فقد سافر الى إنكلترا وهو طفل واليوم يعود وغدا سوف يتوج، فكيف يعرف الشعب وحاجات البلاد وهو لم يقم بزيارة الى هذا اللواء أو ذاك ولم يتصل بهذا القبيل من المواطنين أو ذاك ؟

قال :

- إذن ماذا تريد أن نفعل ؟

قلت : أرى ترتيب منهج واسع للقيام بزيارة لمختلف الألوية العراقية والإتصال بابناء الشعب ، عند ذاك سوف يعرف أبناء الشعب أن لهم ملكاً.

قال :

- هذا اقتراح جيد وسوف ننفذه.

وبالفعل قام الملك والوصي بزيارات الى مختلف الألوية العراقية، وجرت لهما احتفالات كبيرة، ألقى فيها الملك بعض كلمات الشكر المختصرة.

كتاب فيصل الثاني ملك العراق

وفي غمرة الاستعداد لتتويج الملك فيصل الثاني، وبينما كنت آنذاك في أشد حالات البرم والتذمر، دعاني الوصي عبد الإله وقال لي :

- عبد الرزاق، نريد أن نطبع كتاباً خاصاً عن حياة الملك فيصل، ولذلك أطلب منك أن تقوم بهذا العمل.

فلما سمعت هذا الكلام، قلت لنفسي (هذه غير ورطة !!)

ثم قلت له :

- سيدي هذه المهمة صعبة وما عندي معلومات كافية عنها.

قال :

- لا عليك فسوف نهيء لك كل شيء .

وازاء ذلك الأمر قبلت وقلت :

- إذا كان الأمر كذلك فسوف أجمع المعلومات هذه .

فقال :

- وإذا أردت بعض التصاوير التي تمثله منذ طفولته فتعال الى قصر الرحاب، لتختار منها ما تريد.

وذهبت بعد ذاك الى قصر الرحاب، وأخذت الصور المناسبة.

ولم يمض على هذا التكليف شهر حتى أكملت فصول الكتاب وقدمتها الى الوصي عبد الإله ليقرأها.

باسم من ينشر الكتاب ؟

وعندما سلمته فصول هذا الكتاب، لم أشأ أن أذكر أنه من تأليفي، فلما قرأها سألني قائلاً :

- باسم من سينشر الكتاب ؟ أراك لم تضع اسمك ؟

قلت :

- سيدي، لقد فكرت أن أبعد اسمي عنه، حتى لا يقال أنه صادر من التشريفات الملكية، وعند ذاك يكون مثل كتب الدعاية.

قال :

- إذن من الذي سوف ينشره ؟

وهـنا تذكرت أن هناك داراً تنشـر بعـض الكتـب هـي (دار منشـورات البصري) فقلت له : - أرى أن نتفق مع دار منشـورات البصـري، لتتولـى نشره وأظن أن صاحبها سيرحب بالموضوع.

قال :

- إذا كان الأمر كما ترى، هيا اتصل به وأعلمني.

وبالفعـل اتصلت بالسيد علي البصري صاحب تلك الدار وعرضـت عليـه القضية قائلاً :

- أننا سنطبع الكتاب في بيروت، ونقول على غلافه أنـه مـن مطبوعـات البصري فما رأيك ؟

قال :

- لا مانع لدي.

وهنا قلت له :

- اسمع ، لمـا كنت أنا الذي كتبت فصول هذا الكتاب فان لي حصة قدرهـا (٥٠ %) من ثمن المبيعات .

قال : لك ما تريد .

وعلى هذا تم الاتفاق، وأخبرت الوصي به، فما علينا إلا الاسراع فـي طبـع الكتاب.

ايفادي الى القاهرة وبيروت

ثم قال لي الوصي، عليك أن تسافر الى بيروت لطبع الكتاب هناك .

قلت :

- كيـف أسافـر يا سيدي ؟ هل علـى حسـاب البـلاط أم علـى حسـاب الحكومة ؟

قال : طبعاً على حساب الحكومة .

قلت :

- ان هـذا غيـر ممكن لأن طبع الكتاب يخـص البـلاط ولذلـك أرى أن يصدر قرار من (مجلس الوزراء) بايفادي الى القاهرة وبـيروت بحجـة الاطلاع على أصول التشريفات هناك للافادة منها في تنظيم حفلات التتويج.

قال :

- هذا رأي صحيح، أكتب بذلك الى مجلس الوزراء.

وبالفعل كتبت رئاسة الديوان الملكي بذلك، وصدر قرار ايفادي وسافرت الـى بيروت أولاً.

وهنا سلمت المسودات الى مطابع دار الكشاف مـع التصـاوير وأوصيـت بانجازه في مدى اسبوعين، ثم سافرت الى القاهرة، واتصلت بوزارة الخارجيـة والبلاط الملكي بمساعدة السفارة العراقيـة، واطلعـت علـى بعـض أنظمـة التشريفات فيهما، وعدت بعدها الى بيروت.

وفـي بيروت وجدت دار الكشاف قد أنهت طبع الكتاب طبعـاً أنيقـاً وهـو يحمل عنوان (فيصل الثاني ملك العراق) وأخذت عدة نسخ وطلبـت تحميـل النسخ الباقية الى بغداد باسم مكتبة علي البصري.

وهكذا وصلت النسخ وبوشر بتوزيعها خلال احتفالات التتويج وكان الكتـاب يباع بسعر ربع دينار للنسخة الواحدة وقد وزعت كلها باسابيع، وقبضـت مـن البصري حصتي منها.

الأستاذ كوركيس عواد يكشف الحقيقة

قلت أنني لم اشأ أن أضع اسمي على الكتاب لأسباب عدة، ولكني عندمـا طبعـت كتابي (دليل العراق الحديث) باللغة الإنكليزية سنة ١٩٥٨، وذكـرت هـذا الكتـاب

ضمن مؤلفاتي ولم ينتبه الى هذه الحقيقة إلا الأستاذ كوركيس عواد فذكرها في كتابه (معجم المؤلفين العراقيين) . وهنا أود أن أسال القاريء المنصف، وأقول : ألا تستغرب من تصرفي هذا ؟ والا تعتقد أن هناك من كان يتمنى أن يكتب اسمه بحروف بارزة ليقال عنه أنه ألف كتاباً عن الملك ؟!

أقول :

- أنني رغبت عن ذكر اسمي، على الكتاب، لأني كنت في ذلك الوقت في أشد حالات الضيق وعدم الرغبة في البقاء بعملي بعدما أحسست بالغبن الذي لحقني بالقياس الى بقية زملائي.

وأقولها صريحة : أن بعض المنافقين، قد تساءلوا أمام الوصي، عن سبب عدم ذكر اسمي على الكتاب، رغبة منهم في ايغار صدره عليّ، ويبدو أنهم نجحوا في ذلك.

الاستعداد لتتويج الملك فيصل الثاني

نصت المادة (٢٢) من القانون الأساسي المعمول بها آنذاك على ما يلي :

((سن الرشد للملك، هو تمام الثمانية عشرة عاماً)) ، وحيث أن الملك فيصل الثاني ولد صباح يوم الخميس الموافق ليوم ٢٩ من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ الموافق (٢) مايس سنة ١٩٣٥ ميلادية، فعليه يكون بلوغه سن الثامنة عشرة هو يوم (٢) مايس سنة ١٩٥٣ .

وتمهيداً للاحتفال بهذا اليوم، اتخذت الحكومة عدة اجراءات ومنها توجيه الدعوات الرسمية الى الملوك ورؤساء وأمراء الدول العربية والأجنبية لحضور هذه الاحتفالات شخصياً أو انابة أحد عنهم.

مطلوب في قصر الرحاب ليلاً

وقبيل التتويج بيومين كنت كعادتي جالساً ذات مساء وذلك بعد عودتي من زيارة مصر في حديقة (فندق سميراميس)، فإذا كاتب الفندق يتقدم مني ويقول :

- تفضل أستاذ مطلوب من (قصر الرحاب) .

فلما سمعت منه ذلك استغربت وقلت في نفسي .

- خير إن شاء الله، ثم أسرعت الى آلة التلفون، فلما قلت (هلو) إذا المتكلم من الطرف الآخر هو تحسين قدري رئيس التشريفات، الذي تكلم وقال :

- هلالي، سوف نرسل لك سيارة تنقلك الى القصر لأن سيدنا يريدك .

قلت :

- وماذا يريد ؟ قال :

- لا أدري ولكن هيء نفسك فالسيارة في الطريق اليك .

ثم أغلق السماعة.

وما هي إلا دقائق حتى وصلت السيارة، فركبتها وسارت بي مسرعة الى قصر الرحاب، فلما وصلنا وترجلت، قادني أحد جنود الانضباط الى الصالون.

وهناك وجدت الوصي عبد الإله، يتصدر الصالة والى جانبه شاكر الوادي وتحسين قدري وعدد من المرافقين، فسلمت عليه، ولما رد السلام قال :

- اجلس .

ثم لما جلست قبالته سألني قائلاً :

- هلالي، ماذا رأيت في مصر وما هي الملاحظات التي خرجت بها ؟

قلت : لقد لاحظت أن الشعب مرتاح جداً، وأنهم ملتزمون بشعار الثورة القائل (النظام والاتحاد والعمل) .

وأن رئيس الجمهورية اللواء محمد نجيب محبوب هناك، وعندما كنت أتكلم كان الوصي يحتسي كأساً من الويسكي ولم أكد أنتهي من كلامي حتى سألني سؤالاً آخر وهو :

- هلالي، لو كنت وصياً على العرش، وانتهت مدة الوصاية فماذا تقول في الكلمة التي تلقيها على الشعب وفي البرلمان وأنت تسلم الأمور الى الملك ؟

فلما سمعت هذا السؤال ارتج علي، وقلت :

- وهل أنا من يستشار في مثل هذا الموقف يا سيدي ؟

قال :

- لا تتهرب من الجواب، أنا دعوتك لتأتي الى هنا في هذه الساعة من الليل لأعرف رأيك في هذه القضية باعتبارك أديب وقريب من النّاس.

قلت :

- إذا كان الأمر كما تريد فاسمح لي أن أتكلم بصراحة.

قال :

- طبعاً تكلم ولا تخف إني أريد أن أعد خطابي للبرلمان حول هذه القضية.

قلت :

- أن الذي أراه أن نؤكد في الخطاب على الجوانب الآتية :

أولاً : حراجة الفترة التي توليت بها وصاية العرش وما جرى خلالها من حرب طاحنة، ومحاولتك السير بسفينة البلاد الى شاطئ السلامة.

ولكنك وأنت تقود هذه السفينة اصطدمت ببعض التيارات والاتجاهات السياسية التي تخالف سياستك، وحفاظاً منك على العرش، اضطررت الى سلوك الشدة، مع هذه الفئة أو تلك، لا لعداوة أو مقت ولكن لاختلاف في الإجتهاد.

ثانياً : أن الملك الشاب يتولى المسؤولية وليس له مع أي فئة من أبناء الشعب حقداً أو ضغينة أو اساءة الى أحد، فهو لذلك يرجو مساندة الشعب ومؤازرته في السير قدما الى الأمام.

تلك هي يا سيدي الجوانب التي أرى أن يتضمنها الخطاب !

ولما أنهيت كلمتي قال :

- فعلاً هذه النقاط جيدة، وسوف ننظر في ذكرها في الخطاب إن شاء الله.

وبعد ذاك نهضت مودعاً وكانت الساعة قد تجاوزت العاشرة مساءً.

ولما أعدّ الخطاب، وألقاه الوصي في جلسة البرلمان المشتركة، وجدت أن هذه النقاط قد أخذ بها فعلاً.

مشاكل ومواقف أثناء احتفالات التتويج

وكانت احتفالات التتويج، أصعب الأوقات التي مررت بها كموظف من موظفي التشريفات الملكية المناطة بهم تطبيق أصول البروتوكول في هذه الاحتفالات.

فالذي أذكره عن هذه الأيام، تلك المواقف والمشاكل الحرجة التي مررت بها أو وقعت أمامي، وهي كثيرة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

١ - العلماء والشمبانيا ..

ففي صباح يوم الاحتفال بانتقال السلطة الدستورية الى الملك فيصل الثاني، فتح سجل التشريفات في البلاط الملكي لتسجيل أسماء المهنئين بهذه المناسبة.

ولما كان المهنئون من مختلف الطبقات من عراقيين وأجانب، فقد كانت المرطبات التي توزع ذلك اليوم كؤوساً من (الشمبانيا) ، إذ كان الخدم يحملونها في الصواني ويدورون بها على الحاضرين.

وبينما كنت واقفاً الى جنب سجل التشريفات إذا بي أرى مدير الأوقاف العـام المرحوم عبد الرحمن خضر يأت ومعه مجموعة من كبار العلماء وعلى رأسـهم المرحوم الشيخ أمجد الزهاوي والمرحوم الشيخ نجم الواعظ.

وبينما هم واقفون الى جنبي إذا بأحد الخدم يقترب منهم ويقدم لهم الصينيـة المليئة بكؤوس الشمبانيا، ورأيت الشيخ أمجد قد مـد يـده لأخـذ أحـد هـذه الكؤوس، فسارعت بأخذ الكأس من يده، ونهرت الخادم على فعلته هذه وقلـت له أسرع وهات صينية من (عصيـر البرتقال)، وهكذا تلافيت الموقف، فلمـا سألني الشيخ أمجد رحمه الله قلت له :

- هذا شراب معد للأجانب وقد أخطأ هذا الخادم حين قدمه الى سـماحتكم ! فنرجو المعذرة .

قال : الحمد لله، لقد أبعدنا عن شروره ولك الفضل في ذلك.

أين مكان السفير الأردني ؟

ومن المواقف الحرجة التي وقعت فيها، ما حدث فمن سـهو وأنـا أرتـب مواقع جلوس المدعوين في حفلة العشاء التي أقامها الوصي عبد الإله، علـى شرف المدعوين في حدائق قصر الرحاب يوم التتويج.

فقد نسيت أن أضع اسم السفير الأردني (وكان آنـذاك الأسـتاذ عبـد الله زريقات) على خارطة الجلوس، فلما دعى المدعوون الى المائدة، وذهـب كـل منهم الى الخارطة ليعرف مكان جلوسه لم يجد السفير الأردني، مكاناً له فيـها، ولهذا غادر القصر تاركاً الدعوة غاضباً، خدث كل هذا وأنا لا أدري، ولما تفقـده رئيس التشريفات ولم يجده، استغرب، فقيل له أنه خرج. ولمـا تحـرى عـن السبب، ظهر له أني أنا السبب في ذلك لأني لم أدرج اسمه على الخارطة ومـن ثم على المائدة .

ولذلك ناداني وقال لي :

- كيف تخطئ هكذا خطأ ؟ أتدري ماذا فعلت ؟ قلت :

- ماذا ؟ قال :

- لقد نسيت درج أسم السفير الأردني على الخارطة، وقد خرج غاضباً .

قلت : باشا أنا آسف ولكن ما العمل الآن ؟

قال :

- إحمد ربك أنك أخطأت مع السفير الأردني، لأنك لو كنت أخطأت مع غيره لكانت المشكلة أكثر تعقيداً. اذهب واتصل به واعتذر عما حدث.

وبالفعل خرجت من الحفلة وأنا قلق، فلما اتصلت به تلفونياً ضحك وقال : لا بأس عليك يا أستاذ وانه مسرور لهذا الخطأ، لأنك أرحتني وأعطيتني فرصة لأنام مبكراً.

قلت له : هذا لطف منك وشكراً لك على هذه الروح .

السفير البريطاني يحتج على موقعه

وأذكر أننا قد نصبنا في مدخل البلاط الملكي سرادقين كبيرين الأول لجلوس الضيوف الكبار والثاني لجلوس سفراء الدول وغيرهم من الأجانب.

وبينما كنت واقفاً في الساحة الفاصلة بين الرواقين إذا بالسفير البريطاني يتقدم اليّ ويسألني قائلاً :

- لماذا أجلستموني في هذا السرادق، بينما أنا عميد السلك الدبلوماسي، ومكاني يجب أن يكون في السرادق الأول ؟

فلما سمعت كلامه اضطربت، وحيث أني لا أملك اتخاذ أي اجراء، التفت، فإذا بي ألمح من بعيد تحسين قدري يتخطى أمام السرادق الأول، وعند ذاك قلت للسفير :

- ها هو تحسين قدري هيا بنا نذهب اليه وهو الذي سوف يرتب الأمر.

ومن ثم سرت معه الى حيث يقف تحسين قدري ولما صرت بجانبه قلت بصوت منخفض : باشا خلصني من هذه الورطة، فالسفير يحتج على مكانه ويريد أن يجلس في السرادق الأول لأنه كما يقول عميد السلك الدبلوماسي في العراق.

ضحك تحسين قدري، وقال لي : طيب اذهب أنت الى مكانك، ثم أخذ بيد السفير البريطاني وسار معه الى الطرف الآخر من السرادق الأول، وكان يكلمه في أمر معين، ثم من هناك قال له :

- تفضل خذ مكانك بين الجالسين . وهكذا خلصني من هذه المشكلة.

الملك فيصل الثاني يتولى سلطاته

وهكذا أصبح الملك فيصل الثاني، ملكاً يمارس صلاحيته في ادارة شؤون البلاد.

أما الأمير عبد الإله، فقد أنهى عهد الوصاية، وأصبح ولياً للعهد فقط.

وكان المفروض، أن يكون الوصي عبد الإله، بعيداً عن التدخل في شؤون الملك، ولكنه في الحقيقة كان مسيطراً عليه تماماً، ولذلك لم يكن ليخرج عن طوع إرادته وتوجيهاته، والذي أذكره، أن الوصي عبد الإله قد احتفظ بغرفته، بينما أعدت الغرفة المقابلة للملك، وكان معظم الأشخاص الذين يطلبون مقابلة الملك، يطلبون في الوقت نفسه مقابلة الوصي عبد الإله.

وقد ظهر لي، أن الملك كان يروي لخاله كل ما كان يسمع من الذين يزورونه. وأشيع آنذاك أن في النية تعيين الوصي عبد الإله (سفيراً للعراق في فرنسا) لكي يفسح المجال للملك كي يعمل بحرية بعيداً عن تدخلاته، ولكن هذه الاشاعة لم تتأكد كما هو معلوم.

منحي وسام الرافدين

والذي أذكره ، أن الحكومة وتقديراً منها لجهود العاملين في الدولة قررت منحهم (وسام الرافدين) كل حسب صفته ودرجته، أما نحن في البلاط، فقد عين الوصي عبد الإله نفسه درجات الأوسمة التي منحت لنا تقديراً لما قمنا به من عمل خلال حفلات التتويج، وكانت درجة الوسام الذي منحني هي (الخامسة) ومن النوع المدني ولكني لما رأيت قائمة الممنوحين، هالني ما رأيت ، لقد رأيت أن (رئيس عرفاء الشرطة) العامل في البلاط قد منح هو الآخر وسام الرافدين من الدرجة الخامسة أيضاً.

فتجاه هذه المفارقة سارعت الى رئيس التشريفات الملكية وأنا أتفجر غيظاً وقلت له بحدة :

– أهكذا تقدرون الموظفين المخلصين في عملهم ؟ هكذا تساووني أنا وعريف شرطة بالوسام ؟!

ولما سمع مني أراد أن يهدئ من ثورتي فقال :

– أن الذي سجل الدرجات أمام كل شخص منكم هو الوصي نفسه ولذلك ما الذي بيدي أن أفعل ؟

فقلت :

– نعم أنا أعرف ذلك وأني لواثق لو أن الوصي يعرف أن هناك درجة (سادسة) لمنحني إياها، أنا أعرف موقفه مني ولا حاجة لي بوسامكم هذا.

قلت هذا وخرجت وأنا آسف على الجهود التي بذلتها في حفلات التتويج .

ولكن ما هي إلا برهة حتى جاءني السيد تحسين قدري وأخذ يخفف من حدتي واعداً إياي بتغيير الدرجة قريباً. ولما لم أبق بعد ذاك في البلاط إلا فترة وجيزة، فقد بقيت الدرجة على حالها.

تذمر ملحوظ

وأصبحت منذئذ كثير التذمر من عملي في البلاط لاسيما بعدما ثبت لـــي، أن الوصي عبد الإله، غير راغب في بقائي لما عرضت من أسباب .

ولهذا كنت أصرح أمام بعض الذين أعرفهم أنهم ينقلون الكلام بأني ســئمت من وظيفتي هذه التي لا تتعدى قيامي بايصال هذا الشيخ أو ذاك الأفنـــدي الـــى غرفة الإنتظار وادخاله الى غرفة الوصي.

بل كنت أقول (أن أي فراش) يستطيع أن يقوم بهذه المهمة.

فمالـــي أقبل بها وأنا أحمل شهادتين عاليتين هما : دار المعلميـــن العاليـــة وكلية الحقوق ؟! وكاتب وشاعر .

أخي وتهريب النفط

ومن الأحداث التي وقعت في تلك الفترة من عملـــي فـــي التشـــريفات هـــذه الواقعة التي بطلها أخي الدكتور عبد الحميد، وحدثت في المجلس النيـــابي، دون أن أعرف عنها شيئاً قبل وقوعها، وخلاصتها :

أن أخي عبد الحميـــد قـــدم ســـؤالاً الـــى رئيس المجلس يسأله عن موقـــف (شركات النفط البريطانية) العاملة في العراق من تهريب النفط الى (إســـرائيل) وبالنظر لأهمية هذا السؤال وما أثار من مشاكل لي بعد ذاك، أثبت نصـــه فيمـــا يأتي :

معالي رئيس مجلس النواب المحترم

بعد التحية :

أرجو توجيه سؤالي التالي الى معالي وزير الاقتصاد ليجيب عنه شفهياً أمـــام المجلس العالي. علمت أن شركات النفط صاحبة الامتياز في العراق قد بــــاعت لاسرائيل كمية من النفط تقدر قيمتها بأكثر من (٧٥) مليون دينار، وذلك خـــلال .

السنتين الأخيرتين ١٩٥٢ – ١٩٥٣ فقط. فهل الحكومة على علم بذلك ؟ وما هي التدابير التي أتخذت أو ستتخذ بهذا الشأن .

عبد الحميد الهلالي

نائب البصرة

وفي الجلسة التي عقدها المجلس النيابي يوم (١٩٥٣/١٢/٦)[١]، جرى الحوار التالي بشأنها بين وكيل وزير الاقتصاد وبعض النواب :

حسن عبد الرحمن – وكيل وزير الاقتصاد .

قال : اطلعت على هذا السؤال وقبل أن يكمل كلامه، قاطعه النائب (صادق البصام) قائلا :

– السائل غير موجود، فأرجو أن يؤجل الجواب الى حين مجيء السائل.

رئيس المجلس : – النظام لا يمنع من الاجابة مع عدم وجود السائل، وهذه القضية قضية سياسية مهمة ينتظر المجلس العالي أن يعرفها، ومن الضروري أن نسمع رأي الحكومة.

والسؤال عندما يلقى، من حق الحكومة أن تجيب عليه ولو كان السائل غائباً.

صادق البصام :

– أنا متفق مع مقام الرئاسة ولكن الأسباب التي دعت السائل ان يسأل هي مهمة ولابد أن تكون مستندة الى معلومات .

حسن عبد الرحمن – وكيل وزير الاقتصاد

– لو انتظر معالي الاستاذ البصام قليلاً ريثما أبين جوابي لكان خيراً.

معالي الرئيس ، حضرات النواب

---

[١] كان أخي نائباً في هذه السنة.

اطلعت على السؤال قبل يومين في الجريدة ولقد رجعت الـــى ملفــات وزارة الاقتصاد فلم أجد فيها أي شيء حول هذا الموضوع.

لهذا سوف تشرع وزارة الاقتصاد، باســـتقصاء هــذا الموضـــوع بطريقــة صحيحة، وأنا أفتح باب الوزارة أمام النائب المحـــترم، ليدلنـــي علـــى أســباب ثبوته، لأستطيع أن أتمسك بحق الحكومة أولاً، من الناحية الاقتصادية، وثانيـــاً لأتمكن من تطبيق العقود بحق أي شركة إذا ثبت ذلك بطريقة علمية لا بطريقــة إبداء الرأي بدون استقصاء.

رئيس المجلس : إذا كانت لدى السائل المحترم دلائل ثبوتيـــة يســتطيع أن يبينها عند تلاوة محضر الجلسة.

صادق البصام – مقاطعاً –

– إن هذه القضية أثارتها الجامعة العربية فـــالوزارة يجـب أن تعــرف عنها.

جرى هذا الحوار وكان أخي غائباً عن الجلسة، إلا أنه حضر فـــي الجلســة التي عقدها المجلس يوم (١٩٥٣/١٢/٢٢) وعند افتتاحها طلب الكلام

وقال : أود أن أسجل بهذه المناسبة حقي بالاجابة على سؤالي الذي أصبـــح شبه مهمل، نظراً لأهميته، لأنه يتضمن التحقيق عن تشغيل مصافي النفط فـــي حيفـــا، وارساله الى (اسرائيل) بكميات كبيرة لا تقل عن (٧٥) مليون دينار .

رئيس المجلس :

– إن هذا السؤال الذي قدمه حضرة النائب قد أعلنه بالصحف المحليـــة قبل أن يرد الى ديوان المجلس، وقد أوافقه على أهميته ولكن مع الأســـف كان من اللازم عليه أن يحضر الجلسة عند تقديم هذا السؤال.

وهكذا تملصت الحكومة من الإجابة على هذا السؤال، ولكن نتائجه تبعتنـــي في البلاط. أما كيف كان ذلك، فإلى القارئ ما يلي :

الوصي يسأل غاضباً

وبعد أن وصلت أنباء هذا السؤال وما أثار في المجلس وخارجه من ردود فعل قوية، سألني الوصي عبد الإله في صباح اليوم التالي السؤال الآتي:

- هذا أخوك مجنون ؟ شلون يكول النفط يهرب الى (اسرائيل) ؟

وحيث أني لم أكن أعلم شيئاً عن هذا السؤال، استغربت ولكني قلت :

- وما علاقتي أنا بأخي ؟ انه نائب له الحق أن يسأل عن أي أمر يهم البلاد ، وللحكومة أن تجيب بما لديها من معلومات تدحض تساؤله.

وقد بدا لي أن الوصي عبد الإله، كان غير مرتاح، ولذلك لم يقنع بجوابي، بل تركني ودخل غرفته.

وأحسست منذئذ أنه قد اعتبرني مقصراً لأني لم أحاول إبعاد أخي عن مثل هذه المواقف ، وهذا ما ثبت لي بعد ذاك كما سنرى .

شركة النفط تسأل أيضاً

وذهبت بعد تلك المكالمة مع الوصي، الى غرفتي وما هي إلا لحظات حتى رن جرس التلفون فلما رفعت السماعة قال لي عامل البدالة :

- أستاذ شركة النفط وياك .

قلت : خير إن شاء الله .

وهنا سمعت المتكلم فإذا هو (أحد كبار الموظفين العاملين) في دائرة العلاقات (في شركة نفط العراق) وبعد السلام والتحية قال :

- هاي شنو سوة أخونا الدكتور في المجلس ؟

قلت : ماذا عمل ؟ قال :

- يقول أن الشركة تهرب النفط الى (اسرائيل) .

قلت : والله هذي مسألة تخصه وهو نائب له الحق في توجيه أي سؤال.

قال :

- هذا صحيح، ولكن مخابرتي هذه جاءت بناء على رغبة مدير الشـوكة على معرفة الترجمة الكاملة لحياة الدكتور، قلت :

- (يبين الصواب حامي) ؟

قال :

- لا ولكن طلب معلومات .

قلت :

- لماذا لا تتصل بالدكتور نفسه وهو يقص عليك القصة ؟

وانتهت المكالمة .

ومهما يكن من أمر فالذي علمته من أخي بعد ذاك، عن معلوماته في هـــذه القضية وهل هي صحيحة ؟ قال :

- إنني لم أسأل هذا السؤال، إلا بعد الإتفاق مع الدكتور نديم الباجـةجي، مدير الاقتصاد فهو الذي زودني بهذه المعلومات.

قلت : الآن عرفت لماذا اضطربت شركة النفط، ووقفت الوزارة هذا الموقـف الباهت في هذه المسألة الحيوية.

أرشد العمري يشكل وزارته الثانية

والذي أذكره أيضاً، أن السيد أرشد العمري، شكل وزارته الثانيـــة، بتـــاريخ (١٩٥٤/١/٢٩) وحال توليه الوزارة، استصدر إرادة ملكيـــة بحـــل المجلـــس النيابي، وحدد موعداً جديداً لاجراء الانتخابات في المجلس الجديد.

وكـــان أخـــي بعيـــد حـــل المجلـــس، قـــد ســـافر الـــى ألمانيـــا لحضـــور معرض (هانوفر) فلما حدد موعد الانتخابات أرسلت له برقية، أدعـــوه فيـــها للحضور الى العراق سريعاً لخوض معركة الإنتخابات .

الدكتور الجمالي يرغب في ترشيحي

ومما أذكره أنه بصدد هذه الانتخابات، أن الدكتور الجمالي وزير الخارجية، رآني في حفلة السفارة الهولندية، فأمسك بيدي وقادني إلى أحد ممرات الحديقة، وهناك سألني عن أخي الدكتور عبد الحميد،

فقلت :

- لقد أرسلت له برقية الى (هانوفر) وطلبت منه أن يحضر حالاً.

وهنا قال الدكتور : - أن الدكتور صعب عليه هذه المرة أن يصبح نائبا .

قلت :

- هذا ما أعرفه، ولكني أريد أن يرشح ويفشل لكي تذهب عنه، تهمة أنه (مرشح البلاط) .

وهنا قال الدكتور :

- اسمع عبد الرزاق، لماذا لا ترشح أنت بدل أخيك ؟

قلت :

- لا يا دكتور، أنا لا أقبل أن أنافس أخي وأصير إضحكوة بين الناس، كما هو الحال بين الدكتور ضياء جعفر وأخيه وأنت أدرى بما فعل أحدهما بالآخر ؟ ثم أني إذا رشحت يعتقد الناس أني (مرشح البلاط) وهذا مالا أريده فلما سمع الدكتور كلامي قال :

- إنك قلت هذا أمامي، ولا أريدك أن تقوله لغيري وعلى هذه الصورة انتهى الحديث.

وعاد أخي الى العراق، وشارك بالانتخابات في البصرة، ولم ينجح هذه المرة كما هو متوقع.

أرشد العمري يسأل عن أخي

كنت جالساً في غرفتي ذات صباح وإذا برئيس الوزراء السيد أرشد العمري، قبل أن يمر في طريقه الى غرفة رئيس الديوان يناديني بلهجته الموصلية قائلاً :

- هلالي، هذا أخوك اشلونه ؟

قلت : باشا هذا سؤال غريب، هل تريد شيئاً ؟

قال : اسمع أنا أريد أشوفه غداً في مجلس الوزراء.

قلت :

- أمرك باشا .

وفي الموعد المحدد ذهب أخي لمقابلته، وهناك دار بينهما الحوار الطريف الآتي، أنقله للتاريخ :

أرشد العمري :

- ما تقلي، أش بلشك (بهلقحـ ....).

الدكتور عبد الحميد :

- ومن هي هذه (القحـ .....) ؟

أرشد : هي بريطانيا، أشلون تقول أن شركات النفط تهرب النفط الـ (اسرائيل) ؟ ثم أريد أسألك، أشقال لك وزير الاقتصاد الوطني الغيور ؟

الدكتور عبد الحميد :

- قال ليس في ملفات وزارة الاقتصاد ما يؤيد ذلك ؟

فضحك أرشد العمري وقال هازئاً :

- أنت سماع ويحد يهرب نفط ويعطيك نسخة عن الكميات المهربة حتى تحفظها في ملفاتك .. ؟ هذا شلون حكي .

ثم قال للدكتور :

- اتدري لماذا طلبتك ؟ قال : لا .

قال :

- أنا أريد أعينك (مديراً عاماً للاقتصاد) فماذا تقول ؟

الدكتور عبد الحميد :

- هذا لطفك باشا ، وأنا حاضر للخدمة .

قال :

- مليح، أنتظر كم يوم حتى تصدر الإرادة الملكية بذلك.

ثم نهض أخي ، وودعه شاكراً.

أنت أخطر من مصدق

ومر أسبوع وأسبوعان وشهر بل وأكثر والإرادة لم تصدر وفي ذات يوم طلبه أرشد العمري، فلما قابله في مجلس الوزراء سأله العمري قائلاً :

- أتدري لماذا تأخرت الإرادة ؟ قال :

- لا ، لا أعراف لماذا ؟

قال : الواقع أني خلال هذه المدة وقفت على كل خطبك في المجلس، وظهرت لي أنك أخطر من مصدق.

قال : لماذا أنا أخطر من مصدق ؟ أنا لم أوقع مع إخواني النواب الذين طالبوا (بتأميم النفط) لأن ذلك خلاف وجهة نظري بينما، أحد إخواننا الذي كان في مقدمة الموقعين أصدرت له مرسوماً وعينته عضواً في مجلس الاعمار[1] .

فلما سمع أرشد ذلك قال :

- أنك تقصد فلان لا هذا وقع لكن (ما من قلبه) أنا أعرفه جيداً.

---

[1] يقصد بذلك الدكتور عبد الرحمن الجليلي .

ولكن الخطر أمثالك، من الأفندية الذين يمسكون الورقة والقلم ويكسرون حتى يعرفوا سعر النفط في البحر الأبيض المتوسط كم هو ؟

قال أخي :

– باشا ، هذا هو شغل النائب في البرلمان، أما الموظف فوضعه يختلف.

قال : اسمع هذا الحكي ما يفيد، أنا قررت تعيينك (مدير ديوان وزارة الاقتصاد) وأبعدت عنك بالنظام الجديد للوزارة (شؤون النفط) إذ أحدثنا مديرية خاصة مرتبطة بالوزير.

وهكذا عدل نظام وزارة الاقتصاد، وداوم أخي مديراً عاماً لديوان الوزارة.

سيدي أبوس إيدك !

ومن الصور التي أحتفظ بها حول انتخابات أرشد العمري هذه الصورة:

ففي صباح أحد الأيام وقبيل اجراء الانتخابات بأيام، جاء المرحوم (الأستاذ جميل عبد الوهاب) لمقابلة الوصي، فلما أدخلته الى غرفة الوصي، عدت الى غرفتي ولكنني وقفت في الباب القريب من باب غرفة الوصي، فإذا أنا أسمع الأستاذ جميل يقول بصوت عال :

– سيدي أبوس إيدك، سيدي هاي أريدها منك، ولما سمعت هذا الكلام رحت أرهف السمع أكثر فإذا هو يقول :

– سيدي لخاطر الله، أرجوك ترفع نظرك عنه، لأنه إذا سقط بالانتخابات (شراح نكول) للباشا وهو الآن مريض في باريس ؟

– سيدي هل تقبل أن يقول الناس أن (سكرتير حزب الباشا) فشل بالانتخابات ؟!

وهكـذا راح يتوسل والوصي لا يرد، وبقي كذلك الى أن سـمعت الوصـي يقول :

- طيب لخاطر الباشا راح أسهل أمره .

وخرج الأستاذ جميل وعلامات الفرح بادية على وجهه فودعني مسرعاً .

وفهمت طبعاً أنه يقصد بذلك (الأستاذ خليل كنه) الذي كان مرشحاً آنـذاك عن الفلوجة. وبالفعل فاز بالنيابة، أما لماذا يقف الوصي عبد الإله منـه هـذا الموقف فعلمه عند الأستاذ كنه !

الوصي عبد الإله والحسني

كان الأستاذ عبد الرزاق الحسني، المؤرخ العراقي المعروف، قد بـدأ منـذ سنة ١٩٥١، ينشـر علـى صفحـات مجلـة (العرفان) الصيداوية، مقـالات عن (الأسرار الخفية في حوادث السنة ١٩٤١ التحرريـة) واستمر في هـذا النشر حتى سنة ١٩٥٣ .

وما كنت أعلم شيئاً عن هذه المقالات لأني لم أطلع في حينـه علـى مجلـة العرفان ولكن حدث ذات يوم أن استدعاني الوصي عبد الإله وقال لي :

- اتصل بالسيد عبد الرزاق الحسني، وأخبره بأني أريد مقابلته .

قلت : أمرك سيدي .

وبالفعل اتصلت بالأستاذ الحسني، في داره بالكرادة وأبلغته أن الوصي عبـد الإله، يريد مقابلته، قال : حاضر سوف آتي في الموعد المقرر.

وفي صباح اليوم الثاني، جاء الحسني، فقدته إلى غرفة الانتظار ثم أعلمـت الوصي عبد الإله بحضوره فقال : ليدخل فأدخلته الى الغرفة.

ولما رجعت وقفت بباب غرفة الانتظار لعلي أسمع شيئاً ممـا يـدور بينـهم وأفهم سبب هذا الاستدعاء .

ولذلك أرهفت سمعي فإذا بي أسمع الوصي يقول :

– ومن هو عثمان حداد، حتى يكون قوله مرجعاً من المراجع ؟ انه يكذب، وحين أخرج مذكراتي عن هذه الأحداث سوف تسود وجوه وتبيض وجوه ! ثم جرى نقاش وكلام بينهما ولكني لم أتبين بعد ذاك ما كانا يتحدثان به.

وبعد دقائق خرج الاستاذ الحسني، وقد بدا عليه الارتباك وودعني وخرج من غرفة الانتظار، دون أن يقول شيئاً ولست أشك أن الأستاذ الحسني يحفظ ما دار بينهما في هذه المقابلة.

أين مذكرات الوصي عبد الإله

لقد أشار الوصي عبد الإله في حديثه مع الأستاذ الحسني، إلى (مذكراته) ولعل القارئ يسأل، هل كانت لديه مذكرات ؟

وجواباً على هذا التساؤل أقول :

– في سنة ١٩٥٣، جلب نظري كثرة تردد الأستاذ روفائيل بطي على البلاط الملكي ومقابلة الوصي عبد الإله، يومياً تقريباً وكنت أراهما يجلسان في الحديقة القريبة من غرفة الوصي وحدهما، ويبقيان أكثر من ساعة، وكنت أرى على الطاولة بعض الأوراق. ولما سألت الأستاذ بطي، عن سبب تكرر هذا اللقاء، قال :

– لقد طلب إليّ الوصي عبد الإله أن أحضر الى البلاط، كي يقرأ عليّ مذكراته ، وأقوم بمساعدته في تنسيقها وكتابتها وقد بدأنا فعلاً بذلك .

فعلقت قائلاً :

– وهل انتهيتم من قراءة معظم صفحات هذه المذكرات ؟

قال : تقريباً .

هذا ما سمعته من المرحوم الأستاذ روفائيل بطي في سنة ١٩٥٣، ولما كنت قد خرجت من العمل في البلاط بعد سنة تقريباً، فلا أدري أين أصبحت هذه المذكرات بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

ولا أدري إن كان الأستاذ بطي قد احتفظ بنسخة منها ام لا ؟

ومهما يكن من شيء، فان هذه المذكرات لو وجدت، ونشرت لعرفنا بعض الأسرار الخفية عن الأحداث السياسية التي مر بها العراق، في عهد وصايته على العرش الذي امتد من مقتل الملك غازي سنة ١٩٣٩ وحتى تتويج الملك فيصل الثاني سنة ١٩٥٣ .

حول استيزار روفائيل بطي

من هنا يرى قارئ المذكرات، أن علاقة الأستاذ روفائيل بطي بالوصي عبد الإله، (سنة ١٩٥٣) كانت علاقة جيدة. ولهذا عندما كلف الدكتور محمد فاضل الجمالي، بتشكيل الوزراة سنة ١٩٥٣، أختير الأستاذ روفائيل بطي، وزيراً وأصبح مسؤولاً عن شؤون الدعاية والإعلام كما هو معلوم.

وحيث أني كنت أقرأ في جريدته (البلاد) آنذاك بعض المقالات والنقدات السياسية التي يتناول فيها سوء الأوضاع في البلاد، أذكر أني سألته بعد استيزاره مباشرة وقلت له :

- أبو بديع، كيف قبلت بالوزارة ومقالاتك السياسية لا تزال حديث المجالس ؟ فضحك وقال بهدوء :

- قبلت بناءً على أمر الوصي، ثم أني كما تعلم أريد أن أكمل مدة الخدمة في الدولة، وهي عشر سنوات حتى أستحق (الراتب التقاعدي).

قلت : الآن فهمت !!

ولما استقالت وزارة الجمالي، وأعاد تأليفها كان الأستاذ بطي وزيـــراً فيـــها أيضاً. وبمناسبة استيزاره هذه المرة، أنقل للقارئ ما قاله الأستاذ عبد الـــرزاق الحسني في الجزء التاسع من تاريخ الوزارات العراقية عنه، وهذا نصه :

(ولم يكن روفائيل بطي من بين أعضاء الوزارة الجديـــدة، لأن الصحفييـــن كرهوه عندما تولى أمورهم في الوزارة المستقيلة، ولكنـــه (هـــدد) الجمـــالي بهتك وزارته إذا لم يزامله مرة ثانية !)

ثم ذهب الى الوصي عبد الإله متوسلاً ومسترحماً أن لا يخذل فيها فيســـوء مصيره بعد أن خدمَ البلاط والجمالي نفسه، فأضاف الوصي عبد الإله اسمه الـــى قائمة الوزارة، التيْ رفعها الجمالي الى الملك بخطه، وهكذا كان) .

الدكتور الجمالي ومقابلاته مع الوصي

ومن الصور التي لا أنساها، تلك التي تتعلق بالدكتور الجمالي، منذ أن كـــان وزيراً أورئيساً للمجلس أو رئيساً للوزراء، فقد كان يأتي الى البـــلاط الملكـــي، لمقابلة الوصي عبد الإله، اسبوعياً وكان إذا جاء يحمل تحت إبطـــه مجموعـــة من الجرائد والمجلات العراقية والأجنبية، لكي يقص على الوصي ما قرأ فيـــها من أمور تخص العراق.

والذي أذكره عنه أيضاً، أنه كان يحمل في جيبه دائماً قنينة (كولونيا) فـــلذا حضر الى غرفة الانتظار يخرج هذه القنينة ويرش على يديه بماء الكولونيـــا، وكان أحياناً يتكرم عليَ برشة منها .

ولما كانت مدد المقابلات مع الوضي عبد الإله لا تزيد في أغلب الأحيان عـــن نصف ساعة، إلا أن الدكتور الجمالي خرق هذا النظام، إذ كان يظل مع الوصـــي مدة طويلة تتجاوز الساعة.

ومن الطريف أن أذكر هنا، أن عدداً من رجال السياسة عرفوا من الدكتور الجمالي، هذا التأخير، فكانوا إذا طلبوا موعداً لمقابلة الوصي، يسألونني إن كان الدكتور قد طلب موعداً هذا اليوم أم لا ؟ فإذا كان قد طلبه فعلاً رجوني أن أقدم أسمائهم عليه، لأنهم لايريدون الانتظار بعده مدة طويلة بلا مبرر !

مسدس حسام الدين جمعة والشيخ عبد الواحد

وأذكر ان الشيخ عبد الواحد الحاج سكر كان قد حضر بناء على موعد سابق لمقابلة الوصي عبد الإله، وبينما هو جالس في غرفة الانتظار، دخل السيد حسام الدين جمعة ، وزير الداخلية آنذاك، وقال :

- هلالي ... أريد مقابلة سيدنا .

قلت :

- لحظة سوف أخبره بذلك .

ولما عدت لأخبره، بالدخول رأيته، قد نزع حزامه وأخرج منه (مسدسه) ووضعه على خشبة (الموقد) فلما رآه الشيخ عبد الواحد، يفعل هذا سأله قائلاً :

- أكلك حسام بك، هذا شنهو النزعته ؟

قال : انه مسدس شيخنا، إذا لا يجوز الدخول على سيدنا بالمسدس .

قال الشيخ وهو يهز يده :

- بويه ليش ما تجوزون من هالقشمريات، على من تبيعون شجاعتكم، أشو أنا من شفتك وشفتني ما سمعت أنك قتلت كلباً، موش بني آدم ؟!

وهنا ضحك حسام الدين، وقال قبل أن أدخله على الوصي عبد الإله :

- والله أبو راهي، انت ما تجوز من سوالفك !

ولما عدت قلت للشيخ :

- شيخنا لماذا هذه (الحرشة) ؟

قال : لا يا أستاذ هذي مو حرشة، هذه هي الحقيقة، فقد شبعنا من مثل هذه المظاهر بدون قبض !

ذكرياتي عن الأمير زيد

والأمير زيد، هو عم الوصي عبد الإله، كان سفيراً للعراق في بريطانيا ، عندما عملت في البلاط الملكي.

ونظراً لكثرة سفر الوصي عبد الإله، الى الخارج لا سيما في موسم الصيف، فقد كان ينسب عمه الأمير زيد، لتولي شؤون العرش، نيابة عن الملك طوال مدة غيابه.

وقد تكررت هذه الانابة عدة مرات خلال السنوات السبع التي قضيتها في خدمة التشريفات الملكية.

وبسبب ذلك أصبحت لي علاقة حسنة مع الأمير زيد، وقد ظهر لي من خلال هذه العلاقة، أنه رجل بسيط جداً طيب السريرة، بعيد كل البعد عن التكبر والغرور، إذا حدث أحداً من الناس حدثه بصوت رقيق وخفيض، تتجلى فيه روح التقدير والاحترام.

والذي أذكره عنه، أنه كان عندما يأتي الى بغداد، ونخرج لاستقباله في المطار، كان يأتي وليس معه أية حقيبة، غير حقيبة يدوية صغيرة تضم بيجاما وقميصاً وعدداً من علب التبغ لأنه كان يدخن الغليون.

وكان لا يجلب معه من الملابس، إلا البدلة التي يرتديها ولبساطته كان ينام ليلاً في احدى غرف البلاط على الرغم من شدة الحر في الصيف. وقد وقفت خلال عملي معه، على روحيته السمحة وخلقه الدمث، وعدم رضاه عن السياسة التي كان يتبعها الوصي عبد الإله، وكان يكلمني عنها بصراحة تامة،

ومن خلال اتصالي به كلما جاء الى بغداد سمعت منه بعض التصريحات ، ووقفت على بعض الوقائع وها أنا ذا أسجل أهمها فيما يلي :

١ - يسقط الوصي عبد الإله ..

في ذات صباح كنت أتمشى معه في الحديقة المجاورة لبناية (شركة طبارة وعبود للسكاير) فاذا نحن نسمع هتافات العمال المضربين فيها، وكان من بين تلك الهتافات هتاف يقول :

- يسقط الوصي عبد الإله .

فلما سمع الأمير زيد ذلك، امتعض وقال لي :

- هيا بنا يا هلالي ، الى الداخل .

ثم دخلنا الغرفة، وهناك أشعل غليونه بيد مرتجفة ورفع رأسه وقال :

- لو كنت أنا الوصي عبد الإله، وسمعت مثل هذا الهتاف أو بلغني أن العمال أو غيرهم هتفوا، لما بقيت دقيقة في تحمل المسؤولية في العراق. ان (سيدي) عبد الإله غلطان، كان عليه أن يفكر في هذا الموضوع من زمان.

لقد كفى آباءنا شتما وإهانة وتحقيراً، لماذا ؟ أكل هذا في سبيل المُلك ؟ هذا لا يطاق.

هكذا كان الأمير زيد يحدثني وهو متألم، لذا حاولت أن أخفف المسألة ، فقلت : أن هذا الهتاف مدسوس يا سيدي، وأنت تعرف أن من بين العمال (......) وهم الذين يهتفون مثل هذه الهتافات.

قال : هذا ما يهم، إن الهتاف وحده كاف لاعطاء الدليل على أن تحمل المسؤولية في هذه البلاد شيء لا يطاق.

سوف أنقل لسيدي عبد الإله ما سمعت ! إن هذا لا يطاق أبدا، يجب وضع حد لحرمة الأموات.

٢ - كلا .. اليوم تجرى له العملية ..

... ومن الطرائف التي أذكرها عنه، هذه الواقعة :

فقد طلب أحد موظفي وزارة الخارجية، موعداً لمقابلته، وكان هذا الموظف (قصير القامة، له عينان صغيرتان جداً) فلما حل موعده، سرت أمامه في طريقنا الى غرفة الأمير زيد، ولما كنت أطول منه، لم يره الأمير زيد، ولذلك لما دخلت ظن الأمير أنني وحدي، فسألني قائلاً :

- هلالي هذا بعده أعمى العيون ؟

وقد فطنت في الحال بأنه يقصد الموظف الذي هو خلفي لذا سارعت على البديهية وقلت : لا يا سيدي، لقد ذهبنا به الى المستشفى لتجرى له عملية هذا اليوم . وها هو الأستاذ قد جاء حسب الموعد.

ثم أدخلت الموظف الى الغرفة وانسحبت عائداً الىغرفتي وأنا أفكر في الورطة التي وقع بها الأمير زيد لولا التفاتي لها واختلاق قضية المستشفى.

وبينما أنا جالس في غرفتي، إذا بجرس التلفون يرن، فلما رفعت السماعة، ظهر لي أن المتكلم هو الأمير زيد نفسه فقلت : تفضل سيدي .

قال : هلالي تعال بالعجل .

قلت : أمرك .

ثم سارعت الى غرفته، ولما دخلت رأيته واقفاً بانتظاري وهناك قال لي :

- هلالي تعال جر إذني، هاي شلون دبرت قصة المستشفى، فخلصتني من ورطة كبيرة لأنني لم أر هذا الأعمى العيون أصلاً.

قلت : عرفت أنك لم تره ولذلك هداني الله الى اختلاق قصة إجراء العملية.

قال : تعال اجلس لأقص عليك قصة مماثلة وكيف تصرف فيها (رئيس تشريفات) سابق بها فأحدث قطيعة بيني وبين أحد الأصدقاء.

قلت : وما هي هذه القصة يا سيدي ؟

قال : لي صديق كرخي، لا يطيب له إلا أكل الباجة صباحاً مع (الثوم)، وكان يأتي لزيارتي عادة في الصباح أي بعد أكل الباجة.

وحيث أني أكره رائحة الثوم، فقد كنت أحتمل مقابلتـــه بـالرغم مـن تلـك الرائحة وأمري الى الله، وحدث أن جاء ذات يوم بعد العاشرة صباحـــاً وراجـع رئيس التشريفات ليعرض اسمه عليّ، فجاءني هذا باسمه، وهنا تذكرت رائحـة الثوم، فخطر لي أن أوصي رئيس التشريفات بصرفه (بالحسنى) واخباره بـأني اليوم مشغول، ثم قصصت عليه قصة رائحة الثوم، وقلت له، هــذه لمعلومـاتك الخاصة، لذا أرجوك أن تصرفه بالحسنى.

وخرج مني رئيس التشريفات ومرت الأيام وسافرت ثم عــدت فــي السـنة الثانية، فاستغربت من انقطاع هذا الصديق عن زيارتي، ولما استفســرت عـن السبب قيل لي :

- أن فلان زعلان لأنك تقول عنه انه قذر لا يـــأتي إلا بعـد أن يـأكل الباجة والثوم وحين يتكلم ينفخ برائحة الثوم بوجهي !!

ولما سمعت هذا الكلام استغربت جداً ولذلك بذلت المستحيل لرؤية الصديـق فلما حضر قص علي ما قاله له (رئيس التشريفات) حول هذا الموضوع مـع العلم أني قلت له أرجوك أن تصرفه بالحسنى ! وبعد هذا أليس مـــن حقـي أن أقول لك تعال جر أذني ؟ .

قلت : عفوا يا سيدي .

قال : بارك الله فيك وشكراً لك على هذه الالتفاتة.

٣ – نوري (باشا) وسفارة لندن ..

وأذكر أنه عندما جاء الى بغداد، بعد تعيين (الأستاذ طارق العسكري) وزيراً مفوضاً في السفارة العراقية بلندن، رغبت في مداعبته وقلت له :

– سيدي أهنيك، لأن الحكومة عينت لكم مساعداً هو الأستاذ طارق العسكري الذي عينته وزيراً مفوضاً بالسفارة لمساعدتك في أشغالك الكثيرة.

فلما سمع كلامي ضحك وقال :

– يا أشغال يا بطيخ ؟

قلت : لماذا يا سيدي، فالذي أعرفه أن سفارتنا في لندن أكبر سفاراتنا في الخارج لا سيما وأنها في بريطانيا التي لنا معها صلات سياسية كثيرة.

قال : المفروض هكذا، ولكننا لم يعد لنا أي عمل .

قلت :

– كيف ؟

قال : لأن (نوري باشا) اختصر المسألة، فاذا أراد شيئاً يتعلق بالعلاقة العراقية البريطانية ، طار إلى لندن واتصل بالخارجية وفاوض واتفق ونحن في السفارة لا نعلم شيئاً، فأي شغل لنا اذن ؟

قلت : هذا عجيب ، ولكنك أعلم يا سيدي !

٤ – فراش غرفة الأمير سكران ...

ومن الوقائع الطريفة التي وقعت للأمير، هذه الواقعة :

فقد كان الفراش المخصص لخدمته ليلاً من الذين يحتسون (العرق) وكان عليه أن يحضر حوالي الساعة العاشرة ليلاً ليكون في خدمة الأمير زيد عند عودته الى البلاط.

وحدث في احدى الليالي ، أن مر هذا الفراش، مـن البـاب الرئيسـي ورآه الحرس، وبعد نصف ساعة جاء الأمير زيد ولما أراد ان يدخل الغرفة، وجدهـا لا تزال مقفلة وأن الخادم لم يأت يعد.

فلما استفسر من الحرس، عن أمره، قالوا لقد دخل الى البلاط قبـل نصـف ساعة، ولا ندري أين ذهب، فتجاه الموقف بدأ أحد الجنود ينادي باسمه ولكـن من دون جدوى، وهنا قال أحد الجنود، لقد رأيته عندما دخل ثملاً يتمايل، ولهذا فقد يكون سقط في احدى سواقي الحديقة وأخذته (النومة).

وبالفعل جاء أحد الجنود (باللوكسات) وراحوا يبحثون عنه فـي السـواقي القريبة من المدخل، فوجدوه نائماً في احدها نوماً هادئاً، والأمير زيـد واقـف على أشد حالات الغضب، فلما قالوا له أنه سكران، ونايم بالطين، ضحك وقـال هاتوا لي المفاتيح، وانقلوا الرجل الى بيته ليكمل نومه وهكذا كانت هذه القصـة حديث الجميع في صباح اليوم الثاني.

٥ – أوراق المحاسب ..

وبينما كنت معه ذات يوم في الغرفة اسـتأذن محاسـب الخزينـة الملكيـة الخاصة بالدخول، فقال له :

– ادخل .

فلما رأى يده خاليةً من الأوراق ضحك وقال :

– شوف هلالي، لقد عودني هذا الرجل على شيء أخـاف منـه كلما رأيته.

قلت :

– وما هو يا سيدي ؟

قال : إذا دخل وبيده أوراق كثيرة أخاف، لأن كثرة الأوراق تدل على كـثرة المصاريف، أما إذا دخل بورقة صغيرة فالأمور جيدة على ما يبدو .

قال المحاسب : نعم يا سيدي ، انها جيدة .

قال : كيف ؟ قال :

- لقد طلبت الجمعية (التعاونية لوزارة الزراعة) شراء (٤٠٠) دونم من أرض سموكم في أبي غريب بسعر (٢٥٠) ديناراً للدونم الواحد، وهو سعر جيد .

فلما سمع الأمير ذلك فرح وقال :

- أسرع وأكمل الصفقة قبل أن أسافر .

وبيعت الأرض وقبض الأمير الثمن قبل سفره .

****

هذا بعض ما أحتفظ به من ذكريات عن الأمير زيد، وهي على كل حال تكشف عن نفسية الرجل، وبساطته.

وقد علمت وأنا أسجل هذه الذكريات، أنه قد صدرت مذكراته ، في عمان، ولم أطلع عليها، إذ لا بد أن تكون لحياته في العراق صفحات عدة من هذه الذكريات.

ذكرياتي عن الهيئة النيابية

قلت أن الوصي، عندما كان يغادر العراق، يقيم اما (نائباً عن الملك) واما أن يقيم هيئة مكونة من ثلاثة أشخاص عادة، تسمى (هيئة النيابة) .

وكانت الأصول الدستورية، أن يؤدي نائب الملك أو هيئة النيابة، اليمين الدستورية، أمام الوصي قبل مغادرته العراق لتكون المسألة قد رتبت على وفق ما ينص عليه القانون الأساسي آنذاك. وقد قر الرأي في الغالب ان تكون الهيئة مؤلفة من رئيسي (مجلس الأعيان والنواب) ومن أحد أعضاء مجلس الأعيان، وقد يكون غير لذلك، إذ ضم اكثرمن مرة (الشريف حسين)

زوج الأميرة بديعة، أخت الوصي عبد الإله، لعضوية هذه الهيئة، وبالنظر لكثرة سفر الوصي عبد الإله خارج العراق، فقد جرى تشكيل هذه الهيئة عدة مرات وفقاً لعدد هذه السفرات.

ذكرياتي مع تحسين قدري

ذكرت قبل هذا ما كنت وقفت عليه من خلق السيد تحسين قدري رئيس التشريفات الملكية خلال الفترة التي قضيتها في العمل معه، أما الآن فأود أن أروي للقارئ، بعض الطرائف والوقائع التي تكشف عن بساطته وعن (نسيانه) لا سيما لأسماء الأشخاص وعلى الأخص الشيوخ العرب والأكراد، الذين كانوا يفدون الى البلاط الملكي، ويراجعونه لتنظيم موعد لهم لمقابلة الوصي، وقد اتضح لي، أن سبب نسيان الأسماء، يرجع الى الفترات التي قضاها خارج العراق وزيراً مفوضاً او سفيراً .

فاذا كان الأمر كذلك، فكيف كان يدبر المسألة مع هؤلاء الناس ؟

لقد سلك في ذلك طريقين هما الأول : استدعائي لغرفته، والأشخاص الذين طلبوا المقابلة جالسون أمامه، وعندما أدخل الغرفة، يأمرني أن أقف الى جنبه، ثم يشير بيده الى ورقة أمامه مكتوب عليها بالخط العريض عبارة :

- من هو هذا الجالس أمامي أنا لا أعرف اسمه !

ولما أنهي قراءة هذه العبارة، أرفع رأسي وأسلم بصوت عال :

- شلونك شيخ فلان (أذكر اسمه العفو ما شفتك، ثم ألتفت الى تحسين قدري وأقول :

- باشا، أنت تعرف الشيخ فلان ؟

فيجب ضاحكاً :

- ولك أنت تريد تعرفني به .... أنه صديقي !!

وهكذا كنت أخلصه من مثل هذه المواقف !

الثاني : رموز وعلامات ..!

وكان تحسين قدري في حالة عدم وجودي بقربه يضطر الى وضع رموز وعلامات يراها في الجالس امامه ويسجلها على الورقة امامه .

ومن هذه الرموز والعلامات التي توصلت الى حلها هي :

- أبو شوارب، أبو شراشيب، (أنيبتك[1] عشائر) (أنتيبتك أفندية) وهكذا. وقد عرفت بالتجربة أنه عندما يسجل (أبو شوارب) كان يقصد واحداً من ثلاثة، إما الشيخ خوام العبد العباس، وأما الشيخ صكبان العبادي، وإما الشيخ عبد العباس المزهر الفرعون، وأما (أبو شراشيب) فيقصد به المرحوم الشيخ داود الجاف. وأما (أنتيبتيك) عشائر، فيقصد به الشيخ موحان الخير الله بينما يقصد (انتيبتيك أفندية) المرحوم الدكتور عبد المجيد عباس.

مشكلة مع أبي شوارب

ومن المشاكل التي حدثت بسبب مصطلح (أبو شوارب) تلك المشكلة التي كان طرفها الشيخ خيون العبيد، ففي ذلك اليوم حدث لي شغل في وزارة المعارف، وطلبت اجازة وذهبت، تاركاً تنظيم القائمة النهائية الى ملاحظ الدائرة، الذي قام مقامي في تبليغ مواعيد مواجهة الوصي في اليوم الثاني، وهكذا خرجت وأنا لا أعرف من هو مسجل في القائمة، ولكني أذكر أني قبل أن أذهب الى المعارف القيت نظرة على غرفة رئيس التشريفات فرأيت الشيخ خوام العبد العباس جالساً .

---

[1] لفظة فرنسية .

وفي حوالي الساعة التاسعة مساء ، رن جرس التلفون في داري، فلما رفعت السماعة، إذا المتكلم تحسين قدري وكان آنذاك في قصر الرحاب ، قال :

- هلالي هذا أبو شوارب منو ؟

قلت :

- انه الشيخ خوام العبد العباس .

فلما سمع جوابي ضحك وقال :

- ولك تعال خلصني من الورطة التي اوقعنا بها هذا الملاحظ الذكي ، إن سيدنا زعلان عليَ جداً .

قلت :

- وماذا حدث ؟

قال : جاءني الأفندي وسألني عن (أبو شوارب) فقلت له :

- والله ما أدري لكن أذكر أن حرف (خ) في اسمه .

وعلى هذا ظننت أنه عرف الشخص، ثم خرجت أما هو أتدري ماذا فعل ؟

قلت : لا .

قال : لقد اعتقد أنه (خيون العبيد) فاتصل بداره في الكرادة، فقيل له أنه في الشطرة يخوض معركة الانتخابات غداً.

فما كان منه إلا أن طلب الشطرة تلفونياً وكلم الشيخ قائلاً :

- شيخنا موعدك مع سيدنا الوصي غداً الساعة كذا .

فاستغرب الرجل، وقال : أنا لم اطلب موعداً مع سيدنا ، قال له :

- لقد رأينا اسمك مسجل بالقائمة، وودعه .

أما الشيخ خيون، فقد بقي في حيرة، إذ ربما يريده الوصي حول الانتخابات، ولذلك سارع وطلب الوصي في قصر الرحاب.

وعندما تكلم معه، وقص عليه قصة الموعد استغرب من هذا التصرف.

وحيث أن تحسين قدري كان موجوداً في قصر الرحاب فقد تلقى من الوصي هجوماً شديداً.

هذا ما قصه عليَ تحسين قدري وقال :

- كل هذا حدث بسببك يا ملعون !!

شآبيب الرحمة

ومما أذكره عن تحسين قدري، هذه الطريفة :

حين توفي محمد رضا شاه، والد الشاه الاخير، كان على البلاط أن يرسل برقية تعزية باسم الوصي، الى الشاه الجديد ولما كنت أنا الذي أكتب صيغ البرقيات وأسلمها الى تحسين قدري ليعرضها على الوصي عبد الإله، قبل إبراقها، أذكر بهذه المناسبة، أني حين كتبت صيغة البرقية ختمتها بقولي :

- ونسأل الله تعالى أن يستمطر شآبيب الرحمة على روح الفقيد العظيم الخ ..

وعندما قرأها تحسين (باشا) إستوقفته كلمة (شآبيب) ولذلك طلبني ليستفسر عن معناها، ولما حضرت قال :

- هلالي، هاي شنو تقصد بالشآبيب ؟

قلت : باشا، هذه كلمة تستعمل في مثل هذه المواقف، و(الشؤوب) كما في القاموس : المطر الذي به حالوب !!

عند ذلك رفع رأسه وقال :

- يعني جنابك تريد تورطنا بهذه الكلمة القاموسية ؟

قلت : كيف ؟

قال : لو فرضنا أني وافقت عليها أتدري أن البرقيات تكتب بالحروف اللاتينية قبل الإبراق ؟

قلت :

- نعم أعرف ذلك .

قال :

- ومن قال لك أن موظف البرق سوف يكتبها صحيحة بل قد يغلط ويكتبها (شباشيب) ومعنى هذا أننا نرجو الله ان يمطر شباشب على روح الفقيد ؟

قلت : باشا هذا بعيد الحدوث .

قال : اسمع، أنصحك ان تستعمل الكلمات البسيطة التي لا تحتمل الخطأ، وهنا في التشريفات ابتعد عن الكلمات القاموسية، فقد تقع في خطأ لا يمكن تلافيه، ويسبب لك مشكلة، خذ البرقية وارفع عنها (الشآبيب) هذه واكتبها من جديد.

وهكذا أخذت البرقية وكتبتها بصورة جديدة رضي عنها، وأخذت منذ ذلك الوقت أسير على وفق نصيحته، لأنها كانت نصيحة غالية حقاً.

أنت معمل

عندما توفيت الملكة عالية، أخذت دائرة التشريفات الملكية تتلقى المئات إن لم يكن الألوف من برقيات التعزية، من الداخل والخارج.

وحيث أن الأصول تقضي بإجابة أصحاب هذه البرقيات كلاً حسب مقامه ومنزلته، فقد كنت الموظف الوحيد الذي أنيطت به هذه المهمة، بدعوى أنني (أديب) وأعرف كيف أنمق الأجوبة.

ونظراً لكثرة البرقيات، فقد أحسست بأن فكري كل وقلمي عجز عن كتابة الأجوبة، كما يقتضيه الحال، ولذلك أخذت أكتب صورة واحدة لمجموعة من

الأشخاص اعتقادا مني بأن تحسين باشا، سوف يقــرأ هــذه المســودات قبــل إبراقها ولكن الذي حدث عكس ذلك.

فقد طلبني الى غرفته ولما حضرت قال :

- ما هذا يا هلالي ، أشو كمت تشريت ؟

قلت : ماذا ؟

قال : لماذا كل هذه الأجوبة بصورة واحدة، بينما بين أصحابها عــــدد مــن الذين لهم علاقة طيبة بالوصي ؟

قلت : والله باشا، أنا تعبت وضاعت كلمات الشكر على المواساة من فكــري، ثم كيــف أستطيــع أن أكتب أكثر من ألف جواب، بصور مختلفة ، قـــابل أنـــا معمل ؟

قال : نعم أنت معمل ، وقد ثبت ذلك لديّ، خذ هذه الأجوبة وغيرها .

وتناولت منه المسودات وأنا أقول له :

- إذا كان هذا هو اعتقادك بي ، فسوف أبذل جهدي لكتابتها من جديد.

قلت هذا وخرجت .

ثم أعــدت كتابتها بصور مختلفة وعرضتها عليه ثانية فلما قرأهـــا ضحــك وقال :

- ها ألم أقل لك إنك معمل ؟!

أشراف روما

كانت البيانات الصادرة من دائرة التشريفات الملكية تذكر في بعض الأحيـــان عبارة (أشراف بغداد) ولما كنت قبل دخولي للعمل في البلاط أســـمع تعليقــات الناس على هذه العبارة، وهي تعليقات جارحة، لذلك عندما جئت للبلاط موظفـاً، كانت تلك التعليقات في ذهني، ولهذا حاولت إبعادها عن بيانات التشريفات، وقــد

وفقت في ذلك بعد أن أقنعت رئيس التشريفات ورويت له قصة (أشراف روما) .

ولعل القارئ يريد هو الآخر سماع هذه القصة وساقدمها له، كما رواها الأستاذ حقي الشبلي إذ قال :

- كانت فرقتنا التمثيلية قد اتخذت لها مسرحاً صيفياً على شاطئ نهر دجلة في الصالحية، وكان المسرح قد أقيمت قواعده على الشاطئ فكان أشبه ما يكون بالسقيفة لعدد من أصحاب الزوارق (البلامة) في تلك المنطقة من النهر.

وحدث ان كانت الفرقة تمثل مسرحية (يوليوس قيصر) ذات مساء، فلما جاء دور المرحوم (عبد الله العزاوي) وكان (ضخم الجثة) ضرب بقدمه على خشبة المسرح وصاح يا (أشراف روما) بصوت عال.

ولما كانت ضربته قوية فان الخشبة التي كانت تحت قدمه كسرت ووقعت على رؤوس (البلامة) فأدمت بعضهم، وحيث أنهم سمعوا عبارة (أشراف روما) صعدوا وبيدهم (المرادي) وهم يصيحون :

- وينهم أشراف روما (هالسرسرية) نريد انأدبهم وناخذ حقنا منهم !

وهكذا أصبحت عبارة (أشراف روما) منذ ذلك الوقت تضرب للقوم الذين لا أخلاق لهم. تلك هي القصة، وقد سمعها (الباشا) وضحك وقال :

- وماذا نقول ؟

قلت :

- نقول (الأعيان والنواب والوجوه ...) ونتخلص من هذه العبارة.

قال :

- سوف أخبر الوصي بالقصة وأخبرك بالنتيجة .

وأخبر الوصي بالقصة، ووافق على حذف عبارة (أشراف بغـداد) وبـاتت البيانات منذئذ خالية منها.

مشاكل الإيفاد الى مجالس الفاتحة

ذكرت فيما سبق بعض المشاكل التي كانت تمر بنـا بسـبب وفـاة بعـض الأشخاص أو أحد أقاربهم ومحاولتهم التوسط لايفاد ممثل عن الوصي لحضـور مجلس الفاتحة.

ولما كنت أكثر موظفي التشريفات الملكية تكليفاً للقيام بهذه المهمـة، فقـد أحسست منذ أن قمت بها بمشكلة مهمة تلك هي مشكلة السيارة التي تقلني الـى ذلك المجلس.

فقد جرت العادة في البلاط (بالنظر لعدم وجود سيارات خاصة لمثـل هـذه الأعمال أن يطلب الموظف (سيارة أجرة) لتنقله الى مجلس الفاتحة) .

وحيث أن شرطي المرور في الشارع المؤدي الى ذلك المجلس أو الواقـف بالباب، لا يعرف من الذي يركب هذه السيارة فقد لاحظت أنه كثيرا مـا يمنـع دخولها الى الشارع أو يقدم عليها سيارات الوزراء وكبار موظفي الدولة، والـى أن يتثبت السائق أن الراكب معه هو (ممثل الوصي) يكون الناس قد تجمـهروا ليروا ما يحدث.

فتجاه هذا الوضع ذهبت الى رئيس التشريفات وقلت له :

- أنـي لن أذهب الى أي مجلس فاتحة بعد الآن ما لم تحلـوا مشـكلة السيارة ؟

قال : كيف ؟

قلت : هناك بعض (السيارات الملكية) تكون واقفة بعـد انتـهاء الـدوام الرسمي، ولابد أن ترسل إحداها الى دار من يريد أن يوفـد منـا لتنقلـه الـى

مجلس الفاتحة، ولو فعلتم ذلك لانفتح أمامها الطريق ولأدى شـرطي المـرور لمن يركبها التحية وسهل لها المرور.

قال : هذا اقتراح جيد، وسوف أخبر الوصي به.

وبالفعل أخبره، ووافق عليه، وبتنا نذهب الى هذه المجالس بسيارة ملكيـة وبذلك انتهت المشكلة.

ذكرياتي مع بعض مراجعي البلاط

لقد كنت بحكم عملي كمساعد لرئيس التشريفات الملكية، على صلة بجميـع الأشخاص الذين كانوا يفدون الى البلاط الملكي يومياً.

ومن هؤلاء جميع رؤساء الوزارات السابقين والوزراء القائمين بـالعمل أو السابقين والأعيان والنواب والوجوه من شتى المدن العراقية، بـل والممثليـن والوزراء الأجانب. وكان بين هؤلاء المراجعين، أناس ظرفاء، وآخرون ثقـلاء جداً، كثيرا ما كنت أنا الذي أتحملهم، وأمري الى الله. لأن رؤسائي مـا كـانوا يرغبون في مقابلتهم المزعجة والحاحهم اليومي المقرف.

وبمناسبة الحديث عن مراجعات الناس الى البـلاط، أود أن أبيـن للقـارئ علاقتي بهم وفق ما يلي :

لقد عرفت منذ البداية، أن هؤلاء المراجعين لم يأتوا الى البـلاط للتشـرف بمقابلتي أنا الموظف الصغير، إنما جاؤا لمقابلة الوصي عبد الإله، لأمـر مـن الأمور.

وعلى هذا الأساس كان عليّ أن أصبر وأتحمل ريثما تسهل تلك المقابلة.

والأمر الثاني الذي أريد تسجيله هنا، هو أني لم أكـن أدع الوقـت يضيـع عبثاً، بل قررت منذ البداية، أن أجعل لكل (مقام مقال) فافتح الحديث مع مـن يأتي الى غرفتي من هؤلاء، وغالباً ما يكون ذا علاقة بحياتـه وحيـاة أبنـاء

منطقته ومشاكلهم، أما إذا كان لطيفاً أو منكتاً فاحاول أن أسمع ما عنـــده مــن لطائف وقصص ونوادر وكنت أسجل ما أسمع منهم، لا ســيما تلــك الأحــاديث التي لها فائدة ومغزى في هذه الحياة.

والذي أذكره أني أفدت كثيراً من هذه الأحاديث حين أصدرت كتابي (نظـوات في اصلاح الريف) ، ومن بعده (مشاكل الأئتمان الزراعي في العراق) وقـــد خرجت خلال السنوات السبع التي قضيتها في خدمة التشريفات الملكيــة بكثـير من الذكرياتّ مع هؤلاء المراجعين ولكني سوف أقدم للقارئ في هذه الذكريـات، بعضاً منها لما فيها من مغزى وطرافة.

١ – الشيخ عبد الواحد والمعاهدة

والذي أذكره، أني سألت المرحوم (الحاج عبد الواحد الحـــاج سـكر) ذات يوم عن موقف الملك فيصل الأول معهم عند توقيع المعاهدة العراقية البريطانية سنـــة ١٩٢٧ وهل اتصل بهم لحملهم على تصديقها ؟

قال الشيخ عبد الواحد : نعم، جمعنا الملك، قبل عقد جلسة المجلس، وتكلــم معنا نحن الشيوخ، وكان يريد اقناعنا بضرورة تمشية هذه المعاهدة وأهميتــها بالنسبة لمستقبل العراق ولمـــا رأيته مسترسلاً في ذلك ، طلبت الكلام ، وقلــت له : هل لك يا جلالة الملك أن تسمع هذه القصة العشائرية ؟

قال : هات .

قلت : يحدث يا سيدي، أن يتزوج أحد أبناء العشيرة (قريبة) له ســـاكنة مع أهلها في سلف يبعد عن مكان عشيرته، بضعة كيلو مترات.

وحين تأتي هذه الفتاة الى بيت زوجها تبقى بعيدة عن رؤيــة أهلــها، وقــد يحدث أن هذه الفتـــاة تحن الى أهلها بعد أشهر، ولذلك تطلب مـــن زوجـــها أن يرسلها لرؤية أهلها .

وحيث أن المسافة بعيدة، فغالباً ما ترسل ومعها رجل قــوي يقــوم بمهمــة حراستها في الطريق الموحش، وقد يحدث يا سيدي، أن (يوســوس) الشــيطان في قلب المرأة أو الرجل في تلك الرحلة ، ويقع ما يمس شــرف المــرأة عنــد العشائر. وهنا إذا وقع هذا الحادث السيء، فان أهل البنت قد يعرفون ما حــدث بعد فترة، فماذا يفعلون في هذه الحالة ؟ قال الملك فيصل :

- وماذا يفعلون ؟

قلت : ان العشائر تنظر بالمسألة، فاذا كانت المــرأة هــي التــي (راودت) الرجل عن نفسها، عند ذاك، تقتل ويترك الرجل أما إذا كان الرجل هــو الــذي راود المرأة وغصبها غصباً فانه يقتل ويعفى عن المرأة.

قال الملك : هذه هي القصة يا شيخ عبد الواحد ولكن ما هو الربّاط ؟

قال : سيدي انك تريد منا، أن نسلك مسلك تلك الفتاة التــي راودت فتاهــا، تريدنا أن نرمي أنفسنا بأحضان المستعمر ونصدق المعاهدة ! إننا لو فعلنا ذلــك للحقنا بعشائرنا سبة خزي وعار، لا سيما ونحن بالأمس خرجنــا مــن ثــورة العشرين !

هذه القصة التي رواها لي الحاج عبد الواحد رحمه الله عن موقفه وموقــف بعض الشيوخ من جماعته حين عرضت المعاهدة على المجلس النيــابي ســنة ١٩٢٧ وصودقت بالشكل الذي صودقت به كما هو معروف.

٢ - الشيخ فريق المزهر ونوري السعيد

جاءني ذات صباح المرحوم الشيخ فريق المزهر الفرعون، ولما أخذ مكانــه أمامي ، سألته : شيخنا أين كنت ؟

قال : كنت أزور نوري (باشا)، بمناسبة عودته الى العراق.

قلت : وهل جرى بينكم حديث غير السلام ؟

قال : نعم ، لقد جلب نظري وأنا جالس في الصالون، قطعة كبيرة معلقة في صدر الصالة مكتوب عليها القول المأثور (**اتق شر من أحسنت إليه**) .

قلت : وما علاقة هذه بالكلام ؟

قال : اسمع ، عندما جاء الباشا وجلس قلت له :

- باشا أنا أشوف لازم ترفع هذه القطعة .

فاستغرب وقال :

- لماذا ؟

قلت : لأنها تعني أنك لا تحسن إلا لمن لا يستحق الإحسان .

قال : إذن ماذا نفعل ؟

قلت : ضع بدلها قطعة مكتوب عليها هذا القول :

(لم يخنك الأمين، ولكنك إئتمنت الخائن).

قلت للشيخ : وهل غير الباشا القطعة أم لا ؟

قال : والله ما أدري ولكني قلت كلمتي، أما إذا أراد تغييرها أم لا فهذا راجع له .

٣ – الشيخ سوادي والشيوعيين

ومن القصص التي أذكرها عن هذا الشيخ الذكي، تلك القصة التي رواها لي عندما جاء الى البلاط في الوقت الذي كانت المظاهرات تملأ شوارع بغداد، وكان (الشيوعيون وعصبة مكافحة الصهيونية) مسيطرين على الجموع ، فلما أخذ مكانه أمامي، قلت له :

- شيخ سوادي، شنو رأيك بهذه المظاهرات ؟

قال : لا تدير بال، عن أكثرية هؤلاء الشيوعيين من الشبان المخدوعين لكنهم لما يعقلون بعد مدة، سوف يرجعون الى حظيرة أمتهم.

قلت : دليلك على هذا الحكم .

قال : استاذ لا تصدك أن واحداً عربياً أصيلاً يقبل ما تدعو اليه هذه الهتافات ؟ هل من المعقول أن يقبل عربي بهتاف

- تسقط الحرب الفلسطينية ، أو نحن اخوان اليهود ؟

أنني أقول أنهم سوف يعقلون ويرجعون الى حظيرة أمتهم وعندي لذلك قصة.

قلت : هات ما هي قصتك ؟

قال : زفت الى أحد أبناء العشائر ابنة عمه التي كانت تسكن في سلف بعيد عن مساكن الزوج، ولهذا لم يكن رأى خلقتها.

وفي ليلة (الدخلة) رأى ما أزعجه كثيراً، رأى امامه عروسه قبيحة الشكل(عورة) مجدرة الوجه، فماذا يعمل ؟

أخذ عباءته وانسل من الدار ليلاً وقصد بغداد دون أن يخبر احداً .

ولما أصبح الصباح وجاء المهنئون ، لم يجدوه وشاع أمر هربه بين الأوساط العشائرية، فسمع أهل العروس بالأمر وغضبوا وجاؤا الى ابنتهم كي يأخذوها معهم، فلما فاتحوها بالأمر قالت :

- لا، أنا لا أغادر هذا البيت، إن ابن عمي سوف يعقل ويرد عليّ .

ولما لاحظوا إصرارها عادوا الى ديارهم غاضبين، أما الزوج فقد وصل الى بغداد، وهو موسر الحال، فأخذ يتردد بين الملاهي والمراقص كل ليلة، الى أن جلس ذات يوم في الفندق، وكان ضميره قد استيقظ وراح يخاطب نفسه قائلاً :

- ما هذا العمل الذي عملته مع ابنة عمي ؟ ما الذي ستقوله العرب عنها ؟ أن ما يمس شرفها يمس شرفي أيضاً، آه كم أنا مقصر بحقها، وعليّ أن أسارع للاعتذار منها.

وبالفعل قام من وقته وقصد عشيرته، وهناك قابل زوجته وهو يعتذر لها بين جموع الحاضرين، فلما رأتهم قالت :

- ألم أقل لكم أن ابن عمي سوف يعقل ويرد عليّ ؟!

قلت : انها قصة طريفة يا شيخ سوادي نرجو أن تؤيدها الأيام .

٤ - شهاب القصب وموقفه من اليهود

أما شهاب القصب، فكان واحداً من تلاميذي، في الدورات الصيفية عندما كنت وكيلاً لمدير التربية البدنية في وزارة المعارف قبل عملي في البلاط.

والذي أذكره عن المرحوم شهاب، أنه كان من الطلاب الذين بدت قابليتهم في التمثيل خلال هذه الدورات لذلك رحت أعطيه الأدوار الرئيسة ولا سيما الفكاهية منها، في التمثيليات التي يجريها الطلاب في المخيم، في ساحة الكشافة أو سرسنك.

ولما نقلت من المعارف وعينت للعمل في التشريفات الملكية، انقطعت علاقتي بأمثاله من الطلاب، ولكني كنت أسمع أنه قد أصبح شيوعياً، منتمياً الى إحدى الخلايا التي يرأسها أحد اليهود، وكان ذلك في سنة ١٩٤٧ وحدث ذات يوم في سنة ١٩٤٨ ، أن أخبرني الفراش أن شاباً اسمه (شهاب القصب) يريد مقابلتك .

فلما سمعت اسمه استغربت وقلت ماذا يريد ؟

قال : لا أدري .

قلت : دعه يدخل .

ولم يكد يراني، حتى سارع وأخذ يدي للسلام عليّ .

وبعد الترحيب به قلت له اجلس يا شهاب، ولما جلس رأيت وجهه شديد الاصفرار، وهنا رحت أسأله عن حاله قائلاً :

هاي أنت وين يا شهاب وأين وصلت بالدراسة ؟

قال : أستاذ خلصت (دار المعلمين الإبتدائية) وعينت في كربلاء ولكن (الأمن) لا توافق على تعييني.

قلت : لماذا ؟

قال : لأنها تقول أنا شيوعي !

قلت : تقول انها تقول، ألم تكن شيوعياً ؟

قال : بلى كنت كذلك، ولكني تركت ذلك منذ مدة .

قلت : ولماذا تركت الجماعة ؟

قال : الواقع كنا نحن وبعض الأخوان مدفوعين بالشيوعية، ولكن لما رأينا موقف الاتحاد السوفيتي من الموافقة السريعة على (قرار تقسيم فلسطين) ووقف نفس الموقف الذي وقفته زعيمة الأمبريالية أميركا، أسفنا جداً، ولما اجتمعت (خليتنا) وكان رئيسها يهودياً، أثرنا هذه النقطة. فإذا به يقول لنا : ليس من حقكم الكلام في هذه النقطة وعندما رأينا إندفاعه في الدفاع عن هذا الموقف وعرفنا أن اليهود الذين كانوا يقودون خلايانا كانوا يستغلونا من أجل تحقيق أهداف الصهيونية !

قلت : وماذا فعلت بعد هذا الموقف ؟

قال : لقد انسحبت من الخلية وأنا في أشد حالات الحنق، ثم بادرت بكتابة مقال أفضح فيه هذا الموقف.

قلت : هل نشرته في جريدة ما ؟

قال : نعم نشرته في هذه الجريدة ثم ناولني الجريدة وقرأت مقاله فعلاً .

قلت : وما الذي تريده مني الآن ؟

قال : أرجوك أن تساعدني، بالتعيين لأني مريض، وأبي وأمي عاجزان !

قلت : طيب أنا برسم الخدمة .

وهنا رفعت سماعة التلفون وطلبت أحد المسؤولين في (الأمن) وقلت له :

- أمامي السيد شهاب القصب، يقول انكم تقفون في سبيل تعيينه فهل أفـــهم لماذا ؟

قال :

- لأنه ذو نشاط شيوعي يا استاذ .

قلت :

- ومتى كان ذلك النشاط ؟

قال :

- منذ عدة سنوات .

قلت :

- وهل علمتم أنه انفصل وكتب مقالاً يهاجم به الشيوعيين ؟ قال :

- لا ما عندنا علم عن هذا .

قلت :

- لا هذا أكيد، سوف أرسله لكم مع الجريدة، وإذا أردتم كفيلاً عن ســـلوكه فأنا حاضر لكفالته .

قال :

- طيب عسانا نسهل أمره .

ولما أغلقت السماعة ، قلت له :

- هاك يا شهاب هذه الورقة، واذهب الى دائرة التحقيقـات وســلمها الـــى فلان، وأرجو أن أسمع منك النتيجة.

وقام المرحوم شهاب وهو لايكاد يصدق ووعدني ولسانه يعجز عن الشكر.

وبعد ساعة عاد اليّ ثانية وبيده موافقة التحقيقات على تعيينه.

قلت له :

- اجلس فسوف أعطيك رسالة الى مدير معارف كربلاء لكي يعينـــك فـــي المدينة. وكتبت له الرسالة، فأخذها وغادر الغرفة وهو فـــي أشـــد حـــالات الفرح.

والذي أذكره بعد ذاك، أني تسلمت بمناسبة العيد، بطاقة كبيرة، ولما فتحتـــها وجدتها مرسلة اليّ من والدي، السيد شهاب وهما يعربان لي عن تقديرهما لمـــا بذلت من مساعدة في تعيين ابنهما الذي أخذ يساعدهما بما يقبض من راتب.

نعم هذا ما أذكره عن المرحوم الفنان شهاب القصب، ولكن الذي حـــز فـــي نفسي بعد ذاك، أنه رحمه الله توفي بسبب داء السل الذي قضى علـــى شـــبابه، وبذلك خسر العراق فناناً له مستقبل زاهر في عالم التمثيل.

٥ – بيع السيارات الملكية

جرت العادة المتبعة من قبل (نظارة الخزينة الملكيـــة الخاصـــة) أن تبيـــع بعض السيارات الملكية في مرآب السيارات في قصر الرحاب بالمزاد العلني.

وهي قبل يوم المزاد تبلغ بعض الراغبين فـــي الشـــراء ولا ســـيما شـــيوخ العشائر، فلما يجري المزاد تباع تلك السيارات بأثمان غالية، لا سيما إذا كـــان بين المزايدين بعض هؤلاء الشيوخ، فقد كانوا يدفعون هذا الثمن العـــالي لا لأن السيارة تستحق ذلك، بل ليعلم الوصي عبد الإله، أن الشيخ الفلاني هـــو الـــذي دفع ذلك وفيه ما فيه من فائدة !

والذي أذكره بهذه المناسبة، أن أحد شيوخ منطقة الفرات الأوسط، جـــاءني ذات يوم وبعد أن أخذ مكانه أمامي ، سمعته يقول :

- والله صدق من قال أن الدنيا حظوظ .

قلت : ما الخبر ؟

قال : - لقد أهدى الوصي سيارة الى الشيخ فلان، كأنه هو المخلص الوحيـــد للعرش ! ولما سمعت ذلك ، قلت :

وكيف عرفت أن الوصي أهدى سيارة لهذا الشيخ ؟

قال : هذا ما قاله الشيخ نفسه عندما كان جالساً في مضيفه صباح الجمعة الفائت، وقد ثبت قوله هذا عندما جاءت السيارة الملكية ونمرتها وهي العلم العراقي، بادية ويقودها أحد الجنود من السواق العاملين في البلاط !

وبينما كان هذا الشيخ يقص القصة، كنت أفكر بالطريقة التي دبر بها الشيخ الذي اشترى تلك السيارة بالمزاد، واستغل بعد ذاك هذا الشراء، ولذلك فلما أنهى كلامه ، قلت :

لا يا شيخنا هذا غير صحيح، فالوصي لم يهد سيارة لأحد، ولكن هذا الشيخ اشترى السيارة بالمزاد العلني.

قال : ولكن سائق الوصي هو الذي جاء بها الى مضيف الشيخ .

قلت : هذا صحيح ولكن أتدري كيف تم ذلك ؟

قال : لا .

قلت : اسمع إذن ما سأشرحه لك، ثم قلت له :

لقد كان هذا الشيخ ذكياً حقاً وأراد أن يري مجالسيه في المضيف قوة علاقته بالوصي، وبالادعاء بأنه أهداه هذه السيارة، التي سيجلبها له هذا الصباح، وكان صباح يوم الجمعة سائق الوصي نفسه. أتدري كيف دبر ذلك ؟

قال : لا .

قلت : عندما رست السيارة عليه، وسلم الثمن، قال لمحاسب الخزينة الخاص .

- أستاذ آني عندي رجاء .

قال : ما هو ؟

قال : أنت تعرف إني ما أعرف أسوق سيارة (الكاديلاك) هذه، وحيث أني أريد تسلمها في منطقتي فهل بامكانك مساعدتي بأن تأمر رئيس العرفاء، سائق الوصي، على أن يأتي بها الى هناك غداً وهو يوم الجمعة، والسائق عدنه عطلة ؟ إنك لوفعلت ذلك فأنا مستعد أن أعطيه لقاء ذلك مبلغ عشرة دنانير قال المحاسب : هذه مسألة بسيطة .

وهنا، نادى السائق وهمس في أذنه، بالمبلغ، فقال السائق أنا مستعد لا سيما وأن غداً يوم الجمعة.

وهكذا اتفق الشيخ مع السائق وودعه على أمل رؤيته وهو يقود السيارة الملكية غداً.

عندها غادر الشيخ بغداد الى بلدته، وفي صباح اليوم الثاني حين جلس في المضيف راح يقص على الحاضرين كيف أن الوصي عبد الإله، أهداه سيارة كبيرة وأنه قبل هذه الهدية، وسوف تصل بعد ساعة.

وبالفعل جاءت السيارة يقودها ذلك السائق الملكي، ولما وصلت قرب المضيف، نزل السائق وبيده مفتاح السيارة، فأدى التحية العسكرية الى الشيخ، ثم سلمه المفاتيح.

وهنا قال له الشيخ : أشكرك، لازم تبقى تتغدى وأرجو أن تبوس ايد سيدنا الله يطول عمره !!

نعم هذا هو (البلاك) الذي فعله الشيخ فهل ترى ان الوصي أهداه هذه السيارة ؟

قال الشيخ : والله تريد الصدك، أنا أعرف ذكاء هذا الشيخ لكن ما كنت أتصور يصل الى هذا الحد !

ولما انتهت هذه المحاورة، سنحت لي الفرصة، لرؤية الوصي عبد الإله، وهناك قصصت عليه هذه القصة فاستغرب إلا أني قلت :

- أتدري يا سيدي ان بقاء (علامة البلاط) وهي العلم العراقي على السيارة هو السبب في هذا الاستغلال.

قال : إذن ماذا تفعل النظارة عندما تريد بيع مثل هذه السيارات ؟

قلت : المسألة بسيطة، ترفع هذه العلامات أولاً، ثم تجري المزايدة في مكان خارج قصر الرحاب أو البلاط الملكي، حين تكون المزايدة سليمة، وتتخلصون من مثل هذا الاستغلال !

قال : هذه المسألة متروكة لنظارة الخزينة، ثم انتهى الحديث!

والذي أعرفه، أن الوصي عبد الإله، لم يكن يقر أي اقتراح يؤدي الى تقليل واردات هذه الخزينة .

الاستاذ سعيد فريحة ومشاركة الوصي

وبمناسبة الحديث عن الخزينة الخاصة، وسياستها في زيادة الواردات والبخل في المصروفات، هذا الموقف الذي وقفته مع ناظرها.

ففي ذات يوم دخل غرفتي الاستاذ سعيد فريحة صاحب مجلة (الصياد) البيروتية، وبعد الترحيب به، جلس أمامي ورحنا نتبادل الأحاديث الأدبية والسياسية وبعض النوادر والنكات، ثم خطر لي أن أسأله أن يطلب مني خدمة أؤديها له ، فقال : الواقع أريد مقابلة الوصي أولاً، وإذا يمكن أن تساعدني في دفع ما للمجلة من بدلات الأشتراك في البلاط.

قلت : كلاهما سهل .

سوف أرتب لك موعداً لمقابلته ، أما بدل الإشتراك فسوف أفاتح نظارة الخزينة بذلك.

وعندها نهض وودعني وهو يقول : أنا نازل في الفندق الفلاني، أرجو أن أسمع منك قريباً.

قلت : إن شاء الله .

ولما خرج سارعت بالذهاب الى ناظر الخزينة، وقصصت عليه قصة المجلة، فلما سمعني قال : ان النظارة تتبع في هذه الأمور منشور وزارة المالية الذي صدر أخيراً .

قلت : وماذا يقول هذا المنشور ؟

قال : لا يجوز أن يدفع بدل الاشتراك في مجلة أو جريدة، أكثر من بدل اشتراك (ستة اشهر) كدفعة أولى، ولهذا نحن لا ندفع له الا نصف بدل الاشتراك لعدد واحد ، وهو (دينار) واحد فقط !

وهنا قلت له : هل ترى من المعقول، أن يدفع (البلاط الملكي) ديناراً واحداً للأستاذ سعيد فريحة ؟

قال : أنا لا أعرف من هو سعيد فريحة ولكن الذي أعرف هو منشور وزارة المالية !

قلت : يا أستاذ هذا المنشور يخص دوائر الدولة، وأنتم لستم تابعين للدولة، بل أنتم (نظارة خزينة خاصة) فلماذا تتمسكون بالمنشور ؟

هل من المعقول، أن يدفع للأستاذ فريحة دينار بينما الدول الأخرى تدفع له ولأمثاله مئات الدنانير ؟

وهنا قال لي بحدة : أرجوك أستاذ هلالي لا تتدخل بشغلي فأنا أعرف بواجباتي.

ولما سمعت كلامه هذا، بدت عليّ العصبية ونهضت، وعدت الى غرفتي وأنا لا أدري كيف أبلغ الأستاذ سعيد فريحة بالنتيجة .

وفي اليوم الثاني، سألني الوصي، عن موقفي من ناظر الخزينة فبينت له الدافع لموقفي هذا وقلت :

- أني أعلم يا سيدي، أن السفارة الفلانية تدفع لبعض الجرائد في بغداد بدلات اشترك لأكثر من (٥٠) عدداً سنوياً، وهنا في البلاط لا يدفع بدل اشتراك المجلة التي ترسل باسم سموكم ؟ هل ترون هذا لائقاً ؟

قال : طبعاً لا، ولهذا أمرت ناظر الخزينة أن يدفع مبلغ كذا الى الأستاذ سعيد .

قلت : الآن أستطيع أن أواجه الأستاذ فريحة الذي سوف يأتي بعد ساعة لمقابلة سموكم، قلت هذا وخرجت وأنا مسرور.

٦- الأستاذ مدحت علي مظلوم ومجالس الفاتحة

والذي أذكره، هذه الواقعة الطريفة التي وقعت لي مع الصديق المرحوم المهندس مدحت علي مظلوم .

فقد زارني ذات يوم وهو يضحك ولما جلس، قلت له :

- أراك تضحك ماذا وراءك ؟

قال :

- تريد الصدق، لقد كنت أنت ليلة أمس مدار حديث بيننا .

قلت :

- أرجو أن يكون حديث خير ؟

قال :

- لا ، ولكني هددت بك، أحد الأصدقاء .

قلت : كيف ؟

قال :

- قلت له، إذا لم تسكت فسوف أسأل الله تعالى أن يسهل للهلالي زيارة بيتكم !

قلت : وماذا قال الصديق ؟

قال : قال أعوذ بالله، شلك عليَ، هذه موخوش دعوة.

فلما سمعت منه ذلك، ضحكت معه، وكانت طريفة حقاً، وبعد هذه القصة، أبين للقارئ، أني كنت أكثر موظفي البلاط الملكي ايفاداً الى مجالس الفاتحة، مندوباً عن الوصي، ولهذا كان اسمي يذكر في نشرات الأخبار، من دار الإذاعة في أكثر أيام الأسبوع تقريباً.

ومن الطريف ما أذكره بهذا الصدد، أن صديقاً آخر، أراد مداعبتي فسألني قائلاً : الله يخليك (أبو نضال) قل لي، هل يقدم لك أهل الميت شيئاً من الحلاوة عندما تذهب الى مجلس الفاتحة ؟

قلت : لا والله سدك أمين، لا أقبض منهم إلا القهوة المرة، ولذلك تراني أخرج من مثل هذه المجالس والمرارة عالقة في حلقي !

وعندها قال ضاحكاً : لماذا لا تعترض على هذه الشغلة المرة ؟ قلت :

- ذاك هو نصيبي يا أستاذ !!

٧ – أريدها من العين الكبيرة

ومن الذكريات الطريفة، التي ما زلت أذكرها، تلك الواقعة التي كان بطلها أحد الرجال من العوائل النجفية المعروفة فالذي أذكره أن هذا الشيخ رحمه الله، راجعني ذات يوم، ولما سألته عما يريد قال :

- أريد مقابلة الوصي عبد الإله .

وحيث أنيَ لم أكن أعرف وجهة نظر الوصي بهذا الرجل، قلت له : سوف أسجل اسمك ، وعنوانك في بغدادِ ، ونخبر الوصي برغبتك، وما عليك إلا أن تنتظر بضعة أيام .

قال الشيخ :

- أرجوك يا أستاذ هاي أريدها منك ؟

قلت : سأبذل جهدي إن شاء الله .

ثم نهض وودعته .

ولما خرج ذهبت الى رئيس التشريفات وقلت له :

- الشيخ فلان يطلب مقابلة الوصي .

فلما سمع ذلك قال :

- حاول أن تمطمط القضية وياه، لأن سيدنا ما يريد يشوفه !

وعرفت من هذا الكلام رأي الوصي به، ولكن كيف سأتخلص منه إذا جاءني مرة ثانية ؟

وبالفعل جاء ثانية وثالثة ورابعة، وأنا أحاول أن أجد التبرير في عدم تدبير لموعد. ثم لما زادت مراجعاته، وأصبحت لا أقوى على تحمل بقائه في غرفتي، ذهبت الى رئيس التشريفات وقلت له :

- باشا، أرجو أن تضعوا لي حداً مع هذا الرجل، فاما أن ترتبوا له موعداً، واما أن تخولوني مصارحته بالأمر .

وهنا قال : لا تستعجل، اليوم أخصمها ويه سيدنا .

وبالفعل ، أخبرني بعد ساعة ، أن الوصي وافق على مقابلته ولهذا اتصلت به وقلت له أن موعدك غداً في الساعة كذا.

وفي اليوم الثاني، جاء هذا الشيخ ولما دخل غرفتي انتشرت فيها رائحة عطر شديدة، فقلت له :

- ما هذه الرائحة يا شيخنا ؟ قال :

- لقد عطرت بها ملابسي ولحيتي لأني سوف أقابل سمو الوصي .

قلت : ولكن الرائحة شديدة بل ومزعجة .

قال : هذا واجب ولابد أن أتطيب !

ولما حل موعده، قدته الى حيث غرفة الوصي عبد الإله، وتمت المقابلة.

أما أنا فقد بقيت أنتظر انتهاءءها لأعرف قصد هذا الشيخ من هذه المقابلة.

وبالفعل ما هي إلا دقائق حتى خرج فرحا، تلـــوح علـــى وجهـــه علامـــات الارتياح. فلما ودعته، دخلت على الوصي وقلت له :

- سيدنا ، الحمد لله الذي جعلك تقابلـــه، وإلا فقـــد رأيـــت مـــن مراجعته الأمرين ، أرجو أن يكون قد حقق بغيته !

قال : أتدري ماذا يريد ؟

قلت : لا يا سيدي .

قال : أنه يريد أن أعينه عضوا في مجلس الأعيان، لأن عمره كما يقول قـــد تجاوز الأربعين .

قلت : وهل وعدتموه خيرا .

قال : وهل هو أهل لاشغال هذه العضوية ؟

قلت : فكيف صرفتموه ؟

قال : قلت له، سوف نفكر بالأمر وهذا يحتاج الى وقت .

والمضحك أنه لما قام يودعني شاكرا قال : سيدي، أريدهـــا مـــن (العيـــن الكبيرة) ! فلما سمعت منه ذلك ضحكت، وقلت له ميخالف !

قلت : وما هي العين الكبيرة ؟

قال : يظن هذا المسكين ان هناك في مجلس الأعيان، مدتين أحداهمـــا (٤) سنوات والثانية (٨) سنوات، وقد جاءه هذا الظن بسبب القرعة التـــي أجريـــت بعد مرور (٤) سنوات من تشكيل مجلس الأعيان، وهذه هي المرة الأولى التـــي سقطت بها القرعة نصف أعضاء لمجلس، كما هـــو معلـــوم، وأصبحـــت مـــدة العضوية منذ ذلك التاريخ (٨) سنوات فالشـــيخ يريـــد (عينيـــة) مدتـــها (٨) سنوات !!

وهكذا، أصبح هذا الشيخ يدعى بصاحب (العين الكبيرة) .

٨ – بين وزير وراقصة .

كنت والأخ الأستاذ عبد المجيد حسيب الملاحظ في دائرة التشريفات، نقضي بعض الأمسيات في حديقة النادي الاولمبي في الاعظمية.

ومما أذكره، أنني كنت جالساً معه ذات مساء، فاذا أحد الأساتذة يقترب من مائدتنا وبعد أن سلم جلس معنا ولما كان الأخ عبد المجيد، كثير الاطلاع على بعض ما يدور على ألسنة الناس في بغداد، فقد روى لنا في تلك الجلسة ما يقال عن (وزير الشؤون الاجتماعية) وكيف أنه أعاد فتح ملهى (لأحدى الراقصات) في البصرة، بعد أن قبض منها مبلغ (٥٠٠) دينار رشوة لذلك.

وقال ، هذا ما أشيع والله أعلم .

وفي صباح اليوم الثاني مر عليَ الأخ عبد المجيد، وقال :

رئيس الديوان الملكي، الأستاذ أحمد مختار بابان، طلبني ، وما أدري شيريد ؟

قلت : خير ان شاء الله شيريد بها الصبحية ؟

وذهب عبد المجيد الى معاون رئيس الديوان وكان آنذاك الأستاذ أحمد زكي المدرس، فقاده هذا الى غرفة الرئيس، فلما دخلا ورآهما، وجه كلامه الى عبد المجيد وهو في أشد حالات الغضب قائلاً :

- مجيد، أنت شلون تكول إن فلاناً قبض من الراقصة الفلانية (٣٥٠) دينار ؟

قال عبد المجيد بكل برود :

- باشا أنا ما قلت (٣٥٠) دينار، ولهذا فان الذي نقل لك الخبر كاذب، أنا قلت قبض (٥٠٠) دينار فلما سمع رئيس الديوان ذلك بهت وقال : ولك شحجي وياك ، هم تعترف ؟

قال : باشا، هذه إشاعة منتشرة في بغداد وأنا رويتها في مجلس خاص، وما أدري أن هذا الأستاذ رخيص الى هذا الحد

قال الرئيس : أخرج بعد ما أريد أسمع منك مثل هذا الكلام.

وخرج وجاءني وقص عليّ ما قال فضحكت وقلت :

- مجيد حضر أغراضك

قال : هذا منتظر وبالفعل نقل بعد فترة الى وزارة الداخلية.

٩ – الهيئة البرلمانية لحزب الاتحاد الدستوري

قرأت ذات يوم اعلاناً صادراً من رئيس حزب الاتحاد الدستوري. نوري السعيد، يدعو فيه أعضاء الهيئة البرلمانية للحزب للحضور في مقر الحزب لمناقشة بعض القضايا السياسية المهمة.

وفي اليوم الذي تلا هذا الاجتماع، جاءني أحد أعضاء هذه الهيئة من الشيوخ، فلما أخذ مكانه أمامي، سألته قائلاً :

- شيخنا شلون اجتماعكم البارحة ؟

قال : أي اجتماع ؟

قلت : اجتماع الهيئة البرلمانية للحزب .

عندها ضحك وقال : أستاذ هاي حسجة لو صدك ؟ .

قلت : لا والله أريد أعرف شنو سويتو ؟

قال : تريد الصدك، إحنا لما قرينا هذه الدعوة فرحنا، لأننا سوف نرى (الباشا) ، وإلا فان القضايا السياسية الهامة هو أعرف منا !! بها وليس من المعقول ان يأخذ شورنا بيها !

قال : إذن ماذا فعلتم ؟

قال : لما جاء الباشا، حوطوه الأفندية، وخلونه نحن الشيوخ بالخط الثاني، بعيدين عنه، وقد حاولنا التقرب منهم ولكنهم كانوا حايطين بيه من كل جانب !

قلت : أفهم من هذا أنكم لم تناقشوا القضايا السياسية المهمة .

قال : لابوية لا، ماناقشنه الباشا شرح لنا الوضع وفهمنا منه الصغيرة والكبيرة.

قلت : هسه فهمت شلون كان الاجتماع !

حديث صريح مع الملك ينهي الخدمة

والذي أذكره، أنه لما توج الملك فيصل الثاني، في (٢ مايس سنة ١٩٥٣) خصصت له الغرفة المقابلة لغرفة ولي العهد عبد الإله، في البلاط، وبتنا نحن موظفي التشريفات نقدم الزوار له ولخاله، إذ كنا نرتب قائمتين احداهما خاصة بمقابلة الملك والثانية بمقابلة ولي العهد.

ولكن الذي لاحظته، أن معظم، الأشخاص الذين يطلبون مقابلة الملك، يطلبون في الوقت نفسه مقابلة خاله، ولهذا ازدادت أعمالنا زيادة ملحوظة بعد تولي الملك سلطاته الدستورية.

وقد عرفنا عن الملك خلال هذه الفترة، أنه كان ينقل لخاله كل ما يسمعه من الأشخاص الذين يزورونه.

وعرفنا أيضاً أن عبد الإله، كان مسيطراً على الملك، سيطرة تامة، إذ كان يتدخل في كل كبيرة وصغيرة من شؤونه العامة والخاصة تقريباً.

ولست هنا في موقف لتأكيد ذلك، لأن السياسيين الذين كانوا على مسرح السياسة آنذاك يعرفون ذلك عنه أيضاً.

وكمثال على هذا اكتفي بذكر الواقعة التي كنت انا طرفاً فيها، والتي بسبب ما جرى فيها بيني وبين الملك من حديث صريح، أنهيت خدمتي في التشريفات الملكية كما سنرى .

أما كيف حدث ذلك، فالى القارئ القصة كما وقعت :

- بينما كنت جالساً في غرفة الانتظار الواقعة بين غرفتي الملك وولي العهد (عبد الإله) اقترب مني الملك وقال :

- هلالي أشو صافن ؟

قلت : والله سيدي، أنا جالس لآخذ قسطاً من الراحة !

قال : طيب، ما دام ما عندك شغل، تعال الى الغرفة حتى ندردش شوية .

قلت : أمرك سيدي .

ثم تبعته الى غرفته ولما جلس، سألني :

- هلالي شكو ماكو ؟

قلت : حول أي شيء ؟

قال : حول الوضع السياسي لا سيما بعدما توليت السلطة.

قلت : والله سيدي،أنا لا أعرف شيئاً عن هذا وهو من اختصاص رجال السياسة، أما إذا أردت أن اخبرك عن وضعنا نحن في البلاط لأخبرتك.

قال : طيب هات ما عندك، أنا أريد أن أعرف الوضع .

وللحقيقة أقول أني قبل البدء بالكلام معه حول هذا الموضوع احسست أني ورطت نفسي، لأنه سوف ينقل ما أقوله الى الوصي، ومع هذا قلت فليكن لأن المثل العربي يقول (الرائد لا يكذب أهله) .

وهكذا بدأت أنقل رأيي بصراحة والذي أذكره أني قلت له :

- إننا هنا في البلاط الملكي لا عمل لنا إلا أن نسير على مبدأ (سوي مثله) فاننا نعمل وفق الأسس والأصول التي وضعها المرحوم رستم حيدر منذ اكثر من ثلاثين عاماً.

وعندما سمع ذلك قال :

- وما الذي يجب عمله إذن ؟

قلت : إن الذي أراه يا سيدي هو بيدكم .

قال : كيف ؟

قلت : أن تصدروا أوامركم بنقل جميع الموظفين العاملين فى البلاط (كباراً وصغاراً) ليحل محلهم عناصر شابة، مزودة بالثقافة الجديدة، ليكون عهد جلالتكم (وانت شاب) أيضاً، عهداً زاهراً.

قال : وأين هم هؤلاء الشباب ؟

قلت : إن البلد يزخر بهم وهم كثيرون .

وبينما كنا في الغرفة، أقبل علينا ولي العهد عبد الإله، فلما دخل انسحبت من الغرفة بكل هدوء، وهناك في غرفة الانتظار، رحت أفكر في ما سيحدث لي بعد أن ينقل الملك، رأيي الصريح هذا .

أول الغيث

وبعد تلك المقابلة بأيام، أصدر رئيس التشريفات أمراً يقتضي، بأن تقتصر واجباتي على الأعمال الورقية في دائرة التشريفات، أما تقديم الزوار للملك وولي العهد، فقد أصبح يقوم بها الأستاذ نوري القرةغولي ، ورئيس التشريفات نفسه في بعض الحالات.

لقد اتخذ هذا الإجراء، دون أن يبين لي السبب، ولكني كنت أعرف السبب، وهو كما قلت، نقل الملك ما قلت الى خاله وهذا دون شك أزعجه كثيراً.

وفي ضوء هذا (التقدير) رحت أجمع اوراقي وأهيء نفسي للخروج من البلاط، أما متى سيتم ذلك، فهذا ستبينه الأيام القريبة القادمة.

أرشد العمري يطلبني

حدث هذا في الأيام الأخيرة لوزارة السيد أرشد العمري الثانية أقول هذا، لأن للسيد العمري علاقة به. ففي أحد الأيام، وبينما كان ماراً أمام غرفتي في طريقه الى غرفة رئيس الديوان الملكي ناداني قائلاً :

- هلالي .. الحقني في غرفة رئيس الديوان، عندي حكي معاك .

قلت : امرك باشا.

ثم سارعت الى حيث هو .

وهناك وبحضور رئيس الديوان الملكي وكان آنذاك الأستاذ عبد الله بكر، قال لي العمري : هلالي أنت بعدك أديب وشاعر ؟

قلت : العفو مولانا، ولكن بعض الناس يعتقد ذلك .

قال : اسمع (وهو يتكلم باللهجة الموصلية) أريدك مديراً عاماً للدعاية !

فلما سمعت ذلك، صح ما كنت توقعته، ولذا قلت :

- باشا أنا موظف في الدولة، والموظف مثل حجر الشطرنج تنقله الحكومة من مكان الى مكان وهو راض.

قال : طيب ، هيئ نفسك لهذا المنصب.

قلت : ولكن راتبي لا يساعدني على ذلك ؟

قال : بعد أحسن، اعملك وكيلاً وأعطيك مخصصات وسيارة .

قلت : هذا متروك لقراركم.

قال : طيب، إن شاء الله تصدر الإرادة الملكية بذلك قريباً.

هكذا انتهت المقابلة، وخرجت من غرفة رئيس الديوان، وأنا أفكر بالقضية لا سيما بعد أن لاحظت رئيس الديوان لم يكن ينبس ببنت شفة، مما أعطاني الدليل على أن أرشد العمري لم يكن يجرؤ على اتخاذ هذا الموقف مع موظف في البلاط لولم يكن مأموراً به ، وهذا ما ثبت بعد ذلك كما سنرى.

مدير الاذاعة العراقية

ولم يمض يومان على هذه المحاورة، حتى صدرت الإرادة الملكية بتعييني مديراً للإذاعة العراقية وكان ذلك بتاريخ (١٩٥٤/٦/٢٤) والغريب، أني سمعت

أن إرادة ملكية صدرت في اليوم نفسه تقضي بتعيين الأستاذ حسن الطالباني، مديراً عاماً للدعاية .

وبعد صدور الارادة بنقلي الى وزارة الداخلية لاشغال منصب مدير الإذاعة فيها، إنتهت علاقتي بدائرة التشريفات وكنت قد انفككت منها يوم (١٩٥٤/٧/٣) .

أرشد العمري يبين سبب نقلي

وهكذا تركت البلاط الملكي، بعد ان قضيت في خدمة التشريفات الملكية سبع سنوات .

والذي أذكره بعد ذاك، أني ذات مساء كنت أحضر احدى الحفلات فاذا الأستاذ فاضل حيدر، قنصل العراق العام في استانبول وكان حاضراً العراق باجازة، يقترب مني، وبعد السلام قال :

- الحقيقة أنا متأسف على نقلك .

قلت :

- ولماذا الأسف ، أنا مرتاح يا أستاذ .

قال :

- أتدري لماذا نقلت ؟

قلت :

- السبب واضح، أن ولي العهد عبد الإله لم يعد يرتاح لوجودي في البلاط ...

قال : بالضبط هذا هو السبب، وهو ما أكده لي أرشد العمري عندما جاء الى استانبول بعد استقالة وزارته، فقد سألته عن سبب نقلك فقال لي بالحرف الواحد وبلهجته الموصلية :

- إش أعمل، إذا كان الوصي عبد الإله ما يريده ؟

قلت له :

- لماذا لا يريده ؟

قال :

- إنه يقول أن الهلالي : يريد أن يفسد الملك ! ولذا فهو لا يريده في البلاط، ولهذا نقلته، وأنا عارف انه شاب مليح وأديب.

قلت :

- هذا صحيح، ثم رويت للأستاذ فاضل حديثي مع الملك. وقلت :

- هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير .

حصيلة هذه الخدمة

والآن وبعد أن انتهيت من تسجيل أهم ذكرياتي عن هذه الخدمة التي استمرت (سبع سنوات) كما قلت، إذ بدأت بيوم (١٩٤٧/٥/١٩) وانتهت بيوم (١٩٥٤/٦/٢٤) لعل القارئ يرغب بعدها في معرفة الانطباعات والصور التي خرجت بها كما انعكست أمامي وكما تبينت لي من خلال اتصالي المباشر بمن كان يراجع البلاط من الشخصيات السياسية آنذاك.

وحيث أني في الواقع لازلت محتفظاً بالعديد من هذه الصور والانطباعات، إلا أني سوف أذكر أهمها، وهي كافية لاعطاء القارئ، صورة جلية، عن ذلك، وسأقدمها له وفق ما يلي :

١ - صعوبة العمل مع الملوك والأمراء

وأول الانطباعات التي خرجت بها، من جراء هذه الخدمة هي، صعوبة الخدمة مع الملوك والأمراء، فقد كنا نحن موظفي التشريفات وربما رئيس

الديوان الملكي نفسه، يصعب علينا معرفة الرأي الذي يرضى به الوصي عبد الإله، في هذا الشأن أو ذاك.

فقد كان قلقاً، من الصعب على الموظف الذكي أن يسبر غوره ويعرف ما يريد بالضبط. وليس من شك في أن العمل معه، ليس سهلاً، بل قد يوقع غير الحذر في كلامه ببعض المشاكل والمتاعب، وقد لاحظت أن بعض الموظفين كانوا أقرب له من غيرهم فلما تحريت عن السبب، ظهر لي أن هذا البعض كان لا يقول إلا ما يرضي الوصي، بل ويصدق كل ما يقول وكفى الله المؤمنين شر القتال !

٢ – الوصي عبد الإله

ومن الصور التي ما زلت اذكرها، (تأتأة وتعلثم) الوصي عبد الإله عندما يلقي خطاب العرش في البرلمان أو يتحدث من على منبر الإذاعة أو حفل عام.

فقد كان إذا خطب أو تحدث كثير (التأتأة والفأفأة)، حتى أن سامعيه كانوا يملون سماعه وهو يتحدث بهذه الصورة، والذي أذكره، عن هذه الظاهرة أني سألته ذات مرة، عن السبب في ذلك، بينما هو في غير موضع الخطابة والحديث الإذاعي سريع الكلام يحدثنا دون توقف وجواباً على سؤالي هذا قال :

لقد أصبح ذلك طبيعة لا يمكنني التخلص منها، فاني كلما أردت أن اقرأ ما كتبت في الورقة زاد خوفي وكثرت عندي هذه (التأتأة) .

٣ – الصراع بين الوصي عبد الإله ونوري السعيد

ومما لاحظته خلال هذه السنوات السبع، ولاسيما الأخيرة منها، ذلك الصراع الخفي تارة والصريح تارة أخرى، القائم بين الوصي عبد الإله ونوري السعيد.

فقد بدا لي، أن السبب في ذلك اختلاف الرجلين في بعض القضايا السياسية، وفي مقدمتها القضية السورية والاتحاد الهاشمي وغير ذلك من الأمور التي يعرفها سياسيو ذلك العهد، ولا أريد أن أبرهن على ذلك، لأن الأحداث التي

حدثت بعد خروجي ، من البلاط أثبتت ذلك بوضوح، ولا أريد ان أكرر هذا، كيف تولى نوري باشا وزارته الأخيرة التي سبقت وزارة الاتحاد الهاشمي، لأنها معروفة.

٤ – محاولة لتعيين عبد الإله سفيرا خارج العراق .

بسبب الخلاف القائم بين ولي العهد ونوري السعيد، أشيع في حينه أن عبد الإله، سوف يعين سفيراً للعراق في فرنسا لابعاده عن العراق، وكانت هذه الاشاعة ذات تأثير كبير في نفسية عبد الإله.

وقد أيد بعد ذلك الدكتور مجيد خدوري في كتابه (العراق الجمهوري) هذه الاشاعة إذ قال في الصفحة (٥٨ – ٥٩) ما نصه :

(ويبدو أن صموئيل فول السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية، كان قد رفع مذكرة عن أوضاع البلاد الداخلية الى السفير البريطاني في العراق (السير مايكل رايت) اقترح فيها تشكيل حكومة جديدة (إذا أريد الحد من الاتجاهات الثورية) برئاسة عسكري قدير قد يرضى عنه القصر والجيش، ويدخل عدد من الزعماء الوطنيين لاعادة الثقة بالحكومة ، لأن (الجنرال نوري السعيد) في رأي (فول) قد بلغ من العمر ما لا يصح معه أن يكون في رئاسة الحكومة، وان يعيّن عبد الإله ولي العهد، سفيراً لبلاده في الولايات المتحدة نظراً لكره الشعب له .

فإذا تم الانسجام والتعاون بين الملك ومثل هذه الحكومة فانه يستطيع انقاذ البلاد من حالة الاستياء العام.

ولكي يوضع هذا الاقتراح موضع التنفيذ راح السفير البريطاني يضغط على كل من ولي العهد والجنرال نوري السعيد، وهو أمر لا يستطيع أي سفير أن يقوم به إذا لم توعز له حكومته بذلك ! وقد نقلت هذه المقترحات الى (ولي العهد) إلا أنها لم تلق أذناً صاغية .

وهكذا ظل هذا الصراع قائماً بينهما الى آن قامت ثورة الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨ واختفيا نهائياً عن الحياة .

٥ – أحمد مختار بابان يروي قصة طريفة

والذي أذكره كذلك ، أن بعض رؤساء الوزارات السابقين ورئيس الديوان الملكي ورئيس التشريفات الملكية، كانوا يحذرون من نوري السعيد، إن لم أقل كانوا يخافون منه، ومن نتائج غضبه عليهم، شأنهم في ذلك شأن السياسيين الآخرين.

ومن الصور التي أذكرها تلك القصة التي رواها لي المرحوم احمد مختار بابان، عندما لقيته في لبنان، بعد ثورة تموز سنة ١٩٥٨ .

ففي لقائي معه، أثرت موضوع خوفهم من السعيد فقال :

– هذا صحيح لا سيما في السنوات الأخيرة، فقد أصبح في هذه السنوات حساساً جداً . وكدليل على ذلك أروي لك الموقف الي وقفه مع المرحوم (عبد الوهاب مرجان) عندما كان الأخير رئيساً للوزراء.

قلت :

– وماذا حدث ؟

قال :

– الذي أذكره أن نوري عندما كان في استانبول في طريق عودته الى بغداد صرح هناك (وهو غير مسؤول) ببعض التصريحات التي تخص سياسة العراق وعلاقته بحلف بغداد . ولما سئل الأستاذ عبد الوهاب مرجان رئيس الوزراء عن هذه التصريحات قال للصحفيين ما معناه :

– أن الحكومة لم تخول (الباشا) هذا الوضوع ولكنها سوف ترسل وفداً الى أنقرة وربما سيكون برئاسته (أي نوري باشا) .

وهكذا اعتقد الأستاذ مرجان أنه تخلص من الورطة التي أوقعه فيها الباشا.

ولكن أتدري ماذا حدث بعد ذلك ؟

قلت : لا .

قال : في مساء أحد الأيام وبعد أن وصل (الباشا) الى بغداد، رن جرس التلفون فلما رفعته وجدت أن المتكلم عبد الإله، عندها قلت :

- تفضل سيدي .

قال :

- اسمع مختار، تعال الى قصر الرحاب حالاً، لأن نوري (باشا)، ماسك عبد الوهاب مرجان، في الصالون، ويسمعه قارص الكلام وأنا لا أستطيع تهدئته.

قلت :

- أمرك سيدي، أنا قادم .

وبالفعل ذهبت مسرعاً الى قصر الرحاب، وكان الوصي ينتظرني على الباب، فلما رآني قال :

- أسمع الصياح اسمع .

واسرعت بالدخول الى الصالون، وبعد السلام ، قال نوري (باشا) :

- اسمع الأفندي !

قلت :

- خير باشا ؟

قال :

- أما قرأت تصريحه في الصحف، تالي عمري عبد الوهاب مرجان هو يعينني رئيساً لوفد ؟

ولما لاحظت ثورته، رحت أحاول تهدئته وأقول :

- باشا كل احنا تلاميذك، ان الاستاذ عبد الوهاب من المخلصيّن لكم طبعاً، ثم أني قرأت التصريح ولم أجد فيه شيئاً يمس فخامتكم.

قال :

- شلون يقول ، ربما سيكون رئيساً للوفد ؟

قلت :

- باشا إذا تسمح لي ، شوية ؟

قال :

- تفضل .

قلت :

- إن الأستاذ عبد الوهاب أحرج بأسئلة الصحفيين وهو كرئيس للوزراء، لابد أن يدبر المسألة بصورة يتخلص منها من الاحراج من جهة ولا يحرج كرامتك من جهة ثانية.

وهو يا باشا، من تلاميذك المخلصين.. وعندها رأيت الباشا قد هدأ، كما رأيت الأستاذ مرجان قد تنفس الصعداء، وبعد أن هدأت العاصفة، دخل عبد الإله، فلما رأى الهدوء قد ساد الصالة، قال للأستاذ مرجان :

- قم واعتذر من الباشا .

فقام الرجل واعتذر، وانتهت المقابلة بعد ذلك وعاد كل منا الى بيته !

ولما سمعت هذه القصة قلت له :

- انها لقصة طريفة سوف أضيفها الى سجل ذكرياتي منقولة عنك !

قال : هذا متروك لك .

ان هذه القصة، تظهر للقارئ، حساسية نوري باشا في تلك الأيام، وما كان ينعكس بسببها من ردود فعل في نفسه وفي واقع السياسة العراقية .

٦ – الخوف من تأويل الكلام

وقد لمست بالتجربة ، أن كلام أي موظف من موظفي البلاط الملكي يؤول أو يفسر من قبل الآخرين تفسيرات شتى لا سيما إذا كان السامع أحد العاملين في الحقل السياسي.

فقد كان هؤلاء الناس، يفسرون كلامنا على غير حقيقته ويبنون عليه بعض الأحكام، اعتقاداً منهم أن ما قلناه يمثل سياسة البلاط، بينما نحن لم يكن لنا علم بما لدى البلاط من اتجاه في هذه القضية أو تلك، وإذا ما علمنا لم نكن نتحدث به أبداً .

وتحت وقع هذا الخوف من التأويل، كنت أبتعد عن حضور المجالس العامة، وأقتصر لقائي مع عدد محدود من الأصدقاء فنجتمع(في فندق سميراميس) ولا تدور أحاديثنا إلا حول بعض المشاكل الخاصة، وللنكتة والنادرة المجال الفسيح في هذه الاجتماعات.

ومن الطريف أن أذكر هنا، أني قرأت مذكرات أحد السياسيين فإذا هو يعتمد في اصدار أحكامه في بعض القضايا، على أحد الشخصيات الذين كانوا يراجعون البلاط لصلة القرابة بينه وبين رئيس التشريفات.

هذا ما عرفته أنا عنه، ولا أدري إن كان ذلك السياسي يعرف أموراً أجهلها عنه ! ففوق كل ذي علم عليم !

نعم، أقول كنا نخاف من تأويل كلامنا،فكان هذا الخوف سبباً من أسباب حملنا على التأني في الكلام والتفكير لئلا نقع في عبارة قد تفسر تفسيراً من مثل تلك التفاسير.

٧ – ضريبة الوظيفة

ليس من شك في أن بعض وظائف الدولة، لها ضريبة على شاغليها هذا ما يعرفه جميع الموظفين، ولكن ضريبة العمل في البلاط الملكي وفي دائرة التشريفات الملكية على الخصوص، ضريبة باهضة.

وفضلا عن ضرائبها المعنوية، فان هناك ضرائب مادية ينوء بها الموظف ان لم يساعد ماديا .

فقد كان عليه أن يظهر بمظهر لائق وأن يكون له عدد من البدلات. بالاضافة الى تلك البدلات الرسمية مثل لباس (البونجور والفراك والسموكن) هذه البدلات التي يلبسها في الحفلات الرسمية في مختلف الأوقات.

والذي أذكره بصدد هذه الملابس أني لما دخلت للعمل في التشريفات لم أكن أقوى على عمل هذه البدلات، ولذلك قام الخياط الهندي (پاينير) بتفصيلها لي، على حساب البلاط الملكي.

وحيث أن القياسات قد أخذت عندما دخلت للعمل ، فان جسمي قد تغيرت مقاييسه بعد مرور السنين، ولهذا اضطررت لتفصيل بدلات أخرى، ولكن على حسابي هذه المرة !

والذي أذكره أيضاً أنني عندما دخلت البلاط كنت أقبض مخصصات وكالة مساعد رئيس التشريفات ومقدارها (٨) دنانير ولما ثبت في هذا المنصب قطعت هذه المخصصات، وبقينا فترة من الزمن بدون مخصصات الى أن أخذت درجة بنظر الاعتبار فتقرر عندئذ منحنا مخصصات (مقطوعة) وكانت مخصصاتي قدرها (١٢) دينار شهرياً .

٨ – عجائب السياسة

ومن الانطباعات التي خرجت بها بعد هذه الخدمة، تلك الصورة التي تكشف عن عجائب السياسة ، وعن مواقف بعض الرجال.

فقد تبين لي بوضوح، أن لبعض هؤلاء الرجال من السياسيين وجهين. فـهم عندما يقابلون الوصي عبد الإله، كنت أراهم لا يخرجون عن رأيـه فـي هـذه القضية أو تلك، وعندما يجتمعون في مجالسـهم الخاصـة أو عندمـا يدلـون بتصريح لهذه الجريدة أو تلك يقولون خلاف ما قـالوا للوصـي ، لـهذا كنـت أستغرب هذا التصرف.

وقد تجلى لي نفاق بعض هؤلاء بوضوح ، ومع هذا فاني أقول اليوم، أنـي كنت على خطأ في هذا الرأي، لأن الذي ثبت لي في الأخير، أن هـذه السياسـة وذلك النفاق، يروج في قصور الملوك والامراء، وغـيرهم وان مـردود هـذه السياسة كثيراً ما يكون خيرا على متبعيها فكم من هؤلاء، قد نال حظـوة عنـد الوصي ، وأصبح نائباً أو وزيراً أو عيناً أوما الى ذلك !

٩ – تمرين الفكر والقلم

عندما دخلت للعمل في البلاط الملكي، كنت شاباً ولـي بعـض الممارسـات الأدبية، ولي في صفحات بعض الجرائد المجال الذي أنثر فيها نثار قلمي.

ولما جئت الى البلاط، كنت امارس الكتابة في الصحف بتواقيـع مسـتعارة، في أكثر الأحيان، ولكنني مع هذا انصرفت الى الدراسة والتأليف، فأخرجت خـلال وجودي في البلاط كتابي الموسوم بـ (نظرات في اصلاح الريـف) والجـزء الأول مـن كتابي (معجم العراق) .

وفي البلاط الملكي بدأت أمارس عملاً جديداً عليّ، ذاك هو كتابة البرقيـات المتبادلة بين الوصي عبد الإله، والملوك والأمـراء واجوبتـها فـي مختلـف المناسبات، هذا فضلاً عن تكليفي بكتابة بعض الرسائل الخاصـة أو الخطـب التي يلقيها الوصي أحياناً.

ومن خلال قيامي بهذه الواجبات، أصبح قلمي أكثر طواعيـة استجابة لمثـل هذه الأوامر ، بل وأصبحت عارفاً بمشاعر الوصي عبد الإله، نحو هذا الملـك أو

ذاك، ولهذا كنت أصوغ صور البرقيات تبعاً لما أعرفه من تلك الأحاسيس والمشاعر. وأستطيع أن أقول، بعد خدمة هذه السنوات السبع، أن قلمي قد مرن تمريناً شاقاً خلالها، وأفدت من هذا التمرين افادة تامة بعد ذاك.

١١ – معرفة واسعة بالأشخاص

وأخيراً فقد أفادتني هذه الخدمة فائدة كبيرة بمعرفة كثير من الشخصيات العراقية سواء ما كان منها في بغداد أو في المدن العراقية المختلفة، لا فرق في أن يكون هؤلاء من شيوخ العشائر أو الأفندية، من الأساتذة أو الدكلتره، أو المحامين أو التجار أو عامة أبناء الشعب.

وبسبب هذه المعرفة كانت لي مع بعضهم صداقات ومراسلات، وعندما عينت بعد خروجي من البلاط والإذاعة، معاوناً لمدير المصرف الزراعي العام، فمفتشاً عاما فمديراً عاما له، أفدت كثيراً من هذه المعرفة، إذ غالباً ما كنت أستغلها للوقوف على تصرفات بعض المزارعين المتعاملين مع المصرف إذ كثيراً ما كانوا يساعدونني في مناطقهم على تسهيل أمور المصرف هناك. وفوق هذا وذاك تعرفت بالعديد من رجال السياسة العرب والأجانب كما تعرفت ببعض كبار الصحفيين العرب الذين كانوا يفدون الى بغداد، ويقابلون الوصي عبد الإله، ولي مع بعض هؤلاء الصحفيين ذكريات عدة.

وأذكر من هؤلاء على سبيل المثال الأساتذة : مصطفى امين، كامل مروة، ناصر النشاشيبي، زهير عسيران، رياض طه، سعيد فريحة، وسليم اللوزي وغيرهم كثير.

الخاتمة

أكتفي بهذا الحد مما سجلت من ذكرياتي عن (السنوات السبع) التي قضيتها في خدمة التشريفات الملكية في العراق، لأن عملي في هذه الدائرة انتهى كما قلت يوم (١٩٥٤/٦/٢٤) ولهذا ليس لي أن أضيف عليها ما احتفظ به من ذكريات تتعلق بها او حدثت لي بسببها، لأنها وقعت بعد خروجي من البلاط ونقل خدماتي الى مديرية الإذاعة العراقية، ومنها الى المصرف الزراعي، والذي قضيت فيه (خمسة عشر) عاماً .

ومهما يكن من شيء فان هذه الذكريات وغيرها قد ضمتها صفحات كتابي. أو بالأحرى (مذكراتي) الذي سميته (حديث الذكريات) وما هذه الصفحات التي وضعتها بين يدي القارئ، إلا جانباً منها وهو الخاص بالخدمة التي قضيتها في دائرة التشريفات الملكية كما قلت.

أرجو أن أكون قد وفقت في عرضها، وأن تكون الحقائق والوقائع والصور والقصص والحكايات ذات قيمة تاريخية لا سيما عند أولئك الأساتذة والمتتبعين الذين ما زالوا يبحثون عن أحداث تلك المدة من تاريخ العراق السياسي ما بين سنة(١٩٤٧ وسنة ١٩٥٤) وهي المدة التي قضيتها في دائرة التشريفات الملكية.

وختاماً

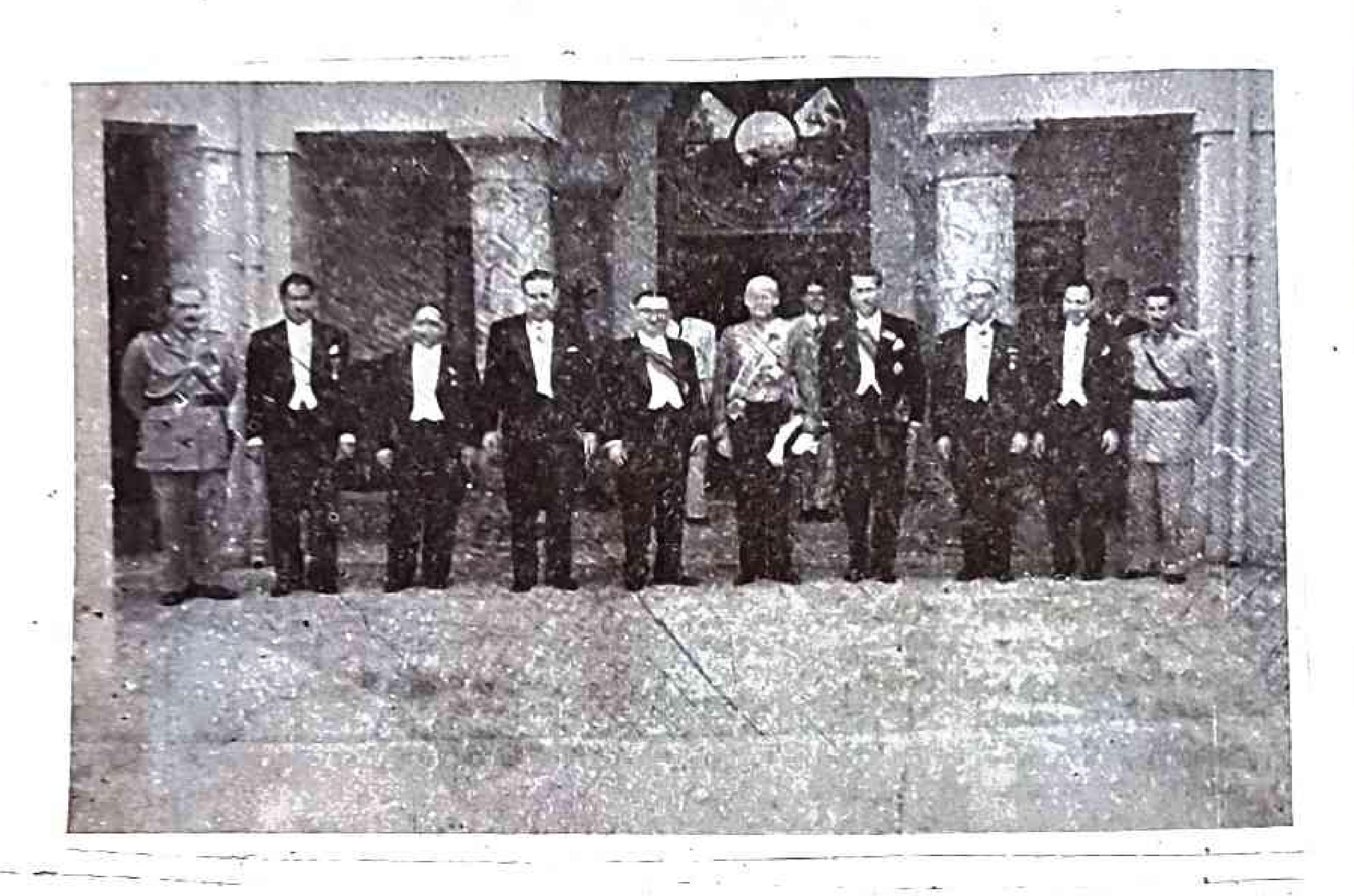
أرجو أن يتأكد قارئ هذه الذكريات بأنها ذكريات خاصة عرضت فيها ما رأيت وما سمعت خدمة للحقيقة والتاريخ، والله من وراء القصد.

كتب المؤلف المطبوعة

صور وأحاديث اجتماعية	بغداد	١٩٤٥
٤٠ يوماً في لندن	بغداد	١٩٤٦
ولادة وابن زيدون	بغداد	١٩٤٧
نظرات في اصلاح الريف (ثلاث طبعات)	بيروت	١٩٥٠ – ١٩٥٤
معجم العراق الجزء الأول	بغداد	١٩٥٣
معجم العراق الجزء الثاني	بيروت	١٩٥٦
مشاكل الائتمان الزراعي في العراق	بغداد	١٩٥٧
الهجرة من الريف الى المدن في العراق	بغداد	١٩٥٨
دليل العراق الحديث بالإنكليزية	بيروت	١٩٥٨
تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني	بغداد	١٩٥٩
الريف والاصلاح الاجتماعي في العراق	بغداد	١٩٦٠
الزهاوي بين الثورة والسكوت	بيروت	١٩٦٣
تعمير القرية في العراق	بيروت	١٩٦٤
الشاعر الثائر الشيخ محمد باقر الشبيبي	بغداد	١٩٦٥
ادباء المؤتمر	بغداد	١٩٦٥
المجتمع الريفي العربي والاصلاح الزراعي	القاهرة	١٩٦٧
قصة الأرض والفلاح والاصلاح الزراعي في الوطن العربي	بيروت	١٩٦٧
زكي مبارك في العراق	بيروت	١٩٦٩
دراسات وتراجم عراقية	بيروت	١٩٧٢
تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني	بغداد	١٩٧٥

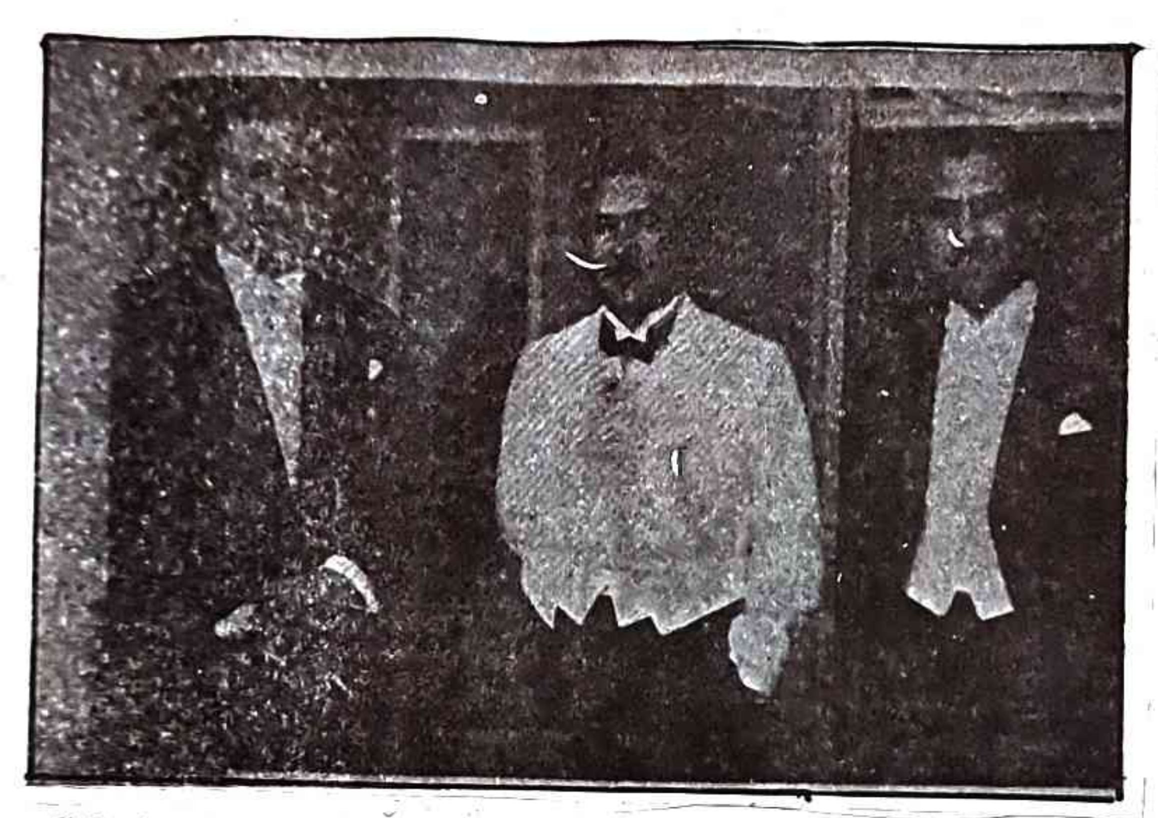
مختارات الزهاوي من عيون الشعر	بغداد	١٩٧٣
ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون	بغداد	١٩٧٦
الزهاوي الشاعر الفيلسوف والكاتب المفكر	القاهرة	١٩٧٦
الزهاوي في معاركه الفكرية والأدبية	عمان	١٩٨٣

ملحق الصور

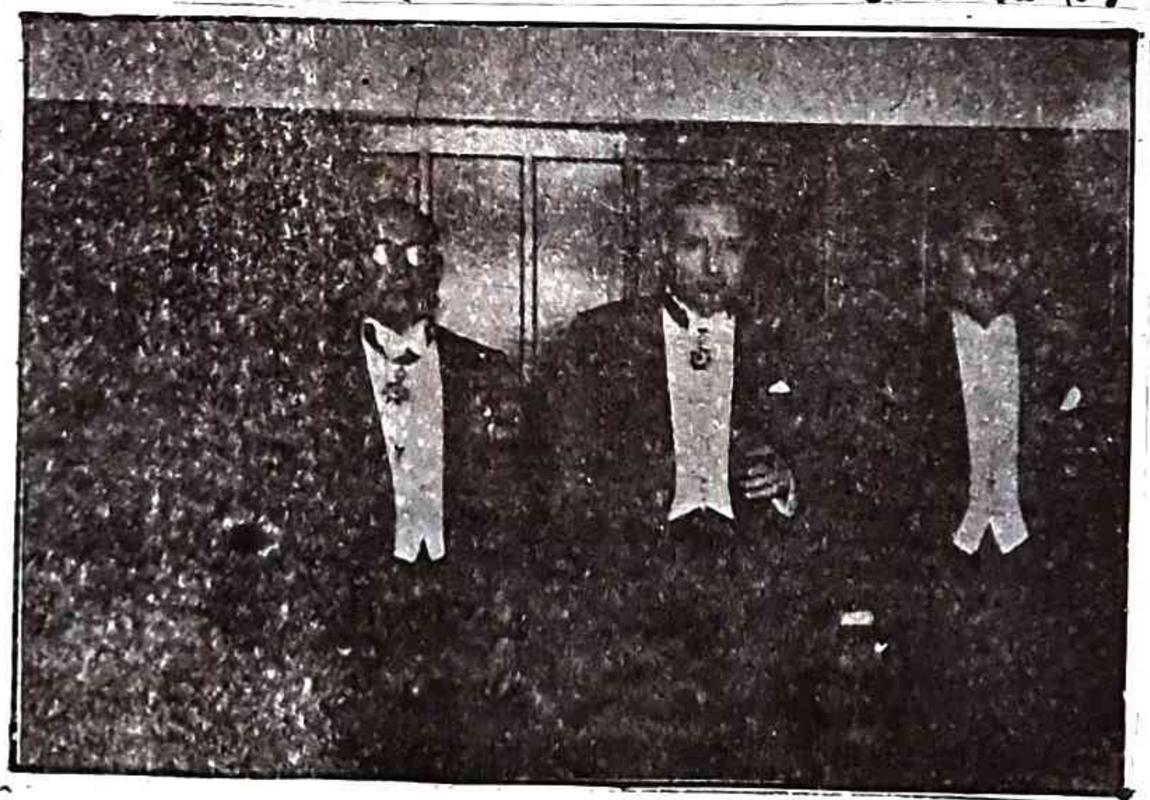


صورة تجمع موظفي البلاط الملكي عند تقديم أحد السفراء الاجانب أوراق اعتماده للوصي وهم من اليمين :

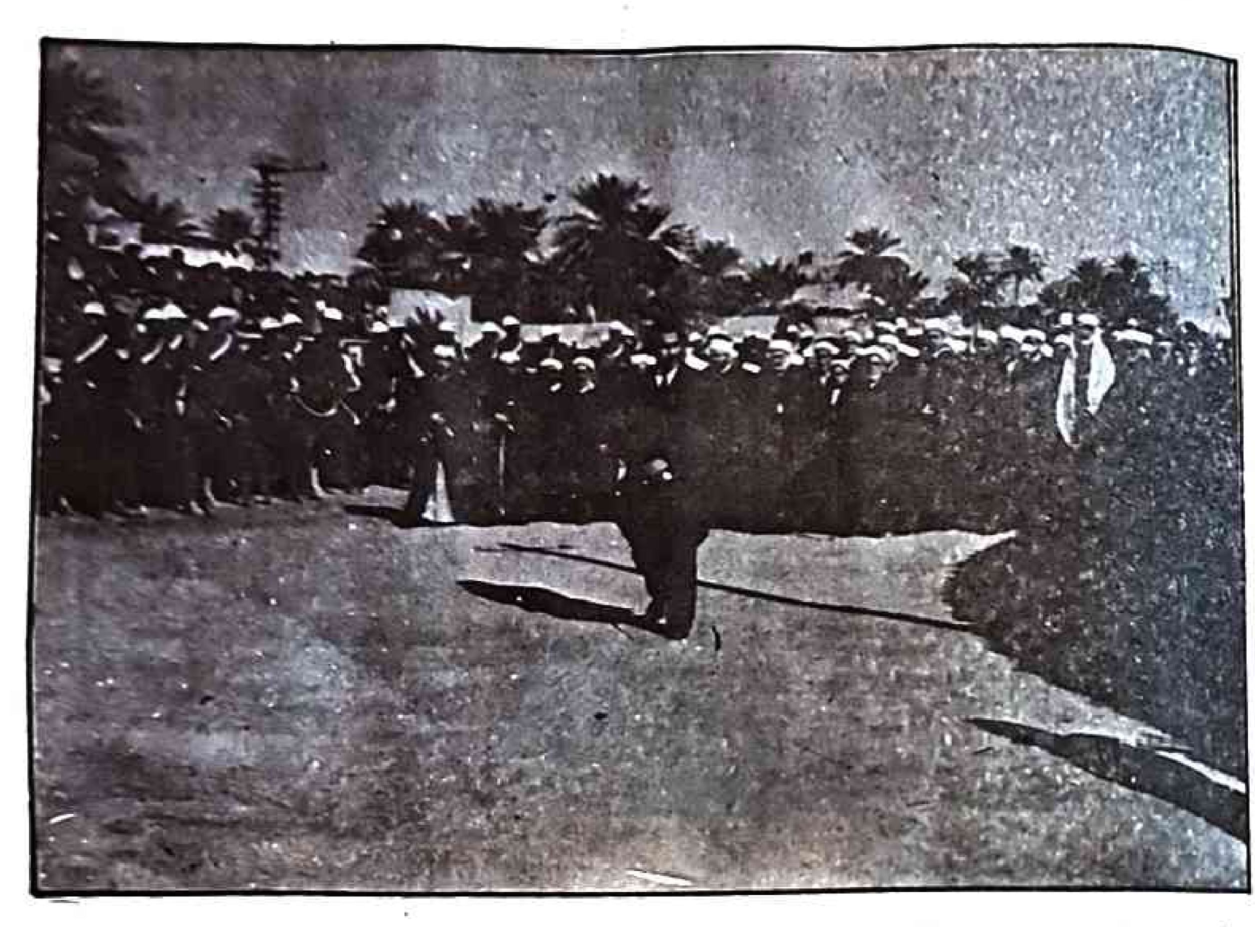
المقيد عبيد عبدالله المضايفي ، آمر الحرس الملكي ، والدكتور عبدالحسين القطيفي معاون رئيس الديوان ، السيد عبدالجبار روضة ناظر الخزينة الخاصة ، السيد احمد مختار بابان رئيس الديوان الملكي ، السفير الاجنبي ، الدكتور محمد فاضل الجمالي وزير الخارجية ، نوري القرەغولي وكيل رئيس التشريفات الملكية ، السيد محي المميز مدير التشريفات في وزارة الخارجية ، المؤلف ، المقيد عبدالوهاب شاكر مرافق الملك .



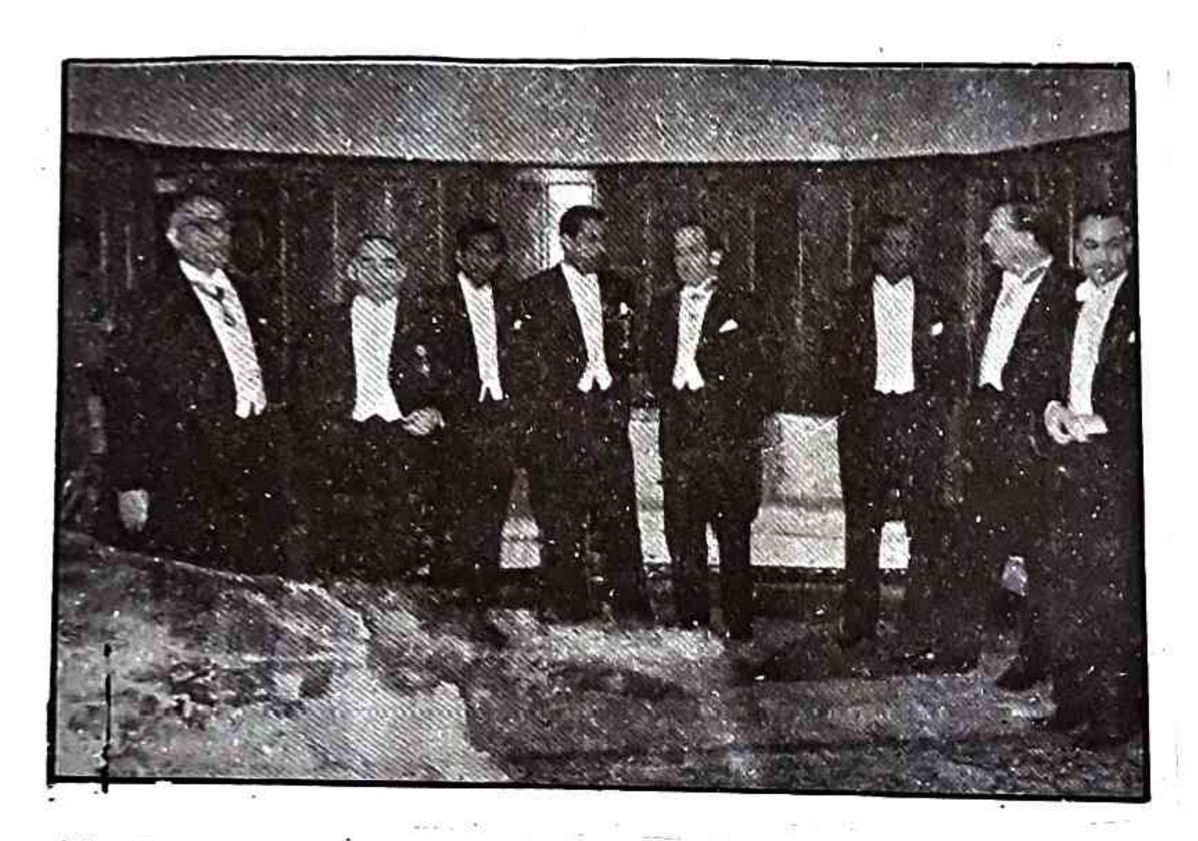
المؤلف في يمين الصورة وفي الوسط المرحوم احمد زكي المدرس معاون رئيس الديوان الملكي والمرحوم نوري القرمغولي، معاون رئيس التشريفات الملكية .



المؤلف في يمين الصورة وفي الوسط نوري القرمغولي ، ثم السيد عبد الجبار روضة ، ناظر الخزينة

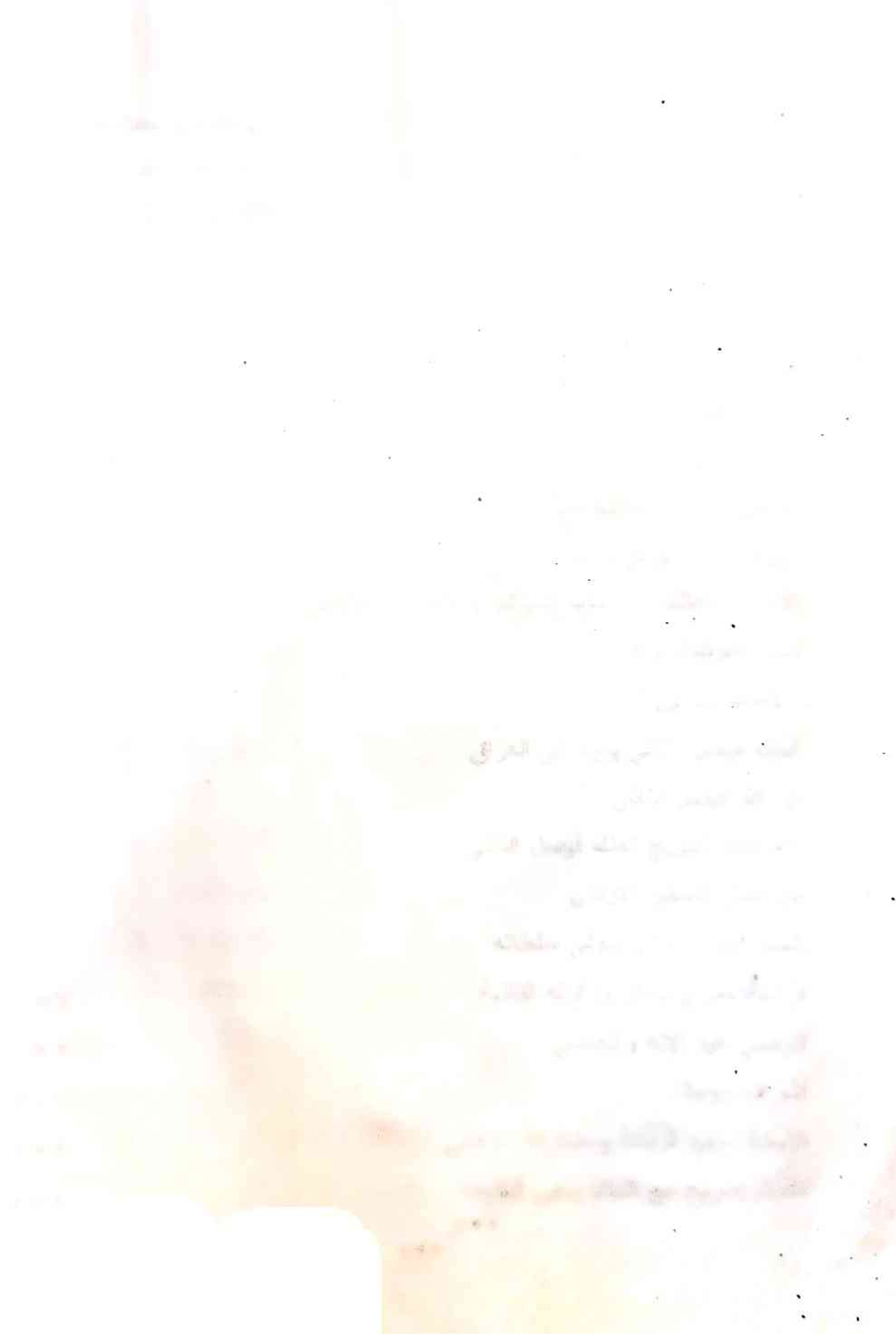


المؤلف يسير امام جموع المشيعين الزاحفين الى المقبرة الملكية في الاعظمية لدفن جثمان الملكة عالية .



صورة تضم من اليمين الدكتور عبد الحسين القطيفي معاون رئيس الديوان الملكي ونوري القرمغولي ، احد موظفي السفارة الهندية ، علي صاحب جميل مساعد مدير التشريفات في وزارة الخارجية المؤلف ، احد موظفي السفارة محي الدين المميز مدير التشريفات في وزارة الخارجية ، عبد الجبار روضة ناظر الخزينة المركزية .

الفهرس



رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٧٤١ لسنة ٢٠٠١

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة



دار الشؤون الثقافية العامة - شركة عامة - بغداد ٢٠٠٢ السعر ١٧٥٠ دينار

التصميم: نهلة محمد عبد الوهاب